جامعة المنصورة
كلية الآداب

الوفود السياسى لمصر والشام

إبان حكم سلاطين المماليك

(٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م)

دكتور
البيومى إسماعيل الشربينى البيبى
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية التربية بالعريش - جامعة قناة السويس

مجلة كلية الآداب - جامعة المنصورة
العدد الثلاثون - يناير ٢٠٠٢

الوفود السياسى لمصر و الشام إبان حكم سلاطين المماليك
(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)

د . البيومى إسماعيل الشربينى البيبى

تقديم

حظيت دولة سلاطين المماليك بمصر والشام خلال العصور الوسطى بمكانة مرموقة جعلتها قبلة للوافدين أو اللاجئين السياسيين – إن جاز استخدام هذا المصطلح الحديث – الذين نزحوا عن أوطانهم لأسباب عدة ، وقدموا إلى هذه الدولة طلبا للأمان ، وقد شجعهم على ذلك ما كانت تنعم به هذه الدولة من ثراء وترف ومكانة وحكومة قوية كانت لها اليد الطولى فى وقف الزحف التتارى ، ومن قبله الصليبى ناهيك عن اجتثاثها لآخر معاقل الصليبين بالشام ، والمتمثل فى مدينة عكا ، و ذلك على أيدى السلطان الأشرف خليل بن قلاوون .

وقد شهدت الدولة منذ ميلادها المبكر وفود العديد من الأجناس إليها – فرادى وجماعات – وراء كل منهم أسباب عدة أجبرته على ذلك. وقد استلفت نظرى هذا الموضوع الهام، وعبثا حاولت العثور على دراسة متخصصة فيه، فلم يهتد البحث إلى ذلك. سوى العثور على مقال لمستشرق يهودى[1] فى هذا الموضوع ، تحدث فيه عن ثلاث طوائف وفدت إلى مصر والشام خلال حكم الدولة الأيوبية وبدايات دولة المماليك البحرية، دون أن يتطرق فيه إلى مناقشة الأسباب الكامنة وراء قدوم هذه الطوائف إلى الدولة، وإجراءات دخولهم ، وأوضاعهم داخل البلاد والآثار التى نجمت عن قبول الدولة لهم. كذلك عثرت على بحث آخر تناول العراقيين وهجراتهم إلى مصر في صدر الدولة المملوكية[2].

ونظرا لأهمية هذا الموضوع ، وعدم استيفاء جوانبه نصيبها من البحث والدراسة ، أقدمت على اختياره مجالا لهذا البحث، وأسميته : " الوفود السياسى لمصر والشام إبان حكم سلاطين المماليك ". وقد هدفت من وراء هذا الاختيار مناقشة مجموعة من النقاط تستجلى جوانبه ، وتلقى الضوء على هذه الفئة الاجتماعية الوافدة للبلاد. ومن الأهمية بمكان هنا نشير إلى أن البحث سيقتصر على الوافدين سياسيا لدولة المماليك، والمستنجدين بها . ولن يدخل في إطاره الوفود الاقتصادى، أو النزوح المضاد من الدولة لغيرها من الدول المجاورة . وسوف يتم تناول ذلك من خلال مقدمة ، وعدة مباحث :-

- **المقدمة** : وفيها نتعرض لتعريف المقصود بالوافدين سياسيا، والخلفية التاريخية لهم.
- **المبحث الأول** : ويناقش المبررات والدوافع التى جعلت الوافدين يختارون دولة المماليك ملجأ لهم.
- **المبحث الثانى** : يتناول الأحوال السياسية بدول الوافدين ، والتى كانت سببا وراء نزوحهم عنها إلى مصر والشام . أو لجوء هذه الدول إلى طلب مساعدة الدولة المملوكية .
- **المبحث الثالث** : يدور حول جنسيات الوافدين.

---

[1] Ayalon D: The wafidya in the Mamluk Kingdom (studies on the Mamluks of Egypt, London , 1977) pp. 89-104 .

[2] سحر السيد عبد العزيز : العراقيون في مصر في القرن السابع الهجرى (الإسكندرية ١٩٩١).

- **المبحث الرابع** : يدور الحديث فيه حول الإجراءات التى كان على الوافدين اتخاذها من أجل السماح لهم بدخول البلاد ، وما صاحب ذلك من مراسم.
- **المبحث الخامس:** يرصد وضعية الوافدين داخل كيان دولة المماليك. وسياسة الحكومة والشعب تجاههم.
- **المبحث الأخير** : يتناول الآثار التى نجمت عن قبول المماليك للوافدية. والنتائج التى عادت على الدولة من وراء ذلك.

يعقب ذلك خاتمة تحوى أهم النتائج التى يمكن الخروج بها من وراء دراسة هذا الموضوع ، ثم الملاحق وفي النهاية ثبت بقائمة المصادر والمراجع التى اعتمد عليها البحث . وفي الختام نأمل أن نكون قد ألقينا الضوء على هذه الظاهرة الهامة في تاريخ مصر والشام إبان حكم المماليك ، وأعطيناها حقها من البحث والدراسة.

والله من وراء القصد . هو نعم المولى ونعم النصير

البيومى إسماعيل الشربينى

المنصورة في رمضان ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م

مقدمة

الوافد: القادم. والجمع وفود، **ووفد**: ورد رسولا ، توافد القوم: قدموا ووردوا.[١] **الوافدية**: جمع وافد، وهو كل غريب أو أجنبى يفد إلى بلد جديد، والوافد: هو ذلك الرجل رفيع القدر الذي يحضر إلى الملك أو الحاكم لطلب هبه أو مساعدة أو عون ، وقد أطلق اللفظ على الترك والتتر الذين وفدوا - طوعا أو كرها - إلى بلاد دولة المماليك بمصر والشام في العصور الوسطى.[٢] وقد لقب هؤلاء المهاجرون باسم الوافدية ، وأيضا المستأمنين أو المستأمنة ، وهؤلاء القادمون من الخارج كانوا أحراراً يبحثون عن الأمان والحماية. [٣] ولم تأت كلمة وفد في القرآن الكريم سوى مرة واحدة في قوله تعالى : "يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا"[٤]، وقد فسرت كلمة وفداً بـ: ركبانا كالذين يفدون على الملوك لنيل عطاياهم.[٥]

وبناء على ما سبق يمكن تعريف الوفود السياسى بأنه: لجوء أشخاص - فرادى أو جماعات - أو حكام أو دول، إلى سلطنة المماليك كرها، طلبا للحماية، أو المساندة، أو الإقامة، نتيجة ظروف سياسية أو أمنية - خارجية كانت أو داخلية - تمثل خطرا على الوافد لو لم يركن إلى أحدى التدابير الاحترازية المتمثلة في لجوئه إلى قطر من الأقطار الواقعة خارج نطاق سلطات بلاده ، ريثما تزول الأسباب أو المسببات التى كانت وراء هذا اللجوء الاضطرارى . وحول هذا المعنى يدور موضوع هذا البحث .

ومن الجدير بالذكر أنه كان هناك إلى جانب الوفود السياسى، نوع آخر وهو الوفود الاقتصادى - وهذا خارج نطاق البحث - يتمثل في قدوم هجرات إلى دولة المماليك هربا من الغلاء أو القحط . ومن الأمثلة على ذلك: أنه في عام ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤م اضطر كثير من الناس إلى النزوح عن أوطانهم؛ نتيجة جفاف المياه، الأمر الذي أدى إلى إخلاء ٢٨٠٠ قرية ما بين الغور والعريش.[٦] كذلك نتج عن القحط وإتلاف الجراد لزروع

---

(١) مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز (ط١ ، القاهرة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) ص ٦٧٦.

(٢) أبو العباس أحمد بن على المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك (أربعة أجزاء × ١٢ قسما ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٧٣م) جـ٢ ق١ ، ص٨ ح (٢) ؛ محمد قنديل البقلى : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى (القاهرة ١٩٨٤) ص ٣٥٧ ؛ عصام محمد شبارو: السلاطين في المشرق العربى- المماليك (بيروت ١٩٩٤م) ص ١٩؛

Dozy, R : Supplement aux Dictionnaires Arabes (2 Tomes Beyrouth 1981) T.2, p. 831; Lane : An Arabic-English Lexicon (Part8, Beirout 1980) p. 2955.

(٣) AYALON : Op. Cit., p. 90

(٤) سورة مريم ، آية ٨٥.

(٥) محمد حسن الحمصى : القرآن الكريم تفسير وبيان (دار الرشيد ، دمشق ، د ت) ص ٣١١ .

(٦) المقريزى : المصدر السابق ، ص ١٢.

بلاد المشرق عام ٧٢٤هـ / ١٣٢٣م ، أن اضطرت كثير من الطوائف إلى القدوم لبلاد الشام .[١] وتكرر ذلك في عام ٧٤١هـ ، فكتب السلطان لنائب حلب بالسماح للمشارقة في عبور الفرات إلى أى مكان يرغبونه من البلاد.[٢] ومن هذا يتبين أن الوفود الاقتصادى كان اختياريا ، وهدفه الأساسى لقمة العيش فقط.

ومثلما كان هنا وفود سياسى لدولة سلاطين المماليك ؛ كان هناك أيضا أناس آخرون هربوا من دولة المماليك ولجئوا سياسيا إلى بلاد أخرى، والأمثلة كثيرة على ذلك ، نذكر من بينها ما ذكره المقريزى[٣] عن الأمير ازدمر البواشقى – أحد الثائرين على الملك المعز أيبك بعد قتله الأمير فارس الدين أقطاى ٦٥١ هـ / ١٢٥٣م. والذى لجأ إلى بلاد الروم . كذلك لجأ الأمير الأفرم نائب صرخد وآخرون إلى بلاد التتار عام ٧١١ هـ / ١٣١١م [٣]

وظاهرة الوفود السياسى ربما قد يراود البعض بأنها ليست من المستحدثات التى جدت إبان عصر المماليك ، إنما لها تاريخ قديم يتردد صداه فيما كان يعرف في الجاهلية باسم " الجوار". (ويعنى لجوء فرد من إحدى القبائل إلى قبيلة أخرى نتيجة خلع قبيلته له ، أو فراراً من عدو معين ، وفي هذه الحالة يصبح المستجير مولى من موالى القبيلة الوافد إليها ، وله ما لأفراد القبيلة من حقوق ، وعليها الأخذ بثأره إذا قتل ، وكان يطلق على هذا المستجير أسم "حليف "، ومثلما كانت له حقوق على القبيلة التى التجأ إليها كانت عليه واجبات كثيرة تجاهها.[٤]) وهذا خطأ كبير لآن السياق التاريخى مختلف تماما من حيث السباب والنتائج . وفيما يختص بمصر فقد ذكر لنا الفريد بتلر [٥] كثيرا من حالات اللجوء إلى الإسكندرية عام ٦١٥م عقب اجتياح الفرس لبلاد الشام وتشتيتهم للمسيحيين. وقد ظل هذا التقليد متبعا في الإسلام ، وفي دوله العديدة . حيث عثرنا على العديد من العناصر الوافدة، والتى تنوعت ما بين الفردية والجماعية ، وقد تبين اندماج العديدين منهم في المجتمعات التى وفدوا إليها ، وتبوء بعض هؤلاء مكانة بارزة في الجهاز الإدارى والعسكرى بتلك الدول. ومن أمثلة ذلك : في عام ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م حضر من بلاد آمد[٦] بدر الدين جعفر المذحجى الآمدى وأخيه موفق الدين ، وابن أختهما شمس الدين، وانخرط هؤلاء في الجهاز الإدارى بالدولة

---

[١] المقريزى : المصدر السابق ، ص٢٥٤.

[٢] المقريزى : المصدر السابق ، ج٢ ق٢ ، ص ٥١٥.

[٣] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (جزأن ، دار صادر بيروت ، د ت) ج ٢ ، ص ١١٦) .

[٣] البيومى إسماعيل الشربينى : مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية ، عصر سلاطين المماليك (جزأن ، سلسة تاريخ المصريين رقمى ١١٠ ، ١١١ ، القاهرة ١٩٩٧) ج١ ، ص ٧٧.

[٤] توفيق برو : تاريخ العرب القديم (ط١ ، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٨) ص ٢٥٩ ؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام (الإسكندرية ١٩٩٩) ص ٣٦١ ، ٣٨٣.

[٥] فتح العرب لمصر (جزأن ، تعريب محمد فريد أبو حديد ، القاهرة ١٩٨٩) ج١ ، ص ٥٤ – ٥٥.

[٦] آمد : أعظم مدن ديار بكر واشهرها ذكرا ، وهى بلد قديم حصين مبنى بالحجر الأسود ، وقد فتحت عام ٢٠هـ ... للمزيد انظر: ياقوت الحموى : معجم البلدان (ط١ ، رتبه محمد الخانجى ، عشرة أجزاء ، مصر ١٣٢٣هـ-١٩٠٦م) ج١ ، ص ٦١-٦٢.

الأيوبية ، ووصل جعفر هذا إلى رتبة ناظر النظار[1] وفي عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م فرت طائفة من الأكراد - يقال لهم الشهرزورية[2] - من وجه عسكر هولاكو ، وقدموا دمشق ، وكانوا قرابة ثلاثة آلاف رجل مصطحبين معهم عائلاتهم ، فتقوى بهم الملك الناصر ، ومن بعده الملك المغيث بالكرك ، واستند إليهم كلا الملكين في تحقيق مآربهما.[3]

من هذه المقدمة تبين لنا أن الوافدية هم جماعات نزحت عن بلادهم وقدموا إلى مصر والشام. أما عن أسباب هذا النزوح ، وجنسيات أصحابه ، وأوضاعهم في دولة المماليك. فيمكن التعرف على كل ذلك من خلال مجموعة من المباحث التالية.

---

[1] شهاب الدين النويرى : نهاية الأرب في فنون الأدب (جـ٣٠ ، تحقيق محمد عبد الهادى شعيرة ، القاهرة ١٩٩٠) ص ٢٣٦ . وناظر النظار هو ما كان يعرف في الدولة الأيوبية باسم ناظر الدواوين ، صاحب التصرف في النواحى المالية ورئيس ديوان النظر . أبو العباس أحمد القلقشندى: صبح الأعشى في صناعة الإنشا (١٤ جزء ، القاهرة ، دت) ج ٥ ، ص ٤٦٥ ؛ البيومى إسماعيل الشربينى : النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك ، القاهرة ١٩٩٨) ص ٣٥.

[2] نسبة إلى شهروز ، وهي مدينة السليمانية الحالية بكردستان. وكانوا طوائف اشهرهم اللوسة والباسرية ، وبعد واقعة بغداد عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨ م وفدوا للشام ومصر . القلقشندى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٣٧٣ ؛ شبارو : المرجع السابق ، ص ١٣٧ ؛ السيد الباز العرينى : المماليك (بيروت ، دت) ص ٧٢.

[3] المقريزى : السلوك ، جـ ١ ق٢ ، ص ٤١١.

المبحث الأول

المبررات والدوافع التى جعلت الوافدين يختارون دولة المماليك بمصر والشام ملجأ لهم :

تباينت الدوافع والرغبات التى جعلت الوافدين يقبلون على دولة المماليك، وقد تراوحت هذه الدوافع ما بين : مكانة مصر وقوتها وتشعب علاقاتها ، وبين المعاملة الحسنة التى كان يلقاها الوافدون ..... إلى غير ذلك من المبررات والتى يمكن حصرها فيما يلى : -

١- المكانة القوية التى تمتعت بها دولة المماليك . فلقد كان لهذه المكانة صيتها في عالم العصور الوسطى مما جعل كثيراً من الوافدين يؤمون هذه الدولة طمعا في مساندتها لهم ضد خصومهم ، أو طمعا في إيوائها لهم وحمايتها إياهم . ومما يدل على هذه المكانة السامية التى تمتعت بها القاهرة عاصمة دولة المماليك ، نجد أنه كثيرا ما حضر إليها رسل الدول المجاورة ، لخطب ودها ، أو طلب شيء ما منها. فمثلا في عام ٦٦١هـ /١٢٦٢م تجمعت بالقاهرة سفراء من عدة جهات ، منهم: رسل الملك بركة خان - أول من اسلم من أولاد جنكيزخان- زعيم مغول القفجاق[١] جاؤوا يطلبون النجدة على هولاكو ؛ ورسل الأشكرى أو إمبراطور الدولة البيزنطية ؛ ورسل مقدم الجنوية ؛ ورسل صاحب الروم السلاجقة.[٢] كذلك في عام ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م قدم لسلطان مصر عدة رسل محملين بالهدايا منهم رسول صاحب اليمن ؛ ورسول الأشكرى ؛ ورسول الفونسو ملك أشبيلية ؛ ورسل جنوه وابن أخت ملك النوبة.[٣] وعلى النهج نفسه اجتمع بمصر عام ٧١٦هـ/١٣١٦م ثمانية رسل من

---

(١) بلاد القفجاق أو القبيلة الذهبية هى بلاد الدشت ، أو القسم الغربى من الإمبراطورية المغولية التى اسسها جنكيزخان ، وكانت عاصمة القبيلة الذهبية تقع في شمال غرب بحر قزوين وتدعى سراى وتعنى بالفارسية : القصر بناها بركة خان حفيد جنكيز خان . وسميت القبيلة الذهبية بهذا الاسم لأن مخيمات معسكراتها كانت ذات لون ذهبى ، وحاليا تشمل الجزء الغربى من التركستان الروسية وبلاد القوقاز. وسكانها من القبجاق والعلاق واللان أو الآلان والجركس والروس . جمال الدين ابو المحاسن بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (جـ١٠ ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة) ص ٣٣٤ – ٣٣٥ ح (٥) ، (١) ؛ العرينى : المرجع السابق ، ص ٥٥ ؛ عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر (جـ١ ، ط٢ ، القاهرة ١٩٧٩) ص ١٠ ؛ شبارو : المرجع السابق ، ص ٧ ؛ جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الإسلامية (جزأن ، دار المعارف القاهرة) جـ ٢ ، ص ١٤٠ ؛ احمد مختار العبادى : قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام (بيروت ١٩٨٦) ص ٢٠٥ ؛
Poliak : le Caractere Colonial de l'etat Mamlouk dans ses Rapports avec la Horde D'or. (Revue de etudes Islamiques, IX, Paris 1935) p. 232.

(٢) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٤٩٥ ؛ Poole S. L : A History of Egypt in the Middle Ages . (forth Edition, London 1925) p.266.

(٣) المقريزى : المصدر السابق ، ص٦٢١ .

برشلونة والقسطنطينية والنوبة والكرج ورسل جوبان ، ورسل أبى سعيد ، ورسل ازبك ، ورسل طغاى.[١] ومن أمثلة الوافدين الذين قصدوا دولة المماليك استنادا إلى مكانتها وقوتها نذكر : شكنده ملك النوبة ودنقلة ٦٦٤هـ/١٢٦٥م[٢] داوود ابن أخت ملك النوبة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م.[٣] أياى متملك دنقلة عام ٧٠٤هـ/١٣٠٤م.[٤] ركن الدين كرنبس رسولا من قبل متملك دنقلة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م.[٥] ناصر ملك بلاد النوبة ٨٠٠هـ/١٣٩٧م.[٦] أبو يحيى زكريا اللحيانى صاحب تونس ٧٠٩هـ/١٣٠٩م.[٧] مجموعة أمراء أيوبيين وطائفة من الشهرزورية هربا من الناصر صاحب دمشق ٦٥٨هـ/١٢٥٩م.[٨] الملك الأيوبى الصالح صاحب حصن كيفا ٧٢٦هـ/١٣٢٥م.[٩] الملك الناصر الأيوبى صاحب دمشق.[١٠] أبو القاسم أحمد بن الخليفة الظاهر العباسى ٦٥٩هـ/١٢٦٠م.[١١] ثلاث عشر أميراً من أمراء الروم ٦٧٥هـ/١٢٧٦م.[١١] رسل حنا اسكندر ملك البلغار عام ٧٣١هـ/١٣٣٠م.[١٢] على باد شاه نائب بغداد والموصل عام ٧٣٦هـ/١٣٣٥م.[١٢] القان غياث الدين أحمد بن أويس صاحب بغداد عام ٧٩٥هـ/١٣٩٢م.[١٣] ولد بن على شاه ابن أخو القان أحمد ٧٩٧هـ/١٣٩٤م.[١٤] حسن بن السلطان أحمد بن أويس ٨١٣هـ/١٤١٠م.[١٥] الأمير حمزة بن قرا عيسى أحد أعيان ورسخ عام

---

[١] المقريزى المصدر السابق ، جـ٢ ق١ ، ص ١٦٣ – ١٦٤ .

[٢] بدر الدين العينى : السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى (تحقيق فهيم شلتوت ، القاهرة ١٩٦٧) ص ٦٢ .

[٣] النويرى : المصدر السابق ، جـ٣١ (تحقيق الباز العرينى ، القاهرة ١٩٩٢) ص ٣٩ ؛ المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٣ ، ص ٧٣٦.

[٤] المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق١ ، ص ٧ .

[٥] المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق١ ، ص ١٠٩.

[٦] المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق٢ ، ص ٨٨٧.

[٧] سراج الدين بن الوردى : تتمة المختصر في أخبار البشر (جـ٢ ، القاهرة ١٢٨٥ هـ) ص ١٨٦ .

[٨] المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ق٢ ، ص ٤٢٦.

[٩] المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق١ ، ص ٢٧٦. وحصن كيفا على نهر دجلة ما بين ديار بكر وجزيرة ابن عمر .

[١٠] تيسير بن موسى : الغزو المغولى للعالم الإسلامى والوطن العربى في القرون الوسطى (مجلة الناشر العربى ، عدد ١٣ ، ليبيا ١٩٨٩) ص٥٢ .

[١١] جلال الدين السيوطى : تاريخ الخلفا (تحقيق إبراهيم صالح ، ط١ ، بيروت ١٩٩٧) ص ٥٦٤ ؛ المقريزى : المصدر السابق جـ١ق٢ ، ص٤٤٨ ؛ بيبرس المنصورى : مختار الأخبار (تحقيق عبد الحميد صالح ط١ ن القاهرة ١٩٩٣) ص١٥.

[١٢] النويرى : المصدر السابق ، جـ ٣٠ ، ص٢٣٣.

[١٣] المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق٢ ، ص ٣٣٥.

[١٤] موسى بن محمد اليوسفى : نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر (تحقيق أحمد حطيط ، بيروت ١٩٨٦) ص ٣٠١؛ المقريزى : المصدر السابق ، ص ٣٩٧.

[١٥] المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق٢ ، ص ٧٨٨.؛ The Encyclopaedia of Islam, Art:Mamlouk, p.324.

[١٦] المقريزى : المصدر السابق ، ص ٨٣٢.

[١٧] المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤ ق١ ، ص ١٥٩.

٨٣١هـ/١٤٢٧م.[٢] الأمير صارم الدين إبراهيم بن قرمان عام ٨٣٨هـ/١٤٣٤م.[٣] مسعود بن الشيخ محمد الكجحمانى التبريزى ٧٩٧هـ/١٣٩٤م.[٤] الأمير سليمان بن أورخان بك ٨٣٦هـ/١٤٣٢م.[٥] الأمير محمد الجمجمة العثمانى في ٣ رجب ٨٨٦هـ/١٤٨١م.[٦] الغالب بالله عبد الله محمد المعروف بالأيسر متملك غرناطة في يوم الإثنين ٢٤ رجب ٨٤٤هـ/١٤٤٠م.[٧]

الأمير محمد بن سعد الزغل الأندلسى ٨٩٢هـ/١٤٨٦م. [٨] الأمير محمد الحادى عشر - بو عبديل - الأندلسى في ٢٠ يوليو ٩٠٦هـ/١٥٠٠م.[٩]

٢- ما أشيع عن ثراء ورفاهية دولة المماليك ، فقد كانت تلك الشائعات - مع مراعاة أن معظمها على درجة من الصحة ـ كافية لجذب الطامعين في عيشة هانئة. وبسبب ما اشيع عن سعادة مصر أعطى المغول أولادهم وبناتهم للتجار[١٠] ورغب كثير من سكان بلاد التركستان في بيع أولادهم ليكونوا في حاشية حكام مصر ، بل إن أهالى بلاد التركستان أنفسهم كانوا يفدون جماعات إلى أرض الآمال.[١١] وقد جاء كثير من المنغوليين إلى دولة المماليك لاجئين بحثاً عن مأوى وحماية ، وانجذابا لثراء مصر.[١٢]

٣- بصفة أن مصر هي المعقل الأخير للحضارة الإسلامية ، وأن المماليك حماة الإسلام وملاذه، وأن بلادهم مقر خلافة المسلمين : - فقد جاء معظم الوافدين لمصر المملوكية باعتبار أنها المعقل الأخير للحضارة الإسلامية بعد أن تعرض العالم الإسلامى- شرقه وغربه - إلي ضربات موجعة من

---

(٢) على بن داود الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان (جـ٣ ، تحقيق حسن حبشى ، القاهرة ١٩٧٣) ص ١٢٨. ورسخ فيما بين طرسوس وبلاد ابن قرمان .

(٣) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤ ق٢ ، ص ٩٤٥ .

(٤) الصيرفى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٠٤ .

(٥) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤ق٣ ، ص ١٠٦٤ .

(٦) شمس الدين عمر بن طولون : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (قسمان ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٣٨١ هـ/١٩٦٢م) ق١ ، ص ٤٧ .

(٧) المقريزى : المصدر السابق ، ص ١٢١٩ .؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس (جـ٧، القاهرة ٢٠٠١) ص ١٦١.

(٨) عنان : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

(٩) عنان : المرجع السابق ، ص ٣٢٤ ؛ كليفورد بوزورث : الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامى (ترجمة حسين على اللبودى ، ط٢ ، الكويت ١٩٩٥) ص ٤٣.

(١٠) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق٢ ، ص ٥٢٥ ؛ The Encyclpidia of Islam , Art : Mamlouk , p. 315

(١١) ويليم موير : تاريخ دولة المماليك في مصر (ترجمة محمود عابدين وسليم حسن ، ط١ ، القاهرة ١٩٩٥) ص ٩١ ؛ Poliak : Op. Cit , p. 233

(١٢) Ayalon : Op. Cit., p. 89

التتار ومسيحي غرب أوربا [١] . حتى إن إيران الإيلخانية صرحت فيها أصوات بأن القاهرة المملوكية هي " قيادة الدين وموئل الإسلام " وذلك عقب هزيمة المغول في عين جالوت.[٢] وقد ذكر المؤرخ الفارسي شرف الدين الشيرازي – الملقب بوصاف الحضرة – المماليك بقوله : " لا جرم بدين فضيلت برجملهٔ بلاد إسلام مكنت تفوق دارند وشرف امتياز يافته اند ".[٣] وقد تبين أنه كان من بين أسباب وفود كلا من العراقيين والمغاربة إلي مصر هو كونها مركز السلطة في العالم الإسلامي من جهة ، وإحيائها للخلافة العباسية – عقب سقوطها علي أيدي المغول ٦٥٦هـ – من جهة أخرى [٤] وبسبب هذا المركز نجد أن بعض ملوك المسلمين في بعض البلاد البعيدة راسلوا مصر يستمنحون خليفتها أمراً بولايتهم كي تصبح شرعية . وهذا ما فعله الملك غياث الدين صاحب بلاد الهند مع الخليفة المستنجد بالله يوسف في جمادى الآخرة ٨٧٦ هـ /١٤٧١م [٥] ومن بين أمثلة اللائذون لدولة المماليك بمصر والشام لهذا الغرض ، نذكر : مجموعة من أمراء الروم ٦٧٤هـ /١٢٧٥م .[٦] أمير زه بن

---

[١] قاسم عبده قاسم : دراسات في تاريخ مصر الاجتماعى ، عصر سلاطين المماليك (ط٢ ، القاهرة ١٩٨٣) ص ٢٩ ؛ أشتور : التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط في العصور الوسطى (ترجمة عبد الهادى عبلة ، دمشق ١٩٨٥) ص ٣٧٧ ؛ العبادى : المرجع السابق ، ص ١٩١ ؛ Laoust : le Hanbalisme sous les Mamlouks Bahrides (Revue des etudes Islamiques Tome XXVIII – Cahire I, Paris ,1960)p. 2 ; The American) ,(King : Historical Dictionary of Egypt , university in Cairo press 1989)p. 12,418

[٢] شهاب الدين العمرى : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ط١ ، تحقيق دوروتيا كرافولوسكى ، بيروت ١٩٨٦) مقدمة التحقيق ص ٢٥ .

[٣] العمرى : المصدر السابق ، ص ٣٤ ح (٥) . وترجمة العبارة (لا جرم أن ينفردوا من جملة بلاد الإسلام بفضيلة التفوق وشرف الزعامة والامتياز) .

[٤] سحر السيد عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ١١ ؛ شبارو : مرجع سابق ، ص ١٦ ؛ ستانلى لينبول : سيرة القاهرة (ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين ، القاهرة ١٩٩٧) ص ١٧٩ ؛ حامد عمار : علاقات مصر بالدول الإفريقية في العصور الوسطى (ط١ ، القاهرة ١٩٩٦) ص ٦١ ؛ وليم سليمان : القاهرة في مصر المملوكية (مجلة الطليعة ، عدد ٢ القاهرة ١٩٦٩) ص ٥٢ ؛ Weiss & Green : A Survey of Arab History (the American University in Cairo Press) p. 202 , Laoust : Op. Cit P. 4. =

[٥] محمد بن أحمد ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور (٥ أجزاء ، ط٢ ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٨٢ – ١٩٨٤) جـ٣ ، ص ٦٥ ؛ محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك (جزآن ، ط٢ ، القاهرة ١٩٦٢ ، ١٩٦٥) جـ٢ ، ص ١٧ .

[٦] المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ق٢ ، ص ٦٢١ .

ملك الكرج عام ٧٨٨هـ /١٣٨٦م [١] ، الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد التلمساني – أبرز الشخصيات الجزائرية في المائه الثامنة للهجرة – عام ٧٨١هـ /١٣٧٩م .[٢]

٤- قرب دولة المماليك من بلاد النازحين : كان للعامل الجغرافي في بعض الأحيان دور مهم في قدوم الوافدين لدولة المماليك ، بسبب متاخمتها لحدود بلادهم ، ولعدم وجود مفر آخر أمامهم سوى حدود مصر أو الشام . ومن أمثلة ذلك : – عندما بعث هولاكو رسالة تهديد ووعيد إلي دمشق وحاكمها الأيوبي الملك الناصر عام ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م فر كثير من الدماشقة والحلبيين إلي جهة مصر، وأرسل الملك الناصر بالصاحب كمال الدين عمر بن العديم إلي مصر يستنجد بعسكرها.[٣] وعندما أغار الأمير قرا محمد حاكم الموصل عام ٧٨٥هـ /١٣٨٣م علي سالم الدكري التركماني ، لم يجد سالم بدأ من الترامي علي الأمير يلبغا الناصري نائب حلب حاملاً كفنه في عنقه .[٤] كذلك عندما هزم تيمورلنك الأمير قرا يوسف بن قرا محمد التركماني المستولي علي بغداد ٨٠٦ هـ /١٤٠٣م فر قرا يوسف بنفسه وإحدى زوجاته وأحد أولاده وقليل من أصحابه إلى دمشق ، ونزل عند نائبها شيخ المحمودى[٥] وفى عام ٨٣٧هـ / ١٤٣٣ م أستولي أصبهان بن قرا يوسف علي بغداد والموصل من أخيه شاه محمد ، وأخرج أهل المدينتين بعائلاتهم ، فتمزقوا في البلاد ، وأتى منهم إلي مصر والشام أعداداً لا تقدر .[٦]

٥- المعاملة الحسنة التي لقيها الوافدون من قبل سلاطين المماليك : لعب سلاطين المماليك دوراً كبيراً في جذب الوافديه لبلادهم ؛ بسبب ما أسبغوه علي هؤلاء القادمون من ترحاب ، وإقامة ، وانخراط في النظام العسكري المملوكي بلا مشاكل . ويمكن إرجاع هذا الاستقبال إلي أن معظم القادمين كانت تربطهم علاقات دم مع المماليك ، أي كانوا من أهلهم ، مما سهل لهم الاندماج في الطبقة الحاكمة .[٨] ومن الأمثلة علي ذلك : – في عام ٦٦٠هـ ظفرت كشافة دمشق وغيرها من نيابات الشام علي ما يزيد عن مائتي فارس تترى جاءوا مستأمنين إلي باب السلطان ، فأمر الظاهر بيبرس بإكرامهم وتوفير الإقامات[٩] لهم ، وأنزلهم بمساكن في القاهرة وأمر أكابرهم ، وانخراط باقيهم في

---

[١] المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق٢ ، ص٥٤٥ .

[٢] أبو العباس أحمد بن قنفذ : الوفيات (تحقيق عادل نويهض ، ط٣ ، بيروت ١٩٨٠) ص ٣٧٣ ح (٣) .

[٣] المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ق٢ ، ص ٤١٦ .

[٤] المقريزى : المصدر السابق ، جـ ٣ ق٢ ، ص٤٨٩.

[٥] الصيرفى : المصدر السابق جـ٢ ، ص ١٨٣ .

[٦] المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤ ق٢ ، ص ٩١٨.

[٧] Aylaon : Op. Cit , p. 102

[٨] الإقامة : ما يحتاجه الجند من مؤونة وعلف وخيام وغيرها من أمتعة السفر . سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى في مصر والشام (ط٢ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٦) ص ٤١٣.

جملة البحرية ، وعندما علم التتار ما نال أصحابهم توافدوا جماعة تلو الأخرى ، وعمل السلطان مع كل جماعة ما عمله مع سابقيهم .[١] وفي ٦ ذي الحجة ٦٦١هـ /١٢٦٢م وفدت جماعة مستأمنة من المغول والبهادرية تقدر بـ ١٣٠٠ فارس - وفي رواية أخرى قرابة ألف فارس .[٢] - بأسرهم ، فتلقاهم السلطان وأكرمهم .[٣] وفي العام نفسه وردت طائفة ثانية وثالثة ، فعمل معهم السلطان مثل سابقيهم ، إذ استقبلهم ، وأمر أكابرهم ، وعرض عليهم الإسلام ، وختنوا بأجمعهم .[٤] وعقب ذلك بنيف وثلاثين عاماً - خلال حكم السلطان العادل زين الدين كتبغا - جاءت لدولة المماليك أكبر طائفة وافدة من القبائل التترية. بلغ عدد أسرها ١٨٠٠٠ أسرة- وفي رواية أخري عشرة آلاف بيت[٥] طردوا من بلاد فارس ، وكان مقدمهم طرغاى عديل كتبغا ، فأنزلوا ببلاد الساحل الشامي ، واستقدم أكابرهم للقاهرة ، وانخرطوا في سلك الجندية ، وعرفت هذه الطائفة في المصادر باسم الأويراتية أو العويراتية أو العيارات أو القلامقة.[٦] وفي عام ٧٠٤هـ /١٣٠٤ م وفد إلي حلب نحو مائتي فارس مغولي بعائلاتهم ، فأكرموا ومنحوا رواتب وإقطاعيات ، وكان من بينهم والدة وأخو الأمير سلار نائب السلطنة بمصر .[٧] وعندما فشل خربندا قائد التتار في حصاره للرحبه ٧١٢هـ / ١٣١٢م هرب كثير من جنده ودخل في طاعة السلطان المملوكي الناصر محمد .[٨] وقرب نهاية دولة المماليك البحرية وفد إلي مصر الأمير أنس والد الأمير الكبير برقوق ٧٨٢هـ /١٣٨٠م.[٩] وإذا ما انتقلنا إلي دولة المماليك الجراكسة ، نجد أيضا أمثلة كثيرة نختر منها : ما وقع في عام ٨٠٣هـ

---

(١) النويرى : المصدر السابق جـ٣٠ ، ص ٦٣ -٦٤ ؛ المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ١١٧- ١١٨ ؛ السلوك جـ١ ق٢ ، ص ٤٧٣ - ٤٧٤ ؛ العرينى : مرجع سابق ، ص٦٠ ؛ الشيال : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ١٤٣ .

(٢) المنصورى : المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(٣) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٥٠٠. ؛ الخطط ، جـ٢ ، ص١١٨ ؛ النويرى : المصدر السابق ، ص ٨٩ ؛ العرينى : المرجع السابق ؛ والشيال : المرجع السابق.

(٤) النويرى : المصدر السابق ، ص ٩٠ ؛ المقريزى : السلوك ، جـ١ق٢ ، ص ٥٠١ ؛ الشيال : المرجع السابق .

(٥) ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ٦٠ ، ٢٥٨ ح (١).

(٦) اليوسفى : المصدر السابق ، ص ١٦٩ ، ح (٢) ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ق ٣ ، ص ٨١٢ - ٨١٣ ؛ الشيال : مرجع سابق ، ص١٤٤ ؛ أشتور : المرجع السابق ، ص٣٧٨ ؛ Wiet : l'Egypte Arabe de la Conquete Arabe a la conquete Musulman (T, IV, Paris 1937) p. 464

والأويراتية : نسبة إلى أويرات ، وهم أصل جنس الكالموك . وعويرات أسم جنس يطلق على عدة قبائل مغولية سكنت الجزء الأعلى من حوض نهر ينسى بوسط أسيا ، وتختلف لغتهم قليلا عن لغة القبائل المغولية الأخرى ، وأقاموا في المنطقة الواقعة ما بين نهر أونن وبحيرة بيكال ، وكان عددهم كبير جدا ولهم ملك ياتمرون بأمره . المنصورى التحفة المملوكية في الدولة التركية (تحقيق عبد الحميد صالح ، ط١ ، القاهرة ١٩٨٧) ص ١٤٦ ح (١) ؛ النويرى : المصدر السابق ، جـ ٣١ ، ص ٨٨ ؛ ح(١) ؛ المقريزى : المصدر السابق ، ص ٧٠٨ ح(٣) ؛ فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول في التاريخ (القاهرة) ص ٢٩.

(٧) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق١ ، ص٥ - ٦ ؛ المنصورى : المصدر السابق ١٧٨.

(٨) عماد الدين إسماعيل ابو الفدا : المختصر في أخبار البشر (٤ أجزاء ، بيروت .د.ت) ، جـ ٢ ، ص٤١٣.

(٩) عبد الرحمن بن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر(جزء ، بيروت ١٩٧٩) ص ٤٧٣.

/١٤٠٠م وأثناء هجوم تيمور لنك علي بلاد الشام، إذ حضر خمسة من أمرائه إلي طاعة السلطان الناصر فرج بن برقوق مخبرين بأن نصف عسكره لديهم الرغبة في القدوم.[١] وفي عام ٨٤٢هـ /١٤٣٨م طرد الأمير علي باك بن قرايلك من بلاد الروم ، وابنه جهان شاد من أرز نكان.[٢]، فقدما حلب ومنها جاء علي باك إلي القاهرة ومنح ما يليق به، بينما آثر ابنه الإقامة في الساجور قرب حلب.[٣]

٦- عداء دولة المماليك لدولة الوافدين: استغل بعض الوافدين حالة العداء القائمة بين دولهم وسلطنة المماليك ولا ذوا بالأخيرة طمعاً في الحماية أو النصرة . وعدم تسليمهم لخصومهم . وبالطبع رحب المماليك بهؤلاء الوافدين نكاية في خصومهم من جهة. وأملا في تحقيق بعض المكاسب من ورائهم من جهة أخرى. وللتدليل علي ذلك نسوق بعض الأمثلة :- في عام ٦٨٥ هـ/١٢٨٦م استغل آدر ملك مملكة الأبواب.[٤] حالة العداء القائمة بين خصمه سمامون ملك النوبة ودنقلة ، وبين دولة المماليك ، واستنجد بالسلطان قلاوون لحسم هذا النزاع ، فوجد قلاوون في ذلك فرصة للقصاص من سمامون بسبب منعه البقط السنوي [٥]،وأرسل حملة لتأديب سمامون تحت دعوى مساندة آدر ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م. [٦] وفي عام ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م أرسل غازان ملك التتار القائد سلامش بن أفال - وفي رواية سلامش بن أباجو [٧]- لاحتلال بلاد الروم، وبعدها يغير علي بلاد الشام، إلا أن سلامش طمع في بلاد الروم، واستغل حالة العداء ما بين التتار والمماليك، وطلب المساندة من السلطان لاجين الملوكي لحرب غازان [٨] ومن تطورات الأحداث بعد ذلك نعرف أن سلامش هذا وفد إلي القاهرة في ١٦ شعبان ٦٩٨هـ وزوده لاجين بجيش من حلب نهب به ماردين، وانتهى الأمر بقتل سلامش وهزيمة المماليك في واقعة حمص. وفي ذي القعدة ٧٦٧هـ /١٣٦٥م جاءت رسل ملك ماردين تطلب نجدة من السلطان الأشرف شعبان بن حسين لحرب السلطان أحمد بن أويس الذي أستولي علي الموصل وعزم علي أخذ ماردين، وكانت حجة ملك ماردين - متى ملكها تعدى منها إلي حلب - [٩] وفي السنوات

---

[١] المقريزى : المصدر السابق ، جـ ٣ ق٣ ، ص١٠٣٩.

[٢] أرزنكان : بلدة طيبة مشهورة من بلاد أرمينية ، بين بلاد الروم وخلاط ، قريبة من أرزن الروم ، وغالب أهلها أرمن وأعيانها مسلمون .... ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ١ ص ١٩٠ .

[٣] الصيرفى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص٥٧ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤ ق٣ ، ص ١١٠٥.

[٤] كان ببلاد النوبة مملكتان مسيحيتان هما : مقرة وعاصمتها دنقلة ؛ علوة وعاصمتها سوبة . وكانت تنقسم إلى عدة ولايات منها مملكة الأبواب . حامد عمار : مرجع سابق ، ص٢٣.

[٥] البقط: ما يقبض من سبى النوبة سنويا ويحمل لمصر ضريبة عنهم ... للمزيد انظر: المقريزى : الخطط ، جـ١ ،١٩٩-٢٠٢؛ عاشور : المرجع السابق ، ص ٧٨ ؛ ربيع محمد القمر : قراءة جديدة في نصوص معاهدة البقط (مجلة الدارة ، عـدد٢ ، السنة ٢١ ، الرياض ١٤١٦) ص ١٦٢ - ١٩٤ .

[٦] عمار : المرجع السابق ، ص ١١٥ - ١٢٣ .

[٧] عمار : المرجع السابق ، ص ١١٥ - ١٢٣ .

[٨] ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ١١٧ ــ ١٢٥ .

[٩] المقريزى: السلوك، جـ١ ق٣، ص ٨٧٦ ــ٨٧٨؛ ابن تغرى بردى: المصدر السابق؛ أبن خلدون: المصدر السابق. ص ٤١٣ .

الأخيرة من حكم السلطان برقوق بدأ الشرق ثانية يهدد حكم المماليك ، وتمثل ذلك في هجمات تيمور لنك ، والذي استولى علي بغداد وأرسل بتهديد ألي السلطان برقوق . فقام الأخير بقتل رسول تيمور لنك ، واستقبل في الوقت نفسه أحمد بن أويس عدو تيمور الهارب من بغداد استقبالاً ملكياً في ذي القعدة ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م ،وخرج في العام التالي بجيشه إلي سورية لمساعدة ابن أويس علي استرداد بغداد[١] وهذه الواقعة تبين لنا كيف استفاد ابن أويس من حالة العداء القائم ما بين المغول والمماليك في استرداد ملكه . وشبيه بتلك الواقعة ما حدث عام ٨٠٣هـ /١٤٠٠م عندما وفدت جماعة من أصحاب تيمور لنك إلي السلطان الناصر فرج بن برقوق ، وعلي رأسهم السلطان حسين بهادر رأس ميسرة جيش تيمور لنك ، فأكرمه السلطان فرج وخلع عليه واركبه فرساً .....[٢]

٧- الأمن والأمان اللذان تمتعت بهما مصر والشام خلال فترات ليست بالقصيرة من حكم سلاطين المماليك : مثلت فترات الهدوء التي نعمت به البلاد أثناء العصور الوسطى عنصر جذب للعناصر الأجنبية الوافدة ، والتي سئمت من كثرة الاضطرابات والقلاقل التي سادت دولهم .

فنلحظ مثلاً أنه بعد المذابح البشعة التي اقترفها المغول في بغداد ، ومصرع خليفة الإسلام ، وأصيب العراقيون بالرعب من المصير السيء الذي ينتظرهم ، وآثر غالبية الناجون منهم اللجوء إلي بلاد آمنة ، يتمتعون فيها بحماية ملوكها ، لذلك وفد الكثيرون منهم إلي القاهرة بعد أن شعروا بأن بلاد الشام ستكون المسرح التالي لجرائم المغول.[٣] أيضا في عام ٧٣٢هـ /١٣٣١م وفد إلي الإسكندرية بعض أفراد بني عبد المؤمن وأشياعهم من تونس ، بعد أن استولى علي ملكهم بنو حفص ، وعاشوا في الإسكندرية عيشة راضية .[٤] وبسبب الفتن التي وقعت ببلاد المشرق وفد إلي ديار مصر القاضي حسام الدين الغوري – قاضي قضاة بغداد – وولى قضاء الحنفية بالقاهرة ٧٣٨هـ /١٣٣٧م [٥]. وكان من بين الأسباب التي شجعت وفود اللائذون المغاربة إلي مصر ما وجدوه بالبلاد المصرية من أمن وطمأنينة وسلام ، مقارنة بما كانت تعانيه دول المغرب من عوامل الاضطراب [٦]. فإذا كان الحال كذلك في البلد المستقبل ، فماذا عن الحال في البلد المرسل ؟ وما هي الأسباب التي دفعت بالوافدية إلي مغادرة دولهم ، أو طلبهم المساعدة من دولة المماليك ؟ للإجابة عن ذلك يدور المبحث الثاني.

---

[١] المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق١ ، ص ١٢٢ .

[٢] إبراهيم بن دقماق : النفحة المسكية في الدولة التركية (تحقيق عمر عبد السلام ، ط١ ، بيروت ١٩٩٩) ص٢٩٦؛ موير : مرجع سابق ، ص ١٢٧.

[٣] سحر السيد : مرجع سابق ، ص ١٢.

[٤] عمار : مرجع سابق ، ص ٦٢.

[٥] ابن الوردى : المصدر السابق ، ص ٣٠٧.

[٦] عمار : المرجع السابق ، ص ٦١ .

المبحث الثاني

الأسباب الكامنة وراء نزوح الوافدين عن بلادهم، أو اضطرارهم إلي طلب المساعدة من دولة المماليك:

يختلف الوفود السياسي عن الهجرات العادية في أن الأول مسبب. واضطراري لدوافع سياسية أو عسكرية أو أمنية ، أما الثاني فغير مسبب غالباً ، وليس اضطراريا ، إلا إذا كان بدافع اقتصادي ، أو الرغبة في تحسين مستوي المعيشة ، إلي غير ذلك . ويمكن حصر الدوافع التي اضطرت الوافدين سياسياً إلي ترك بلادهم ، واستعانتهم بالمماليك ، في عدة نقاط : -

١- الهجمات البربرية المغولية علي بلاد المشرق . أدى اجتياح الجحافل المغولية لبلاد المشرق وقضائهم علي الحرث والنسل والضرع ، إلي إحداث نوع من الفوضى والرعب لحكام وأهالي تلك البلاد ، واضطرارهم إلي التوجه غرباً واللجوء إلي دولة المماليك طلبا للأمان وحفاظاً علي حياتهم . وفيما يلي ذكر لنماذج من الوافدية الذين قصدوا بلاد الشام ومصر هربا من المغول : - السلطان الناصر يوسف صاحب دمشق في أيام السلطان المنصور علي بن أيبك (٦٥٥-٦٥٧هـ /١٢٥٧-١٢٥٨م) ،[١] الأكراد الشهرزورية ٦٥٦هـ /١٢٥٨م [٢] ، تقى الدين توبة التكريتي من العراق عقب احتلاله [٣] فرقة الخورازمية عقب احتلال العراق [٤] أحمد بن الإمام الظاهر بالله العباسي ٦٥٩هـ /١٢٦٠م[٥] ، بقايا الجيش العباسي [٦] أولاد الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر ٦٥٩هـ[٧]، مماليك الخليفة

---

(١) ابن الوردى: المصدر السابق، ص ١٩٦؛ المقريزى: المصدر السابق، جـ١ ق٢، ص٤١٦؛ تيسير: مرجع سابق ، ص ٥٢ .

(٢) ابن خلدون: مصدر سابق، ص ٣٨٤ ؛ قاسم عبده قاسم : مرجع سابق ، ص ٢٩ ؛ العرينى : مرجع سابق ، ص ٧٢ ؛ Ayalon : Op. Cit, p. 97

(٣) محمد بن شاكر الكتبى : عيون التواريخ (تحقيق نبيلة عبد المنعم ، بغداد ١٩٩١) ص ٢٧٨.

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٤٧٧ ؛ العرينى : مرجع سابق ، ص ٧٢ . الخوارزمية نسبة إلى السلطنة الخوارزمية التى هزمها جنكيزخان فيما بين عامى ٦١٧ ــ ٦٢٢ هـ. أسسها علاء الدين محمد خوارزم شاه عام ٥٩٠هـ وجعلها تمتد من فرغانة إلى بحيرة آرال وضم الضفة اليمنى لنهر سيحون ، واتخذ سمرقند حاضرته والتى تسمى اليوم ازبكستان . القلقشندى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٤٥٣ ؛ شبارو : مرجع سابق ، ص ٤١ .

(٥) محمد الإسحاقى : لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من ارباب الدول (مصر ١٣٠٠ هـ) ص ١٢٩؛ بدر الدين العينى : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، جـ١ (تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة ١٩٨٧) ص ٢٩٣ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق ، ص ٢٠٦ ؛ السيوطى : المصدر السابق ، ص ٥٦٤ ؛ المنصورى : مختار ، ص١٥ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، ص٤٤٨ ؛ النويرى : المصدر السابق ، جـ٣٠ ،ص٢٨ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣٢٣.

(٦) قاسم عبده قاسم : مرجع سابق ، ص ٢٩ -٣٠.

(٧) ابو بكر الدوادارى : كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ٨ (الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية ، تحقيق أولرخ هارمان القاهرة ١٩٧١م) ص٩٠؛ سحر السيد: مرجع سابق، ص ١٤؛ النويرى: المصدر السابق ؛ المنصورى : المصدر السابق، ص ١٧؛ المقريزى : المصدر السابق ، ص ٤٦٧.

المستعصم وعلي رأسهم الأمير سيف الدين سلار ١٥ رجب ٦٦٠هـ /١٢٦١م [١]، علي بن الخليفة المستعصم ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥ [٢]الأمير شمس الدين بهادر ملك شميصاط ٦٧٢هـ /١٢٧٣ [٣]، الأمير سلامش بن أباجو التتري حاكم بلاد الروم ما بين عامى ٦٩٦- ٦٩٨هـ / ١٢٩٦م [٤] ، دمرداش بن جويان صاحب بلاد الروم – من قونية إلي قيسارية – عام ٧٢٨هـ /١٣٢٧م [٥]، القاضي حسام الدين الغوري قاضي قضاة بغداد عام ٧٣٨هـ /١٣٣٧ م[٦] الشيخ يوسف السيرامي الحنفي قبل عام ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م [٧] ، القان غياث الدين أحمد بن أويس الجلايري حاكم بغداد للمرة الأولي عام ٧٩٥هـ /١٣٩٢م [٨] وللمرة الثانية عام ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م وكان معه قرا يوسف بن قرا محمد التركماني صاحب الموصل [٩] ، و للمرة الثالثة كلاهما عام ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣م [١٠] خمسة من أمراء المغول عام ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م [١١] ، ضعفاء العراقيين بأمر ملكهم شاه محمد بن قرا يوسف ٨٢٥هـ / ١٤٢١م [١٢] ، وفي ختام هذه النقطة نشير إلي أن بعض

---

(١) النويرى : المصدر السابق ، ص٥٥ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، ص٤٦٨ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ص٣٢٥.

(٢) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٥٥٤ .

(٣) المنصورى : التحفة ، ص ٧٨ ؛ النويرى : المصدر السابق ، ص٢٠٧ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، ص٦١١ . شميصاط : مدينة على الفرات وتقع في أطراف أرمينية . ياقوت الحموى : مصدر سابق ، جـ٥ ، ص ٢٩٣.

(٤) ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ١١٧ وما يليها ؛ المنصورى : المصدر السابق ، ص ١٥١ ؛ أبن الوردى : مصدر سابق ، ٢٣٦ .

(٥) أبو الفدا : المصدر السابق ، ص ٤٤٧ ؛ ابن خلدون : مصدر سابق ، ص ٤٣٥ ؛ ابن الوردى : مصدر سابق ، ص ٢٧٤ ؛ الدوادارى : مصدر سابق ، جـ٩ (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق هانس رويمر ، القاهرة ١٩٦٠م) ص ٣٤٥. وقونية أعظم مدن الإسلام بالروم ، وقيسارية مدينة كبيرة من بلاد الروم وكانت كرسى ملك بنى سلجوق من ملوك الروم أولاد قلج أرسلان . ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ٧ ، ص١٨٦ ، ١٩٥.

(٦) أبو الفدا : المصدر السابق ، ص ٤٨٠.

(٧) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤ق١ ،ص٦٥.

(٨) محمد بن على الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (ط١ ، جزآن ، القاهرة ١٣٤٨م) جـ١ ، ص٤٢ ؛ ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، جـ٧ (بيروت . د. ت) ص١٠١ ؛ محمد بن صصرى : الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية (تحقيق وليم برينز ، لوس أنجلوس ١٩٦٣) ص ١٤٠ ؛ أحمد بن زمبل : آخرة المماليك (تحقيق عبد المنعم عامر) ص٦ ؛ ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ١٢ ، ص ٥٢ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق٢ ، ص ٧٨٨ وما يليها ؛ الصيرفى : المصدر السابق ، جـ١ ص٣٦٤ وما يليها ؛ ابن دقماق : المصدر السابق ، ص ٢٦٩ ؛ ابن إياس : مصدر سابق ، جـ١ ق٢ ، ص ٤٦٢ ؛ محمد مختار : التوفيقات الإلهامية (ط١ ، مصر ١٣١١هـ) ؛ حكيم أمين عبد السلام : قيام دولة المماليك الثانية (القاهرة ١٩٦٧) ص ١٣٠.

(٩) الشوكانى المصدر : المصدر السابق ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ق٣ ، ص١٠١٣ ؛ ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، ص٢١٥ ؛ ابن أياس : المصدر السابق ، ص ٥٨٢ ، ٥٨٩ ؛ الصيرفى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٦٠ ؛ حكيم : المرجع السابق .

(١٠) المقريزى : المصدر السابق ، ص ١١١٦ ، ١١١٩ ؛ ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، ص ٣١٤ ؛ ابن أياس : المصدر السابق ، ص٦٨٢ ، ٦٨٦ ؛ الصيرفى: المصدر السابق ، ص ١٨٣ ؛ الشوكانى : المصدر السابق ، ص٤٣ ؛ حكيم : المرجع السابق . ص ١٤٥ .

(١١) المقريزى : المصدر السابق . ص ١٠٣٩ .

(١٢) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤ ق٢ ، ص٦١١.

النتاجات الأدبية لهذا العصر لم تغفل حوادث الوافدية ، بل تردد صداها في هذه الأعمال . ومثال ذلك أنه في عام ٧٩٦هـ مدح الشاعر شمس الدين الزرخوني السلطان برقوق قائلاً :

كل الملوك أتت أبواب قلعته ... يستنجدون به في معظم الأمر
أتى له أحمد السلطان منهزما ... في بعض جندله يشكو من القهر
أعانه ثم بالفرسان أنجده ... وقال طب سوف يأتي الله باليسر [1]

٢- النزاعات بين الدول والإمارات المتجاورة: كان لهذه النزاعات الواقعة بين الدول المتاخمة، دور كبير في اضطرار صاحب الدولة المهزومة إلى الفرار منها، ولجوئه إلى دولة أخرى محايدة تضمن له الحماية والأمان . ومن أمثلة الوافدية إلي دولة المماليك لهذا السبب نذكر: أنه في عام ٧٦٧هـ /١٣٦٥م استنجد ملك ماردين بالسلطان المملوكي الأشرف شعبان لوقف توسعات ابن أويس حاكم بغداد والموصل، مهدداً بأنه إذا لم ينجد فإن ابن أويس سيعبر إلى حلب.[2] كذلك اضطر عثمان بن قرايلوك حاكم آمد وقونية ولارنده وغيرها من بلاد قرمان، عقب هزيمته علي يد قرا يوسف صاحب بغداد وتبريز ٨٢١هـ / ١٤١٨م إلي الوفود لحلب مصطحبا معه ألف فارس من جنده[3]. وفي ٢٦جمادي الأولي ٨٣٥هـ /١٤٣١م وفد إلي مصر بيرم صاحب هيت – إحدى مدن العراق الواقعة غرب الفرات – فاراً من أصبهان بن قرا يوسف حاكم بغداد بسبب قتله للسلطان حسين بن علاء الدولة ملك الحلة[4]. وقبيل نهاية الدولة المملوكية نفسها، وفد إلي مصر ملك بغداد مراد خان بن يعقوب ابن حسين الطويل ٩١٤هـ / ١٥٠٨م مطالبا السلطان قنصوة الغوري تزويده بجند لمحاربة إسماعيل شاه الصفوي ووقف توسعاته بعد أن استولي علي بغداد[5].

٣- الاستنجاد بدولة المماليك في حروبهم الداخلية: أسهمت النزاعات الداخلية في بعض الدول، إلي إيجاد حالة من عدم الاستقرار داخل هذه الدول نتيجة التصارع علي السلطة مما اضطر البعض – حكاما ومحكومين – إلي ترك بلادهم والوفود إلي دولة المماليك ، إما: بهدف كسب تأييدها، وإما لطب المساعدة

---

[1] ابن صصرى : المصدر السابق ، ص١٥٣.
[2] المقريزى : المصدر السابق جـ٣ ق١ ، ص ١٢٢ .
[3] الصيرفى : المصدر السابق ، ص ٤٢٣ .
[4] المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤ق٢ ، ص ٨٦٦ ؛ الصيرفى : المصدر السابق ، جـ ، ص٢٣١ . الحلة اسم لعدة مواضع أشهرها ، حلة بنى مزيد وهى مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تسمى الجامعين وتعد أفخر بلاد العراق . وهناك حلة بنى قيلة بين واسط والبصرة ، وهناك حلة بنى دبيس بن عفيف قرب الحويزة من ميسان قبين واسط والبصرة والأهواز . ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص٣٢٧ –٣٢٨ .
[5] ابن أياس : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص١٤٣ .

في القضاء علي المناوئين وهنا نلحظ تباينا في موقف السلطة المصرية إزاء الوفود من هذا النوع؛ يحكمها في ذلك المصلحة الشخصية واعتبارات أخرى كثيرة مثل : موقف دولة المماليك من بلد هؤلاء الوافدين، والنتائج المترتبة علي مساعدتهم إلي غير ذلك . كذلك نلحظ أنه قد لعب قدوم الوافدية أحيانا من بلد معاد دوراً كبيراً في غزو هذا البلد والقصاص من حكامه علي ما اقترفوه سابقا من تعديات علي حكم المماليك بمصر والشام. وجاء هذا الغزو تحت ستار نصرة الوافد المستجير، بينما هو في الحقيقة غزو بهدف التأديب، وتأمين الحدود، وإيجاد موارد مالية إضافية ، وضم بلاد جديدة وتعيين نواب عليها موالين لرجال السلطة المملوكة في مصر. وفيما يلي أمثلة توضح ذلك:- في عام ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥م حضر إلي مصر مشكد – وفي وراية ثانية مرتشكر[١] وثالثة شكندة[٢] – ابن أخت ملك النوبة لاجئاً بسبب اغتصاب مملكته من قبل خاله داود – وفي رواية أخرى ابن أخيه داود[٣] – فوجد السلطان بيبرس في ذلك فرصة للقصاص من داود على ما ارتكبه في حق مصر من مهاجمته لثغرى أسوان وعيذاب، وتعديه علي التجار المماليك ، وقطعة البقط ، وقطعة طريق الحاج، وأعان مشكد بقوة أعادت إليه ملكه في النوبة .[٤] وفي ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م وفدت جماعة من أمراء الروم للاستنجاد بسلطان مصر[٥]. وفي العام نفسه وفد أثنا عشر أميراً آخر من أمراء الروم غاضبين من معين الدين سليمان البرواناه.[٦] وفي عام ٦٨٥هـ / ١٢٨٦ م أرسل آدر ملك مملكة الأبواب رسلا للاستنجاد بالسلطان قلاوون في نزاعه مع سامون ملك النوبة ودنقلة.[٧] كذلك وفد القائد سلامش المغولي إلي مصر ٦٩٧ هـ/١٢٩٧م طالبا نجدة من السلطان لاجين تعينه في حربه ضد السلطان غازان .[٨]

---

(١) المنصورى : مختار ، ص ٥٥.

(٢) عاشور : مصر في عصر دولة المماليك البحرية (سلسة الألف كتاب ، كتاب رقم ٢٢٧ ، د. ت) ص ٧٨ ؛ عمار : مرجع سابق ص ١١٠ .

(٣) عمار : المرجع السابق ؛ عاشور : المرجع السابق .

(٤) المقريزى: المصدر السابق ،جـ١ق٢ ، ص٦٢١ ؛ المنصورى: المصدر السابق ؛ عاشور المرجع السابق؛ عمار :المرجع السابق .

(٥) النويرى : مصدر سابق ، جـ٣٠ ص ٢٣٣.

(٦) النويرى : المصدر السابق ، ص ٢٣٤ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، ص ٦٢٥ .

(٧) النويرى : المصدر السابق ، جـ٣١ ، ص ٣٩ ؛ عمار : مرجع سابق ، ص ١١٥ .

(٨) أبو الفدا : المصدر السابق ، ص ٣٧٥ ؛ النويرى : المصدر السابق ، ص ٣٧٣.

وللمرة الثالثة وفد لمصر أياي صاحب دنقلة بهدية للسلطان عام ٧٠٤هـ /١٣٠٤م وطلب منه نجدة "لم يرده خائباً " [١] وفي عام ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م وفد إلي مصر زكريا أبي يحي اللحياني سلطان تونس المخلوع وطلب نجدة من السلطان الناصر محمد لاستعادة عرشه المغتصب.[٢] ولنفس السبب وفد إلي مصر جوبان نائب الروم ٧١٩هـ / ١٣١٩م بعد أن أتقع مع القان أبو سعيد ، وبالرغم من سوء علاقته مع دولة المماليك إلا أن وزيره علي شاه ظل وراء السلطان الناصر حتى رضي عنه وأمده بجيش.[٣] وفي إطار الصراعات المستمرة ببلاد النوبة لجأ ملكها كرنبس إلي مصر عام ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م طالباً نجدة لاستعادة عرشه المغتصب علي يد كنز الدولة .[٤] وبعد أن رفض السلطان الناصر محمد طلب المجاهد سيف الدين بن رسول ملك اليمن بخصوص طلب نجدة بسبب تقلص سلطانه ٧٢٤هـ / ١٣٢٣م ، اضطر الناصر أمام إلحاحه وإغراءاته إلي الموافقة عام ٧٢٥هـ [٥] وعلي صعيد أخر كانت هناك بعض الفلول الأيوبية ، التي تدين بالتبعية لدولة إيلخانات فارس ، مثل الملك الصالح صاحب حصن كيفا ، والذي وفد إلي مصر طالبا الحماية منهم عام ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥م [٦] كذلك في إطار الإضطرابات التي شملت مملكة المغول عقب وفاة القان أبو سعيد ، نجد أنه في عام ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥م طلب نائب بغداد علي باشا المساندة من الناصر محمد بمصر لكي يوسع دائرة نفوذه ، ويضم الموصل وديار بكر من أولاد سوتاي.[٧] أيضا لجأ أرتنا النائب المغولي ببلاد الروم إلي السلطان الناصر محمد طالبا : " إما يمده بعسكر يتقوى به علي أهل الشرق ، أو يأوى إلي بلاده إن انهزم" وذلك في محاولة منه للإنفراد بمملكة الروم عام ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م.[٨] واستمراراً لمسلسل النزاعات ببلاد النوبة أرسل متملك دنقلة – أو دمقلة – كل من الأمير ركن الدين كرنبس والحاج ياقوت الترجمان عام ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م لطلب النجدة من سلطان مصر ضد ابن أخته ، الذي استعان بعربان بني جعد وأولاد الكنز وطائفة العكارمة وقتل الملك واعتلى سرير المملكة ، ونقل مقر الحكم إلي قلعة الدو.[٩] ثم في عام ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م تجددت النزاعات بالنوبة وهرب صاحبها ناصر الدين من ابن عمه ووفد إلي مصر.[١٠] كذلك في عام ٨٣٨هـ /١٤٣٤م أراد الأمير صارم الدين إبراهيم بن قرمان استرداد مدينة

---

(١) الحسن بن حبيب : تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه (ثلاثة أجزاء ، تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة ١٩٧٦) جـ١ ، ص ٢٦٣ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق ، ص ٢٤٥ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ص ٣٩١ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ق١ ص ٨٠٧ ؛ مختار: مرجع سابق ، ص ٣٥٣ .

(٢) ابن أياس : مصدر سابق ، جـ١ق١ ، ص ٤٤٠ ؛ عمار : مرجع سابق ، ص٦٢ .

(٣) عماد الدين بن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٤ (ط٤ ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٨٢) ص ٩٤ .

(٤) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٢٥٠.

(٥) الداوداري : المصدر السابق ، جـ٩، ص٣١٨؛ ابن حبيب: المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٤٩ ؛ المقريزى : المصدر السابق ص ٢٥٤ ، ٢٦٠ ؛ ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ٨٥ ؛ القلقشندى : مصدر سابق ، جـ٥ ، ص ٥٣ .

(٦) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٢٧٦ .

(٧) اليوسفى : مصدر سابق ، ص ٣٠١ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق٢ ، ص٣٩٧ .

(٨) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٤٤٥ .

(٩) ابن أياس : المصدر السابق ، جـ١ ق٢ ، ص٢٩ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق١ ، ص ١٠٩ .

(١٠) ابن دقماق : مصدر سابق ، ص٢٩١ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ق٢ ، ص ٨٨٧ .

قيصرية من مغتصبها ناصر محمد بن دلغادر نائب أبلستين - فترامي ...علي السلطان ... أن يملكه- [١] وفي إطار هجمات المسيحيين بغرب أوربا علي دولة الإسلام بالأندلس نجد أن في يوم الاثنين ٢٤ من رجب ٨٤٤هـ / ١٤٤٠ م جاءت سفارة من السلطان الغالب بالله أبي عبد الله الأيسر ملك غرناطه ، لشرح سوء حالتهم مع نصارى أهل قرطبة وإشبيلية ، ويسألون السلطان جقمق نجدتهم. [٢] ولم يقتصر الأمر علي الممالك الإسلامية بل تعداه إلي المسيحية . فنجد في المحرم ٨٦٣ هـ / ١٤٥٨ م لجأ إلي مصر Jecques ابن ملك قبرص Jean II de lusignan مستنجداً بالسلطان إينال ، وطالبا معاونته في العودة للحكم بعد أن اغتصبته منه أخته شارلوت .[٣] وإذا عدنا إلي أخبار المغول نجد أنه في عام ٨٨٠ هـ / ١٤٧٥م وفي إطار الصراع بين محمد أغرلو بن حسن الطويل مع أبيه ، استنجد محمد بنائب حلب.[٤] وقد استثمر العثمانيون هذه الفرصة وحاولوا توسعة أملاكهم علي حساب مملكة حسن الطويل في عام ٨٩٧ هـ / ١٤٩١ م مما حدا بالمماليك إلي أخذ بعض الإجراءات ضدهم كما سيتضح فيما بعد . وقبيل نهاية دولة المماليك نفسها نجد أنه أتت إليها سفارة أندلسية ثانية لطلب المساعدة عام ٨٩٢هـ / ١٤٨٦م[٥].

٤- فرارا وهروبا من دولهم : شهد عالم العصور الوسطى حالات كثيرة من الفرار الفردي والجماعي، ووفود هؤلاء الهاربين إلي دولة المماليك بمصر والشام . وبعد حصر حالات " الوفود الهروبي" هذه تبين أن أسباب هرب هؤلاء تباينت ما بين : - كثرة الصراعات والتناحر علي السلطة ببلادهم؛ نجاح بعض الثورات في إقصائهم ؛ احتلال بلادهم ؛ فراراً من ثأر عليهم ؛ أو حصار مفروض حولهم؛ أو اضطهادهم وإساءة معاملتهم؛ أو مخافة القتل؛ وفي حالات قليلة جاء هؤلاء الفارون طوعاً لأسباب تتعلق بهم . وفيما يلي أمثلة تبرهن علي ما سبق: - في عام ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م وصل إلي القاهرة ما يزيد عن مائتي فارس تتري مستأمنين بسبب عداوة وقعت بين سيدهم بركه خان زعيم مغول القفجاق وهولاكو خان .[٦] وفي عام ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ وقع خلاف بين أمراء الروم علي البروناه ، ففارقته جماعة ، وقدموا إلي سلطان مصر بعائلاتهم .[٧] كذلك هرب أحد أبناء الشيخ عدى " الذي يعتبره أكراد الموصل بمثابة نبي " من الموصل خوفا من أخيه ، وذلك في العام آنف الذكر ، وأصطحب معه أربعمائة نفس ، بالإضافة إلي مواشيه ونزل بسورية ؛ وفي العام التالي هرب أخوه الثاني من الموصل إلي مصر مع امرأته

---

[١] المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤١ ق٢ ، ص٩٤٥ . أبلستين : مدينة مشهورة ببلاد الروم قريبة من أبسيس - إفسوس - مدينة أصحاب الكهف . ياقوت الحموى : مصدر سابق ، جـ١ ، ص ٨٦ .

[٢] المقريزى : المصدر نفسه ، جـ٤ق٣ ، ص ١٢١٩ ؛ عنان : المرجع السابق ، الجزء نفسه ، ص١٦١ .

[٣] ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣٥٤ ؛ العبادى : البحرية المصرية زمن الأيوبيين والمماليك (ضمن بحوث تاريخ البحرية المصرية . جامعة الإسكندرية ١٩٧٣م) ص ٥٤٥ ، ح(٥)

[٤] ابن إياس : المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص١٠٨ .

[٥] عنان : المرجع نفسه ، ص ٢١٦ .

[٦] السيوطى : المصدر السابق ، ص ٥٦٥ ؛ النويرى : المصدر السابق ، جـ٣٠ ، ص٦٣ ؛ المقريزى : الخطط جـ٢ ، ص١١٧ ؛ السلوك جـ١ق٢ ، ص٤٧٣ ؛ العرينى : مرجع سابق ، ص٥٩ - ٦٠.

[٧] أبو الفرج بن العبرى : تاريخ الزمان (تعريب إسحاق أرمله ، بيروت ١٩٩١) ، ص ٣٣٤ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، ص ٦٢١ .

التترية.[١] ثم جاءت بعد ذلك إلي دولة المماليك أكبر موجات الهروب الجماعي عام ٦٩٥هـ / ١٢٩٥ م ، وهم ما عرفوا بالطائفة العويراتية ، هرب بهم مقدمهم طرغيه خوفا من قازان ، والذي أراد قتله أخذا بثأر عمه كيختو.[٢] وإن كانت بعض المصادر[٣] ترجع بسبب وفودهم إلي ما ارتكبوه من سرقات. واستمراراً لوفود التتار فقد قدم كثير منهم ، ودخل في طاعة السلطان المملوكي عام ٧١٢هـ / ١٣١٢ م ، وذلك هرباً من قائدهم خربندا وضجرهم من حصار الرحبة بعد استعصائها عليهم .[٤] وفي منتصف عام ٧١٨ هـ / ١٣١٨م هرب أبو زكريا يحي اللحياني الحفصي من تونس إلي طرابلس الغرب بسبب نزاعه مع آخرين علي ملك تونس ، ولما آيس اللحياني من الرجوع هرب بأهله إلي الإسكندرية عام ٧١٩هـ / ١٣١٩م.[٥] ومن المغرب نزح أيضا إلي مصر – قبل عام ٧٣١هـ/ ١٣٣٠ – أبو دبوس المغربي والي مملكة قابس بعد أن نزعت منه.[٦] وقد أرجع البعض[٧] قدوم المغاربة إلي ما كانت تعانيه دولهم من عوامل الإضطرابات . وقد تكرر المشهد مرات عدة عقب ذلك ، لال سنوات متفرقة ، فنجد وزير تونس في الدولة الحفصية محمد بن تافراكين ، يفر إلي الإسكندرية عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨ حينما اندرجت تونس تحت لواء بني مرين .[٨] كذلك وفد إلي مصر عبد الحليم المريني صاحب سجلماسة عام ٧٦٦هـ / ١٣٦٤م بعد تغلب أخيه عبد المؤمن عليه .[٩] ويبدو أن سجلماسة كانت مطمعاً للكثيرين مما اضطر حاكمها محمد بن الحكم الذي نصبه عرب المعقل ، إلي التوجه لمصر والاستقرار بها حتى الوفاة ٨١٠هـ / ١٤٠٧م .[١٠] وخلال هذه الفترات

---

(١) ابن العبرى : المصدر السابق ، ص ٣٣٢ ، ٣٣٥ .

(٢) ابن خلدون : مصدر سابق ، ص ٤٠٨ ؛ المنصورى : التحفة ، ص ١٤٦ ؛ المقريزى المصدر السابق جـ١ق٣ ، ص٨١٢ ؛ ابن تغرى بردى : مصدر سابق ، جـ٨ ، ص٦٠ ؛ ابو الفدا : مصدر سابق ، ص ٣٧٠ ؛ اليوسفى : مصدر سابق ، ص ١٦٩ ح (٢) ؛ ابن الوردى : مصدر سابق ، ص ٢٣٣ ؛ النويرى : مصدر سابق ، جـ٣١ ، ص ٨٨ ح(١) ، ٢٩٦ ؛ الدوادارى : مصدر سابق ، جـ٨ ، ص ٣٦٠ ؛ قاسم عبده قاسم : مرجع سابق ، ص ٢٩ ؛ حكيم أمين : مرجع سابق ، ص ١٨ ؛ العرينى : مرجع سابق ، ص ٦١ ؛ على إبراهيم حسن : دراسات في تاريخ المماليك البحرية (القاهرة ١٩٤٨) ص ٣٥٣ ؛ مصر في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٤٩) ص ١٤٦ ؛ Ayalon : Op. Cit p. 89

(٣) ابن العبرى : المصدر السابق ، ص٣٧٩ .

(٤) أبو الفدا : المصدر السابق ، ص ٤١٣ .

(٥) ابن الوردى : مصدر سابق ، ص ١٨٦ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق١ ، ص١٩٤ ، ٢١٥ ؛ ابو الفدا : المصدر السابق ، ص ٢٩٧.

(٦) ابن الوردى : المصدر نفسه ، ص ٢٨٦ .

(٧) عمار : المرجع السابق ، ص ٦١.

(٨) عمار : المرجع نفسه ، ص ٦٤.

(٩) ابن اياس : المصدر السابق جـ١ ق٢ ، ص ١٩ ؛ عمار : المرجع السابق . ص٦٥ . سجلماسة : مدينة في جنوب المغرب بينها وبين فاس عشرة أيام. ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص٤١ .

(١٠) عمار : المرجع السابق .

المضطربة أيضا وفد لمصر الشيخ الفقيه أبـو عبـد الله التلمسـاني بعـد أن أفـرج عنـه مـن سـجن أبـو عنـان المريني، وولاه الأشر ف شعبان عدة مناصب وظل حتى توفي ٧٨١هـ / ١٣٧٩م [١].

وإذا ما ألقينا نظر ة علي الأرضي الحجازية. سنجد أنها أيضا لم تخل من بعض النزاعات العائلية. منها ما وقع في جمادي الأولي ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م بمكة. إذ قام الشريف أحمد بن عجلان بالقبض علي الشـريفين: حسن بن ثقبة؛ وعنان بن مغامس وقصد إتلاف الأخير وكحل عينيه، إلا أن عنان فر من ابن عمه ولجـأ إلي السلطان برقوق بمصر[٢]. ويبدو من تسلسل الأحداث بعد ذلك أن برقوق لم يرق له ما فعله ابن عجلان. ومن ثم أرسل إليه فداوية قتلوه ، وخلع علي الشريف عنان بإمرة مكة.

وإذا ما تركنا المغرب والجنوب واتجهنا ناحية المشرق ، وجدنا أن موجات الوافدين لم تنقطع. ففي صفر ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م قدم وزير بغداد نجم الدين محمود بن علي، ومحتسب بغداد حسام الدين الغوري، ونائب الحلة فخر الدين محمود وعدد من الأعيان ممتطين خمسمائة بعير، هربا من العراق، بعد قتلهم القان موسي ملك التتر[٣]. وإلي حلب فر الأمير التركماني سالم الدكري عام ٧٨٥هـ / ١٣٨٣ م هربا مـن إغـارة الأمـير قـرا محمد حاكم الموصل علي بيوته بقصد تأديبه بسبب نهبه لحجاج الموصل[٤]. كذلك وصـل مـن مدينـة تـبريز مسعود بن الشيخ محمد في صفر ٧٩٧هـ / ١٣٩٤ م هربا من تيمور لنك[٥]. علما بأن مسعود هذا كان مبعوث تيمور لنك إلي المصريين . ودليلا علي ما كان يسود بلاد المشرق مـن اضطرابـات وقلاقـل ، لاحظنـا اسـتمرار مجيء الوافدين من تلك البلاد هربا من واقعهم الأليم . فجاء إلي القاهرة في العـام آنـف الذكـر ولـد بـن علـى شاه زاده بعائلته – وفي رواية السلطان بن جلال الدين شيخ حسن بن السلطان أويـس .[٦] – هربـا مـن عمـه القان أحمد .[٧] وعما قريب هرب أحمد بن أويس نفسه من العراق ، ومعه قرا يوسف صاحب الموصـل وأتيـا إلي الشام عام ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩م بعد أن هزمها أهل بغداد.[٨] وحينما أغار تيمـور لنـك علـي بـلاد الشـام في العام التالي ، هربت فرقة من جنده تحت قيادة ابن أبنتـه وقـائد ميسـرة جيشـه السـلطان حسـين بـهادر ، ودخلوا تحت طاعة السلطان .[٩] وفي عام ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م فر أحمد بن أويس صاحب بغداد وتبريز للمـرة الثانية إلي حلب – رغم ما صدر منه في المرة السابقة من إساءة – بعد فتنة وقعت بينه وبين أبيه " وسأل إن

---

[١] ابن قنفذ : المصدر السابق ، ص ٣٧٣ ، ح (٣).

[٢] الصيرفى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٤٤ ؛ ابن أياس : المصدر السابق ، ٣٧١ ؛ حكيم أمين : مرجع سابق ، ص ١٥٦ .

[٣] المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ق٢ ، ص٤٣٧ ؛ الخطط ، جـ٢ ، ص ٥٠.

[٤] المقريزى : السلوك ، جـ٣ ق٢ ، ص٤٨٩ .

[٥] الصيرفى : المصدر السابق ، الجزء نفسه ، ص ٤٠٤ .

[٦] الصيرفى : المصدر نفسه .

[٧] المقريزى : المصدر السابق ، ص ٨٣٢.

[٨] الشوكانى : المصدر السابق ، ص ٤٢ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق٣ ، ص١٠٢١ ؛ ابن دقماق : المصدر السابق ، ص ٣١٢ .

[٩] ابن دقماق : المصدر نفسه ، ص ٣١٨ .

لم يقبلوه يذهب إلي بلاد الروم " فقُبل.[١] كذلك وفد إلي حلب عام ٨٢١هـ / ١٤١٨م الأمير فخر الدين عثمان بن طور علي المدعو قرا يلك صاحب آمد، والسبب أنه أغار علي ماردين وحرقها وهي من بلاد قرا يوسف فغضب الأخير واستولي علي آمد، وأرسل فرقة لتتبع قرا يلك، بعد أن قطع الفرات متجها لحلب في نحو ألف فارس[٢] وبالرغم من حالة العداء التي كانت سائدة بين دولة المماليك والتركمان أحيانا إلا أنه وقت الخطر اضطر بعضهم إلي الوفود لدولة المماليك. وهذا ما حدث في ١٠ رمضان ٨٢٧هـ حينما قدم إلي القاهرة الأمير علي باك ابن خليل بن قراجا بن دلغادر كبير التركمان وصاحب مدينتي أبلستين ومرعش بسبب ما وقع بينه وبين أخيه ناصر الدين محمد من عداوة وحروب "فمن قهره وصبره تجرأ علي القدوم".[٣] وفي يوم الأثنين ٢٨ ذي الحجة ٨٣٠هـ / ١٤٢٦ وفد إلي ديار مصر محتميا بالسلطان برسباي الأمير عيسي بن محمد باك بن قرمان فارا من أخيه إبراهيم باك بسبب تقاتلهما علي الملك ، وهزيمة عيسي[٥]. وفي العام نفسه قدم للقاهرة سبعة من أكابر الفرنج هربا من صاحب قبرص[٦] وبعد ذلك بسنوات أربع قدم إلي القاهرة ككجاموس التركماني والي مدينة الموصل وأعمالها، وإسكندر بن قرا يوسف صاحب تبريز وأذربيجان، بعد أن هزما علي يدي شاه رخ بن تيمور لنك صاحب سمر قند وبخاري وشيراز وغيرهم، وآل حكم الموصل إلي اصبهان أخو إسكندر[٧]. ويبدو من مجريات الأحداث بعد ذلك أن الأمر لم ينته عند هذا الحد، إذا يذكر المقريزي[٨]. أنه في عام ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣م استولي أصبهان بن قرا يوسف علي بغداد والموصل، وأخرج أهل المدينتين بعائلاتهم، فتمزقوا في البلاد، وأتي منهم لمصر والشام أعداد لا تقدر. في عام ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م وفد إلي حلب ومصر الأمير علي باك بن قرا يلك، وأبنه جهان شاه حاكم أرزنكان، بعد أن ثار عليهما الأمير يعقوب أخو علي باك.[٩] كذلك لجأ لمصر في شعبان ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م السيد علي بن بركات الحسني غاضباً من أخيه محمد أمير مكه[١٠] وفي رمضان ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م قدم لمصر شاه بضاع، بعد أن استولي أخوه شاه سوار علي بلاده[١١]. لا نعرف علي وجه الدقة سيرة شاه بضاع بعد ذلك في دولة المماليك، وإن كانت الوقائع تشير إلي أنها لم تكن حميدة، بدليل أنه سجن بقلعة دمشق، ثم هرب منها وتوجه إلي العثمانيين، وبعد فترة اختلف معهم وقصدوا قتله، ففر منهم ولجأ إلي مصر ثانية في المحرم ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م[١٢]. ومن

---

(١) الصيرفى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٨١ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤ ق١ ن ص ٤٥٨ — ٤٦٠ .

(٣) الصيرفى : المصدر السابق ، ص ٤٣٦ ؛ جـ٣ ، ص ٥٤ . مرعش : مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم . ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص٢٥ .

(٥) الصيرفى: المصدر السابق، جـ٢، ص ١٢٢؛ العينى: عقد الجمان. حوادث أعوام ٨٢٤ — ٨٥١ (تحقيق عبد الرزاق الطنطاوى، ط١ ، القاهرة ١٩٨٩) ص ٣٢٠.

(٦) العينى المصدرالسابق ، ص ٣١٨ .

(٧) العينى : المصدر نفسه ، ص ٤٠٢ . أذربيجان : تمتد من برذعة شرقا إلى أرزنجان غربا وتتصل شمالا ببلاد الديلم والجبل ، ومن اشهر مدائنها تبريز وهى عاصمتها الجديدة بعد المراغة . وهى مملكة عظيمة يغلب عليها الجبال . وبها قلاع وبساتين . فتحها حذيفة ابن اليمان أيام عمر . ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ١ ، ص١٥٩ —١٦٠ ، جـ٢ ص ٣٦٢ .

(٨) المصدر السابق ، جـ٤ ق٢ ، ص ٩١٨ .

(٩) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤ ق٣ ، ص ١١٠٥ ؛ الصيرفى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٥٧ —٥٨ .

(١٠) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص١١.

(١١) ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٤٤.

(١٢) ابن إياس : المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

حالات الوفود أيضا في تلك الفترة ، قدوم حسين بك مرزاه بن محمد أغرلو ، وهو شاب في الثامنة عشرة من عمره، خافت عليه أمه أن يقتله أعمامه، فأتت به إلي السلطان قايتباي في شوال ٨٨٢هـ / ١٤٧٧م[١] أيضاً جاء في رجب ٨٩٩هـ / ١٤٩٣م شخص يدعي نورعلي من ماردين ، فاراً من رستم حاكم العراق لذنب أوجب ذلك.[٢] وفي يوم الأربعاء ١٧ المحرم ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠ م فر ا بن بداق إلي حلب هربا من العثمانيون.[٣] وقرب نهاية الدولة وفد إلي الأبواب الشريفة السادة الأشراف أخوة السيد بركات أمير مكة بعد هزيمتهم منه ، و ذلك يوم الخميس ٢٠ جمادي الأولي ٩٢٠هـ / ١٥١٤م[٤] وفي يوم الخميس ٢٧ شوال ٩٢١هـ / ١٥١٥م حضر إلي مصر أصغر أبناء علي دولات الكبير بن دلغادر ، ليكتمل بذلك أولاد علي دولات وأخيه عبد الرازق جميعهم بدولة المماليك.[٥]

هذا ما عثرنا عليه من حالات وفود سياسي هرب أصحابها لدولة المماليك . وتبين لنا تنوعها ما بين : مشارقة ومغاربة وجنوبيين ، واستكمالاً للدائرة تبقي لدينا فقرة واحدة تختص بالعثمانيين ، آثرنا إيرادها مجملة لما لها من أهمية خاصة في الصراع المملوكي العثماني ، والذي انتهي بدخول البلاد حظيرة الدولة العثمانية . فقد شكل قبول دولة المماليك للهاربين العثمانيين أحدى الركائز التي ادعتها الدولة العثمانية لغزو مصر والشام . فمن هم هؤلاء العثمانيون الوافدون لدولة المماليك بمصر والشام ؟

بداية وفي أواسط القرن التاسع الهجري – ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م – هرب الأمير سليمان بن أورخان بك بن محمد كرشجى بن عثمان وأخته شاه زاده وأمهما وخادمهم طوغان إلي حلب ومنها إلي القاهرة حيث السلطان برسباي، وكان سبب لجوئهم لمصر، ما تعرض له أورخان والد سليمان من سجن ووفاة علي يد أخيه مراد بك العثماني صاحب برصا وغيرها من بلاد الروم[٦] وفي يوم الجمعة ٢٢ جمادي الأولي ٨٨٦هـ / ١٤٨١م دخل الأمير محمد جم الشهير بالجمجمة بن السلطان مراد بن محمد بن عثمان نائب طوقات إلي دمشق مصطحبا معه مائة نفس، وفي ليلة الثلاثاء ٣ رجب خرج منها متوجهاً إلى القدس فالقاهرة، وهذا الأمير لجأ إلي دولة المماليك بعد أن اختلف مع أخيه السلطان العثماني بايزيد، ثم اقتتلا فهُزم، مما اضطره إلي الهرب بأسرته لكيلا يقتل[٧] وفي المصاف الذي وقع بين جند مصر والعثمانيين عام ٨٩٣هـ/١٤٨٧م، حضر الجند المماليك للقاهرة في ربيع الأول ٨٩٤هـ ، وحضر صحبتهم جماعة كبيرة من عسكر ابن عثمان باختيارهم طائعين فأنزلهم السلطان الأشرف قايتباى في ديوانه، وسموا بالعثمانية[٨]. وفي إطار الصراع على

---

(١) ابن إياس : المصدر نفسه ، ١٣٩.

(٢) ابن إياس : المصدر نفسه ، ص ٣٠٢ .

(٣) ابن طولون : المصدر السابق ، ق١ ن ص٧.

(٤) ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٣٨٣ .

(٥) ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٤٨٣.

(٦) الصيرفى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٣٧١ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤ ق٢ ، ص ٩٩٧ ؛ جـ٤ ق٣ ، ص ١٠٦٤ ؛ العينى : عقد الجمان ـ حوادث ، ص ٤٨٤ .

(٧) عز الدين المقدسى : المفاخرات الباهرة (تحقيق محمد الششتاوى ، ط١ ، القاهرة ١٩٩٩) ص ٢٣ ؛ ابن طولون : المصدر السابق ، ص٤٣، ٤٧، ٥٣ ؛ السيوطى : المصدر السابق ، ص ٦١٠ ؛ ابن إياس : المصدر السابق ، ص ١٨٣ ؛ شبارو : مرجع سابق ، ص١١١ ؛ وليم موير : مرجع سابق ، ص ١٧٣ . طوقات : مدينة وقلعة بنواحى أرمينية من أعمال أرزن الروم . ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص٧٢ .

(٨) ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٢٦١ .

الملك في الدولة العثمانية استولى السلطان سليم الأول على عرش والده بايزيد بغير رضاه. ودخل القسطنطينية وأقر أخوه ومنافسه أحمد على حكم برصه كما هو . وأخوه قورقود حاكما على المغنيسا ببر أناضول كما هو ، وفي سبيل رغبته في الاستقلال بالملك أرسل بقتلهما . فلم علم قورقود هرب إلى مصر مستجيرا بالسلطان الغورى وذلك في عام ٩١٨هـ / ١٥١٢م[١] وفي يوم الخميس ٦ ذى القعدة من العام نفسه ، وفد لمصر سليمان بك بن أحمد بك بن عثمان هربا من عمه سليم ، بعد مطاردته له ولوالده ، فآثر والده أحمد اللجوء إلى الدولة الصفوية ، بينما فضل سليمان مصر حسب رواية ابن إياس[٢] . والذي يخبرنا أيضا بأنه كان في مصر كذلك أخ لسليمان يدعى علاء الدين ، وكلاهما توفيا بالطاعون عام ٩١٩هـ / ١٥١٣م . ويبدو أن أحمد بك لم يوفق في هروبه ، ونجح أخوه سليم في الإيقاع به وقتله ، وهنا فر ابنه الثالث قاسم ووفد إلى حلب خلسة مع مربيه ، فلما علم به السلطان الغورى أحضره إلى القاهرة في عام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م [٣]

هذا ما أمكننا رصده من فرار العثمانيين لدولة المماليك ، وجديعهم لقوا معاملة حسنة . وأمدهم المماليك بما احتاجوه وربما هذا ما حدا بالبعض [٤] إلى القول بأن أسباب توتر العلاقات بين المماليك والعثمانيين مرجعها إلى قبول مصر للهاربين من الدولة العثمانية ، بالإضافة إلى أن نزاع دويلات أسيا ولجوء بعضهم إلى مصر والبعض الآخر إلى العثمانيين ساهم في تأجيج الصراع بين الدولتين . وإن كان هذا الرأى على جانب من الصواب ، إلا أنه لم يمثل كل الحقيقة. إذ كانت هناك عوامل داخلية وخارجية تتصل بكلتا الدولتين ، وأسفرت عن وقوع الصدام بينهما . وليس المجال هنا للخوض فيها.

٥- طلباً لوساطة مصر من أجل حل مشكلاتهم ، أو إصلاح أمورهم أو إجراء الصلح وتوقيعه بينهم وبين أعدائهم ، أو الاستشفاع لهم. وهذا سبب جديد يضاف إلى الأسباب السابقة التى من أجلها غادر الوافدون بلادهم وقصدوا دولة المماليك ، أملا في إقحامها لحل مشكلاتهم ، وذلك استنادا إلى ما كانت تتمتع به الدولة من علاقات وتأثيرات مع دولهم. ومن أمثلة ذلك نذكر قدوم رسل ملك البلغار حنا إسكندر في عام ٧٣١هـ / ١٣٣٠م بهدف طلب وساطة مصر لدى السلطان العثمانى أرخان كى يوقف غاراته على شواطئ البلغار ، وربما خشية من تدخل السلطان الناصر لدى القسطنطينية لإرجاع غريمه حنا إستيفن إلى عرش البلغار[٥] . وقد علق القلقشندى[٦] على هذا الموضوع بقوله " وذلك لعظمة سلطانه

---

(١) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٥٢ ؛ ابن زنبل : المصدر السابق ، ص ٢٠-٢٢ ، مختار : مرجع سابق ، ص ٤٥٩ ؛ موير : مرجع سابق ، ص ١٨٧. ومن الجدير بالذكر أن ابن إياس أرخ لسنة قدومه بعام ٩١٥هـ . ولكن بالرجوع إلى معجم الأسرات الحاكمة لبوزورث تبين أن سليم الأول تولى عام ٩١٨هـ . وهذا يؤكد صحة رواية ابن زنبل وتاريخها لذلك اثبتناه بالمتن .

(٢) المصدر السابق ، ص٢٨٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ .

(٣) ابن إياس : المصدر السابق ، جـه ، ص٤٩ ؛ موير : مرجع سابق ، ص ١٨٧ .

(٤) موير : المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

(٥) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق٢ ، ص ٣٣٦ - ٣٣٧ ح (٧)

(٦) المصدر السابق ، جـه ، ص ٤١٨ -٤١٩ .

عليهم ، وأخذه بخناقهم لقربه منه". وبناء على ذلك يمكن الترجيح بأن غرض السفارة كان طلب وساطة مصر وتأييدها ومساندتها للأحداث الجارية بالبلغار . وفي عام ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م قدم رسول الشيخ حسن الكبير متولى تبريز وبغداد – عاصمتا دولة إيلخانات فارس – طالبا من السلطان الناصر محمد أن يصلح بينه وبين طغاى بن سونتاى ، فأجابه الناصر بأن أرسل أحد أقاربه ويدعى أمير أحمد إلى طغاى بهدية لإقامة الصلح [١] . ونعرف بعد ذلك أنه بالفعل نجح الأمير احمد في عقد الصلح بينهما . وبسبب كثرة حروب السلطان برقوق وحاجته الدائمة إلى الخيل ، فقد حافظ على علاقات ودية مع بلاد المغرب العربى التى تزوده بها. لذلك عندما فر إلى القاهرة الأمير يوسف بن على بن غانم شيخ عرب المعقل بالمغرب عام ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م – وفى رواية أخرى عام ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م [٢] – هربا من سخط السلطان أبى العباس أحمد بن أبى سالم المرينى عليه ، ولجأ إلى السلطان برقوق كى يستشفع له رحب به برقوق وحمله بهدية لسلطانه، ورسالة استشفاع فيه ، وانتهى الأمر بقبول أبى العباس للهدية والشفاعة وعفى عن الأمير يوسف[٣] وفي عام ٩٠٦هـ / ١٥٠١ م أصدرا فرناندو وإيزابيلا أمراً ملكيا خلاصته : " أنه لما كان الله قد اختارهما لتطهير مملكة غرناطة من الكفرة ، فأنه يحظر وجود المسلمين فيها ..... " وفي غمار يأس المسلمين طلبوا معاونة سلطان مصر ، وراسلوه يصفون له إكراههم على التنصر ، ويناشدونه إنذار ملك أسبانيا وتهديده بالتنكيل بالنصارى في مملكته لو لم يكف عنهم ..... فاستجاب لهم سلطان مصر وراسل فرناندو بذلك ، فانتهز الأخير الفرصة وأرسل سفارة إلى بلاط مصر تحت زعامة بيترو مارتيرى ، والذي استطاع أن يقنع السلطان جانبلاط بما يلقاه مسلموا الأندلس من رعاية ، وطمأنه على مصيرهم [٤] وبالطبع صدق حكام مصر الفرية ، وغضوا الطرف ولم يفيقوا إلا على ضياع الأندلس ، بل وضياع مصر والشام عما قريب .

٦- التجسس : تسربل أحيانا بعض اللائذين بعباءة الوفود السياسى لدولة المماليك ، بينما هم في الأساس جاءوا بهدف التجسس على المماليك وإعلام دولهم بما يدور في السلطة المملوكية . فمثلا في إطار الصراع ما بين المماليك والتتار ، قبض نائب الشام على - رجلا غجريا تركيا - عام ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧م بعد أن شك في أنه جاسوس من قبل تيمورلنك ، وبعد أن جاء الرجل إلى القاهرة وعوقب أقر على اثنين قدما صحبته إلى دمشق فأرسلت القاهرة بطلبهما[٥].

---

(١) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٤٨٩ – ٤٩١ .

(٢) عمار : مرجع سابق ، ص ٦٣.

(٣) حكيم أمين : مرجع سابق ، ص ١٥٥ .

(٤) عنان : مرجع سابق ، ص ٣٢٤ .

(٥) الصيرفى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص١٥٥ .

٧- **الإسلام ، والإقامة بمصر ، وخدمة السلطان** : عثرنا على بعض حالات الوفود المتناثرة في بعض المصادر وعلى مر العديد من السنوات جاء بعضها بهدف الإقامة بمصر ، وبعضها تحت دعوى خدمة السلطان . والبعض الآخر رغبة في دخول دين الإسلام . فمثلا : خلال عام ٦٦١هـ / ١٢٦٢م جاءت لمصر ثلاث دفعات من المغول بهدف الإقامة بمصر[١] وفي عام ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م قدم للقاهرة أميرزه ابن ملك الكرج راغبا في الإسلام . فعقد له مجلس بين يدى السلطان وبحضرة القضاة وأسلم وتسمى عبد الله . وسكن القاهرة [٢]. ومن خلال المعاهدة التى عقدت بين السلطان قلاوون وفرنج عكا في ٥ ربيع الأول ٦٧٢هـ / ٣ يوليو ١٢٧٣م يمكننا تبين بعض ما كان يحدث مع الوافدين بغرض الإسلام : " وكذلك إذا حضر أحد من عكا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة ، ويقصد الدخول في دين الإسلام ، وأسلم بإرادته . يرد جميع ما معه ويبقى عريانا ، وإن كان ما يقصد الدخول في دين الإسلام ولا يسلم ، يرد إلى الحكام بعكا ..... " [٣]. وفي يوم السبت ٢٢ صفر ٨٣١هـ / ١٤٢٧م حضر أحد الأعيان ويدعى الأمير حمزة بن قراعيسى من ورسخ - بجوار طرسوس – جاء لخدمة السلطان وليكون من جملة رعيته "ولم يكن له عادة بالدخول إلى الديار المصرية ، ولا إظهار الطاعة لأحد من السلاطين" [٤]

---

(١) المنصورى : مختار ، ص ٢٤ ؛ النويرى : المصدر السابق ، جـ٣٠ ، ص٨٩ –٩٠ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق٢ ، ص ٥٤٥ ؛ الصيرفى : المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

(٣) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق١ ، الملحق الثامن ، ص ٩٩٠ .

(٤) الصيرفى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٢٨ .

المبحث الثالث

جنسيات الوافدين لدولة المماليك بمصر والشام

إذا عدنا إلى الأسباب والمسببات التي كانت وراء قدوم الوافدين لدولة المماليك يمكننا أن نتبين جنسيات هؤلاء الوافدين وسوف نلحظ أن هؤلاء اللائذون المستأمنون لم يقتصرون على بلد معين أو جهة معينة بل جاءوا من كثير من الأقطار يحدو كل منهم هدفا معينا يبغى تحقيقه ويمكن حصر هؤلاء في الجهات التالية :

١- **الفلول الأيوبية** : بعد أن رفض الأيوبيون الاعتراف بشرعية حكم المماليك وبعد أن فشل الحل السلمي بإعلان موسى سلطانا مشاركا وضعت الحرب أوزارها وكانت نتيجتها لصالح المماليك عند الصالحية[١] ومع ذلك ظل بعض الأيوبيين يحكمون بعض المناطق حتى دهمهم المغول فوفد بعضهم لمصر مثل الملك الناصر يوسف صاحب دمشق ٦٥٧ هـ/ ١٢٥٨م[٢] الملك الأيوبي الصالح صاحب حصن كيفا٧٢٦/١٣٢٥م[٣]

٢- **شبه الجزيرة العربية**

(أ) مكة: السيد الشريف عنان بن مغامس الحسني ٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م[٤] السيد على بن بركات الحسني ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧م[٥] السادة الأشراف اخوة السيد بركات أمير مكة ٩٢٠ هـ/١٥١٤م[٦]

(ب) اليمن: الملك المجاهد على بن المؤيد داود بن المظفر يوسف بن المنصور عمر بن على ابن رسول ٧٢٥ هـ/١٣٢٤م[٧] الشيخ تاج الدين عبد الباقى اليمانى الأديب فيما قبل عام ٧٤هـ/١٣٤٢م[٨].

٣- **مملكة النوبة ودنقله**: الملك شكنده ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥م[٩]؛ الملك آدر ٦٨٥هـ/١٢٨٦م[١٠]؛ الملك إياى الأسود٧٠٤هـ/١٣٠٤م[١١]؛ الملك كرنبس٧٢٣هـ/١٣٢٣م[١٢] ركن الدين كرنبس نائبا عن ملك دنقلة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م[١٣] ؛ الملك ناصر الدين ٨٠٠هـ/١٣٩٧م[١٤].

---

(١) قاسم عبده قاسم : مرجع سابق ، ص ١٣ .

(٢) ابن الوردى : مصدر سابق ، ص ١٩٦ ؛ تيسير : مرجع سابق ، ص ٥٢ .

(٣) القلقشندى : مصدر سابق ، جـ٤ ، ص ٣١٧ ؛ المقريزى : مصدر سابق ، جـ٢ ق١ ، ص ٢٧٦ .

(٤) الصيرفى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٤٤ .

(٥) ابن إياس : مصدر سابق ، جـ ٣ ، ص ١١ .

(٦) ابن إياس : مصدر سابق ، جـ٤ ، ص ٣٨٣ .

(٧) ابن حبيب : المصدر السابق، جـ٢، ص١٤٩؛ الدوادارى : مصدر سابق، جـ٩، ص ٣١٨؛ ابن تغرى بردى: المصدر السابق، جـ٩، ص ٧٨؛ المقريزى: المصدر السابق، ص٢٦٠؛ القلقشندى: المصدر نفسه، جـ٥، ص٥٣.

(٨) أبو الفدا : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٠٠ .

(٩) الدوادارى: المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ١٨٣؛ المنصورى : المصدر السابق ، ص ٥٥ ؛ العينى : السيف ، ص٦٢ ؛ المقريزى : المصدر السابق جـ١ق٢ ، ص٦٢١ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٤٠٠ ؛ عاشور : مصر ، ص ٧٨ ؛ ؛ العصر المماليكى ، ص ٨١ ؛ عمار : مرجع سابق ، ص١١٠ .

(١٠) النويرى: مصدر سابق جـ٣١، ص ٣٩؛ المقريزى: المصدر السابق، جـ١ق٣،ص٧٣٦؛ عاشور المرجع السابق، ٨٥؛ عمار: المرجع السابق ، ص ١١٥.

(١١) ابو الفدا: المصدر السابق ، ص ٩١؛ ابن حبيب : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٢٦٣ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ق١،ص٧ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق ،ص٢٤٥ ؛ عاشور : المرجع السابق ، ص٩٧ ؛ مختار : المرجع السابق ، ص٣٥٣ . =

٤- الدولة العثمانية: الأمير سليمان بن أورخان بك بن محمد بن عثمان ٨٣٦ هـ / ١٤٣٢م[١]، الأمير محمد جم الشهير بالجمجمة ابن السلطان مراد ٨٨٦ هـ / ١٤٨١م[٢] فرقة عسكر عثمانية ٨٩٤ هـ/ ١٤٨٨م[٣] الأمير قورقود بك بن بايزيد ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م[٤] الأمير سليمان بك بن أحمد بن عثمان ٩١٨ هـ[٥] الأمير علاء الدين علي بن أحمد بن عثمان ٩١٨هـ[٦] الأمير قاسم بن أحمد بك بن أبي يزيد بن عثمان ٩٢٢هـ/ ١٥١٦ م[٧].

٥- قبرص: سبعة من أكابر أمراء الفرنج بقبرص ٨٣٠ هـ / ١٤٢٦م[٨] جاكم ابن ملك قبرص ٨٦٣ هـ / ١٤٥٨م[٩].

٦- البلغار : حنا اسكندر ملك البلغار ٧٣١ هـ / ١٣٣٠م[١٠].

٧- بلاد المغرب العربي والأندلس :

(أ) تونس: السلطان أبو يحيى زكريا بن أحمد بن محمد اللحياني ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م ، ٧١٩ هـ / ١٣١٩ م[١١]؛ أبو دبوس ملك قابس قبل عام ٧٣١ هـ / ١٣٣٠م[١٢] ؛ بعض أفراد بني عبد المؤمن وأولاد ابن الحكيم ٧٣٢هـ/١٣٣٢م[١٣]؛ الوزير محمد بن تافراكين ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨ م[١٤].

=(١٢) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٢٥٠.

(١٣) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ١ق٢ ،ص٢٩ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ق١ ، ص١٠٩.

(١٤) ابن دقماق : مصدر سابق ، ص ٢٩١ ؛ المقريزى : المصدر السابق جـ٣ق٢ ، ص ٨٨٧ ؛ حكيم : مرجع سابق ، ص١٦٢ .

(١) الصيرفى : المصدر السابق ، جـ٣ ص٣٧١ ؛ العينى : عقد الجمان ـ حوادث ، ص ٤٨٤ ؛ المقريزى : المصدر السابق جـ٤ق٢ ، ص٩٩٧ .

(٢) ابن طولون : مصدر سابق ،ق١ ،ص٤٣ ؛ السيوطى : مصدر سابق ، ص٦١٠ ؛ ابن إياس : مصدر سابق ، جـ٣ ، ص١٨٥ ؛ المقدسى : مصدر سابق ، ص ٢٣ ؛ شبارو : مرجع سابق ، ص١١١ .

(٣) ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٢٦١ .

(٤) ابن زنبل : مصدر سابق ، ص ٢٠ ؛ ابن إياس : مصدر سابق ، جـ٤ ، ص ١٥٢ ؛ مختار : مرجع سابق ، ص٤٥٩ .

(٥) ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .

(٦) ابن إياس : المصدر نفسه ، ص٣٠٦ .

(٧) ابن إياس : المصدر نفسه ، جـ٥ ، ص ٤٩ ؛ موير : المرجع السابق ، ص ١٨٨ .

(٨) العينى : المصدر السابق ، ص ٣١٨ .

(٩) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٥٤ ؛ العبادى : البحرية ، ٥٤٥ .

(١٠) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ق٢ ، ص٣٣٦ .

(١١) محمد ابن عبد الله ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار (تحقيق طلال حرب ، بيروت ، د ت) ص ٢٢ ، ٤٠ ، ابو الفدا : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٩٧ ، ٤٣٠ ، ابن الوردي : المصدر السابق ص ١٨٦ ، المقريزي : المصدر السابق جـ ٢ ق ١ ص ١٩٤.

(١٢) ابن الوردي : المصدر السابق ص ٢٨٦ .

(١٣) عمار : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(١٤) عمار : المرجع نفسه ص ٦٤ .

(ب) المغرب : الأمير أحمد بن عثمان المريني ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م[١] ؛ السلطان حلي عبد الحكيم المريني صاحب سجلماسة ٧٦٦ هـ/١٣٦٤م[٢] ؛ الأمير يوسف بن على بن غانم ٨٠٣ هـ /١٤٠٠ م[٣]؛ محمد بن الحكم المريني حاكم سجلماسة قبل عام ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م [٤].

(جـ) الجزائر : الشيخ الفقية أبو عبد الله محمد التلمساني قبل عام ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م[٥] .

(د) الأندلس : محمد بن قاضي الجماعة الأندلسي القرطبي الإشبيلي قبل عام ٧١٨ هـ/ ١٣١٨م[٦] ؛ السلطان الغالب بالله أبو عبد الله محمد بن يوسف الأيسر ملك غرناطة ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م[٧] ؛ الأمير محمد بن سعد الزغل ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦ م[٨] ؛ كثير من الموريسكيين وبعض طوائف اليهود الأندلسيين لاسيما طائفة الحسديم أواخر القرن التاسع الهجري[٩] ؛ السلطان محمد بو عبديل ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م.[١٠] .

٨- **الممالك المغولية :** لن نبالغ إذا قلنا إن من أكبر المشكلات التي واجهت البحث هو كيفية تحديد جنسيات الوافدين من تلك الممالك المغولية . ويمكن أن تتضح لنا هذه المشكلة إذا علمنا أن مملكة هولاكو كانت تنقسم إلي عدة أقاليم ، ولكل إقليم عاصمة خاصة به كالتالي :- خرسان : نيسابور - عراق العجم : أصفهان - عراق العرب : بغداد - اذربيجان : تبريز - خوزستان : تستر - فارس : شيراز - ديار بكر : الموصل - الروم : قونيه[١١] . وبالرجوع إلى معجم بوزورث وغيره[١٢] نجد أن : الصفاريون حكموا سجستان (٢٥٣ - ٩٠٠ هـ / ٨٦٧ - ١٤٩٤ م) رغم أن المغول غزوها ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م وتعاقب أفرادها الحكم في ظلهم ، وكان الأرتقيون بديار بكر وماردين وميافارقين (٤٩٧ - ٨١١هـ / ١١٠٣- ١٤٠٨م) حتى الغزو القراقيونلى ، وكان سلاجقة الروم في الأنا ضول (٤٧٠ - ٧٠٧ هـ / ١٠٧٧ - ١٣٠٧ م) ثم غزاها المغول ؛ وكان القرمانيون بوسط الأناضول (٦٥٤ - ٨٨٨ هـ / ١٢٥٦ - ١٤٨٣ م) حتى الفتح العثماني ؛ وكان أحفاد جغتاي بن جنكيزخان ببلاد ما وراء النهر وشرقي تركستان (٦٢٤ - ٧٧١ هـ / ١٢٢٦ - ١٣٦٩ م) حتى الغزو التيمورى ؛ بينما كان الإيلخانيون أحفاد هولاكو في فارس (٦٥٤ - ٧٥٤ هـ / ١٢٥٦ - ١٣٥٣ م) وحكم خانات القبيلة الذهبية بجنوب روسيا وغرب سيبريا (٦٢٣ - ٩٠٧ هـ) ١٢٢٦ - ١٥٠١ م) ؛ أما المظفريون فحكموا جنوب فارس (٧١٣ - ٧٩٥ هـ / ١٣١٣ - ١٣٩٢ م) حتى الغزو التيموري ؛ ومثلهم

---

(١) عمار : المرجع السابق ، ص ٦٢ - ٦٣ .

(٢) المقريزي : المصدر السابق ، جـ ٣ ق ١ ص ١٠٠ ، ابن اياس المصدر السابق جـ ١ ق ٢ ص ١٩ ، عمار المرجع السابق ص ٦٥ .

(٣) حكيم أمين : المرجع السابق ص ١٥٥ ، عمار : المرجع السابق ص ٦٣.

(٤) عمار : المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٥) ابن قنفذ : المصدر نفسه ، ص ٣٧٣.

(٦) المقريزي : المصدر السابق ، جـ ٢ ق١ ، ص ١٨٩ .

(٧) المقريزي : المصدر السابق ، جـ ٤ ق ٣ ، ص ١٢١٩ ؛ عنان : المرجع السابق ، الجزء نفسه ، ص ١٦١ .

(٨) عنان : المرجع السابق : ص ٢١٦ .

(٩) قاسم عبده قاسم : اليهود في مصر (ط١ ، القاهرة ١٩٨٧) ص ٢٠ ؛ عنان : المرجع السابق ، ص ٤٠١ .

(١٠) عنان : المرجع السابق ، الجزء نفسه ، ص ٣٢٤ .

(١١) المقريزي : المصدر السابق ، جـ ١ ق ٢ ، ص ٥٤١ ح (٣).

(١٢) المرجع السابق ، الفصول ٥ - ٩ ؛ أشتور ، المرجع السابق ، ص ٣١٥ - ٣٥٥ .

حكم الجلائريون (٧٣٦ - ٨٣٥ هـ / ١٣٣٥ - ١٤٣١ م) العراق وكردستان واذربيجان حتى الغزو القراقينولي لجنوب العراق ؛ وإلى الجلائريين ينسب أحمد بن أويس ، كذلك حكم التيموريون سمرقند وخراسان وغرب فارس (٧٧١ - ٩١٢ هـ / ١٣٦٩ - ١٥٠٦م)، أما القراقيونليون فحكموا أذربيجان والعراق (٧٨٢ - ٨٧٣ هـ / ١٣٨٠ - ١٤٦٨ م) - وإليهم ينسب قرا محمد وقرا يوسف وجيهان شاه - وذلك حتى الغزو الآق قيونلي ؛ وهؤلاء الأخيرون حكموا في ديار بكر وشرقي الأناضول وأذربيجان (٧٨٠ - ٩١٤ هـ / ١٣٧٨ - ١٥٠٨ م) - وكان منهم قرايولك وجهان كير - وذلك حتى الغزو الصفوي لبلاد فارس ٩٠٧ هـ / ١٥٠١م ومن كل هذه البلاد جاء وافدون فكيف سنحدد جنسية هؤلاء القادمون ؟ هل إلى بلادهم ، أم دولهم ، أم سنة قدومهم ؟ علما بأن المصادر لم تشر إلى ذلك ووضعت الجميع تحت اسم التتار كجنس عام أحيانا ونسبتهم إلى بلادهم أحيانا أخرى ، في وقت نجهل فيه حدود كل إقليم بالدقة وما يحويه من بلاد داخل نطاقه. وبناء على ما سبق سنذكر ما استطعنا التوصل إليه سواء كان منسوب إلى بلده أو جنسه ، وإن كان الجميع يدخل تحت نطاق الممالك المغولية :-

(أ) الإمارات التركمانية [1]

١- القرمانيون : عثمان بن قرايلوك حاكم بلاد قرمان ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م[2] ، على باك بن علاء الدين بن قرمان ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م[3] ، والأمير عيسى بن محمد باك بن قرمان ٢٨ ذي الحجة ٨٣٠ هـ /

---

(١) أ- عاشت علي الأطراف الشمالية لدولة المماليك ، في أعالي بلاد الشام والفرات وشرقي آسيا الصغرى ، وشملت شعوبا مختلفة مثل الأرمن والكرج والأكراد والتركمان . وقد أقام التركمان لأنفسهم إمارات علي أطراف آسيا الصغرى وبلاد ما بين النهرين اشتهرت منها :- أ- إماراة ذو القدر : أسسها التركمان النازحين نحو الأناضول من آسيا الوسطي فرارا من جنكيز خان . وأسسها زين الدين قراجه بن ذى القدر ٧٨٠هـ وحكموا بهسنا وملطية والبستان ومرعش وعينتاب وأنطاليا وهارونية ودارندة وكركر والرها وديار بكر وقلعة الروم وبلاد سيس وغيرها .

ب ـ إمارة قرمان : من الأسرات التركية التي سادت في الأناضول فيما بين عامي (٦٥٤ ـ ٨٨٨ / ١٢٥٦ ـ ١٤٨٣) ومؤسسها قرمان بن نوره ، وكان مركز حكمهم إمارة أرمنك شمال غرب جبال طوروس وقسطموني . وقامت دولتهم علي أنقاض سلاجقة الروم ، واتخذوا قونية عاصمة لهم ، وعندما سيطروا علي لارنده أوكرمان ، اتخذوها حاضرة لهم . وبعد ذلك ضمهم العثمانيون .

جـ ـ الآق قوينلو : أسرة تركمانية وفدت من أواسط آسيا نتيجة غزوات المغول علي بلاد خوارزم واستقرت في ديار بكر واتخذت مدينة آمد عاصمة لها ، مؤسسها بهاء الدين قرا عثمان البايندرى ولقبه قرايلك ، وتوسعت بعد ذلك علي يد أميرها حسن الطويل.

د ـ إمارة القرا قوينلو : سكن أفرادها البلاد الواقعة شمال بحيرة وان واستقرت أملاكهم في بعض جهات أرمينيا وأذربيجان واتخذوا تبريز عاصمة لهم. أسس هذه الأمارة قرا محمد يوسف ، وقام ابنه قرا يوسف بضم أذربيجان بل والعراق . القلقشندى : المصدر السابق ، جـ٥، ص٣٦٥؛ المقريزى : المصدر السابق ، ص ٣٦٠ ح (٥) ح ؛ ج٢ ق١ ص ١٨٥ ح (٥) ؛ آشتور : المرجع السابق ، ص ٣٤٦ ؛ بوزورث : المرجع السابق ، ص١٩٠ ؛ محمد سهيل طقوش : تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام (ط١ ، بيروت ١٩٩٧م) ص٤٤٥ - ٤٤٨ ؛ The Encyclopaedia of Islam , Vol VI , P 324 .

(٢) الصيرفي : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٤٢٣ .

(٣) الصيرفي : المصدر نفسه ، ص ٤٣٦.

١٤٢٦ م[١] ، الأمير حمزة بن قراعيسى السبت ٢٢ صفر ٨٣١ / ١٤٢٧ م[٢] ، الأمير صارم الدين إبراهيم بن قرمان ٨٣٨ / ١٤٣٤ م[٣] .

٢- **ذو القدر** : الأمير شاه بضاع بن ذلغادر في رمضان ٨٧٤ هـ/١٤٦٩ م[٤] ، ٨٩٥ / ١٤٨٩ م[٥].

٣- **قراقيونليون** : سالم الدكري عام ٧٨٥ هت / ١٣٨٣ م[٦] خجا وسيطا عن ابن أخيه الأمير قرا محمد أمير الموصل ٧٨٧ هـ /١٣٨٥ م[٧] الأمير قرا يوسف بن قرا محمد التركماني عام ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩م للمرة الأولى[٨]، و عام ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣م للمرة الثانية مصطحبا معه زوجته وابنه وخمسون آخرون[٩] ؛ ضعفاء العراقيين بأمر شاه محمد بن قرا يوسف متملك بغداد ٨٢٥ هـ / ١٤٢١م[١٠] الأمير ككجا موس التركماني أمير الموصل وأعمالها مصطحبا حاشيته عام ٨٣٤ هـ / ١٤٣٠م[١١] الأمير بيرم التركماني صاحب هيت - مدينة عراقية تقع غرب الفرات - في ٢٦ جمادى الأولى ٨٣٥ هـ / ١٤٣١ م ومعه ستمائة من أصحابها منهم ثلاثمائة فارس[١٢] ؛ أعداد كبيرة من أهل بغداد والموصل بأمر أصبهان ابن قرا يوسف في ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م[١٣] .

٤- **الآق قيونليون** : الأمير فخر الدين عثمان بن طور على المدعو قرا يلك صاحب آمد في شعبان ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م[١٤] ، الأمير على باك بن خليل بن قراجابن ذلغادر صاحب أبلستين ومرعش في ١٠ رمضان ٨٢٧ هـ / ١٤٢٣ م[١٥] ، الأمير على باك بن قرا يلك وإبنه جهان شاه من أرزنكان ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨م[١٦] ، الأمير محمد أغرلو ابن حسن الطويل في ربيع الآخر ٨٨٠ هـ / ١٤٧٥م[١٧] ، حسين بك مرزاه بن محمد أغرلو في

---

(١) العيني : عقد الجمان ، حوادث ص٣٢٠ ؛ الصير في : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص١٢٢ .

(٢) الصيرفي : المصدر السابق ، ص١٢٨ .

(٣) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤ ق٢ ، ص٩٤٥ .

(٤) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٤٤ .

(٥) ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٢٦٨ .

(٦) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق٢ ، ص ٤٨٩ .

(٧) المقريزى : المصدر السابق ، الجزء نفسه والقسم ، ص٥٣٦ .

(٨) الصير في : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٦٠ ؛ ابن إياس : المصدر السابق جـ١ ق٢ ، ص ٥٨٢؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق٣ ، ص ١٠١٣؛ حكيم : مرجع سابق ، ص١٣٠ .

(٩) المقريزى : المصدر السابق ، ص١١١٨؛ الصير في : المصدر السابق ، ١٨٣ ؛ ابن إياس : المصدر السابق ، ص٦٨٤.

(١٠) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤ ق٢ ، ص٦١١ .

(١١) العيني : المصدر السابق ، ص ٤٠٢ .

(١٢) الصيرفي : المصدر السابق ، جـ٣ و ص٢٣١ ؛ المقريزى : المصدر نفسه ، ص ٨٦٦.

(١٣) المقريزى : المصدر نفسه ، ص٩١٨.

(١٤) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣٩ ؛ المقريزى : المصدر السابق ،جـ٤ ق١ ، ص ٤٥٨ .

(١٥) الصيرفي : المصدر السابق ،جـ٣ ، ص ٥٤ .

(١٦) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤ ق٣ ، ص١١٠٥ .

(١٧) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٠٨ .

شوال ٨٨٢ هـ / ١٤٧٧م[١] ، مراد خان بن يعقوب بن حسن الطويل متملك بغداد في رمضان ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م[٢] .

(ب) بلاد الروم : الأمير ضياء الدين محمود بن الخطير ، والأمير سنان الدين موسى بن طرنطاي . والأمير نظام الدين عام ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥م[٣] ، والأمير حسام الدين بينجار الرومي والأمير بهادر ، والأمير أحمد بن بهادر بالإضافة إلى إثنى عشر أميرا آخرين بعائلاتهم ٦٧٥ هـ / ١٢٧٦م[٤] ، والأمير بيشار قائد حصن زياد ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧م[٥] ، القائد سلامش بن أقال نائب الروم وأخوه قطقطوا ، وصحبتهما عشرون آخرين ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م[٦] ؛ والأمير مبارز الدين سوار الرومي في عهد الظاهر بيبرس[٧] ؛ جوبان نائب الروم ووزيره على شاه ٧١٩ هـ / ١٣١٩م[٨] ، و دمرداش بن جوبان صاحب بلاد الروم ومعه ثلاثمائة من اخصائه في ٧ ربيع الأول ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧م[٩] ؛ ارتنا صاحب بلاد الروم ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧م[١٠].

جـ- التتار: الخورازميون بعد استيلاء التتار على بغداد[١١] ثلاثة آلاف كردي شهرزوري عام ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩م[١٢] مائتا فارس تتري بعائلاتهم عام ٦٦٠ هـ / ١٢٦١م[١٣] ألف وثلاثمائة فارس من المغول والبهادرية ٦٦١ / ١٢٦٢م[١٤].

---

(١) ابن إياس : المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(٢) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص١٤٣ .

(٣) النويرى: المصدر السابق، جـ٣٠ ، ص٢٣٣؛ المقريزى: المصدر السابق، جـ١ ق٢، ص٦٢١؛ ابن العبرى: المصدر السابق، ص٣٣٤ .

(٤) أبو الفدا : المصدر السابق ،جـ٢ ، ص٣٤٠ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، ص٦٢٥ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق ، ص٢١٧ .

(٥) ابن العبرى : المصدر السابق ، ص٣٣٣ .

(٦) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ق٣ ، ص٨٧٦ ؛أبو الفدا : المصدر السابق ، ص٣٧٥ ؛ النويرى : المصدر السابق، جـ٣١ ، ص٣٧٣ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق ، ص٢٣٦ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٤١٢ ؛ المنصورى : التحفة ، ص ١٥١ ؛ ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص١١٧ .

(٧) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق١ ،ص ١٣ .

(٨) ابن كثير : المصدر السابق ،جـ١٤ ، ص٩٤ .

(٩) اليوسفي : المصدر السابق ، ص ١٤٠ ؛ ابن دقماق : المصدر السابق ، ص١٣٠ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق ، ص ٢٧٤ ؛ ابن حبيب : المصدر السلبق ، جـ٢ ص ١٨٠ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، ص ٢٩٢ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٤١٢ ؛ الدوادارى : المصدر السابق ،جـ٩، ص ٣٤٥ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ص ٤٤٧ .

(١٠) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق٢ ، ص ٤٤٥ .

(١١) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٤٧٧ ، Poliak ; Le Caracter ; p 238 : 477

(١٢) ابن تغري بردي : المصدر السابق ؟، جـ ٧ ص ١٠١ : المقريزي المصدر السابق ، جـ ١ ق ٢ ، ص ٤٢٦ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٣٨٤ ؛ آشتور : المصدر السابق ص ٣٧٨ : Ayalon : op . cit, p . 97

(١٣) النويري : المصدر السابق ، جـ ٣٠ ، ص ٦٣ ؛ المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١١٧ ؛ السلوك ، جـ ١ ق ٢ ، ص ٤٧٣ ، شبارو : المصدر السابق ص ١٨ ؛ Ayalon : op . cit , p . 98 P poliak : op . cit , p 233

(١٤) المنصوري: مختار، ص ٢٤؛ التحفة ، ص ٥١؛ النويري: المصدر السابق، ص ٨٩؛ السيوطي: المصدر السابق، ص ٥٦٥ ؛ المقريزي : المصدر السابق ، ص ٥٠٠، شافع بن على العسقلاني : الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور (تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط ١ ، بيروت ١٩٩٨) ص ٢٧ ؛ شبارو : المرجع السابق ، ص ١٨ ؛ Poliak: op. cit, Ayalon:op . cit

ثم جاءت جماعة ثانية وثالثة خلال حكم الظاهر بيبرس[١] ليكتمل عدد التتار الوافدين خلال حكمه ثلاثة آلاف فارس[٢] . الأمير شمس الدين بهادر بن الملك فرج صاحب شميصات ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣م[٣] ، سيف الدين قنقغ واثنى عشر ولدا له في عهد الظاهر بيبرس[٤] ؛ سكتاي بن قراجين بن جنعان وأخوه قرمشي ، وبيجار الرومي ٦٧٥ هـ / ١٢٧٦م[٥] ، الشيخ على الأويراتي وأخوته : آقوش وعمر وطوخى وجوبان وجماعة من المغول ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢م[٦] تسعة عشر وافدا بعائلاتهم من الشرق في ٦ المحرم ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣م[٧] ، ما يزيد عن ثلثمائة فارس تتري عام ٦٩١ هـ / ١٢٩١م[٨] ؛ طائفة الأويراتية التي تتروح عددها ما بين ١٠٠٠٠ - ١٨٠٠٠ بيت مغولى في ربيع الأول ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥م[٩] ؛ الأمير بدر الدين جنكلي بن شمس الدين البابا أحد مقدمي التتار بأهله وأتباعه ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م[١٠] أربعة سلاحدارية لغازان صحبتهم مائتي فارس بعائلاتهم ، وقدم معهم فخر الدين داود وسيف الدين جُبا أخوا الأمير سلار وأمهم وذلك في ٩ جمادى الأولى ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤م[١١]. كثير من الجند التتر بعد فشل قائدهم خربندا في حصار الرحبة عام ٧١٢ هـ / ١٣١٢م[١٢] ، طائفة التركمان الكنجاوية بذواتهم وحريمهم ٧١٦ هـ / ١٣١٦م[١٣] ، مائة فارس تتري بنسائهم وأولادهم تحت قيادة كبيرهم طاطاي عام ٧١٧ هـ / ١٣١٧م[١٤] ، الأمير باورر بن براجوا من الأوردو عام ٧٢١ هـ/

---

(١) المقريزي: المصدر السابق؛ النويري: المصدر السابق ؛ The Cambridge History of Islam , Vol 1A , P 214
The Encyclopaedia Of Islam, Vol. VI , P 322 , Poliak : op. cit .

(٢) Ayalon : op. cit, PP.98-99

(٣) المنصورى : المصدر السابق ، ص٧٨ ؛ المقريزى : المصدر السابق ،ص٦١١ ؛ النويرى : المصدر السابق ، ص ٢٠٧.

(٤) ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص٤٢ .

(٥) أبو الفدا : المصدر السابق ، ص ٣٥٦ .

(٦) النويرى : المصدر السابق ، جـ٣١ ، ص٨٨ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ق٣ ،ص٧٠٨ .

(٧) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٧١٢.

(٨) الكتبي : مصدر سابق ،ص١١٩ .

(٩) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٤٠٨ ابن تغرى بردى : المصدر السابق ،ص٦٠ ؛ الكتبي : المصدر السابق ، ص١٩٥ ، المقريزى : المصدر السابق ، ، ص٨١٢ ؛ الدوادارى : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص٣٦٠ ؛ جـ٩ ، ص١٥ ؛ ابن العبرى : المصدر السابق ، ص ٣٧٩ ؛ النويرى : المصدر السابق ، ص٨٨ ح (١)،ص ٢٩٦ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق ، ص ٢٣٣ ؛ اليوسفي : المصدر السابق ، ص ١٦٩ ح(٢) ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ص٣٧٠ ؛ المنصورى : التحفة ، ص١٤٦ ؛ مختار المرجع السابق ، ص٣٤٨ ؛ الصياد : المرجع السابق ، ص٢٩ ؛ محمود رزق سليم : المرجع السابق ، جـ١ ،ص ١٧ ؛ حكيم : المرجع السابق ، ص١٨ ؛ موير : المرجع السابق ، ص٧٢ ؛ آشتور : المرجع السابق ، ص٣٧٨ ؛ عاشور : العصر المماليكي ، ص١١١ ؛ علي حسن : دراسات ، ص ٣٥٣ ؛ مصر ، ص ١٤٦ ؛ زيترستين : تاريخ سلاطين المماليك (ليدن ١٩١٩) ، ص٣٨ ؛ انطون خليل ضومط : الدولة المملوكية (ط٢ ، بيروت ١٩٨٢ م) ص٣٦ ؛ Polik: op . cit ,P 234 , Ayalon : op . cit ,P99, The Cambridge History of Islam , 1A, P. 215 .

(١٠) الدوادارى : المصدر السابق ، ص١٢٨ ؛ المقريزى : المصدرالسابق ، ص ٩٥٠.

(١١) المنصورى : المصدر السابق ، ص ١٧٨ ؛ الدوادارى : المصدر السابق ؛ المقريزى : المصدر السابق جـ٢ق١، ص٥.

(١٢) أبو الفدا : المصدر السابق ، ص٤١٣ .

(١٣) أبو الفدا : المصدر نفسه ، الجزء نفسه ، ص٤٢٦ .

(١٤) المقريزى : المصدر السابق ، ص ١٧٤ .

١٣٢١ م[١]، الامير حسام الدين حسين بن خربندا عام ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥م[٢]، والأمير التركماني خليل الطرقي وعشيرته عام ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦م[٣] ، خمسة من أمراء المغول عام ٨٠٣ هـ/١٤٠٠م ، منهم السلطان حسين بهادر رأس ميسرة جيش تيمورلنك وحفيده[٤].

د- العراق : (سلاجقة ، إيلخانيون ، جلائريون ....)

الملك المجاهد سيف الدين اسحق صاحب جزيرة ابن عمر ، الملك المظفر علاء الدين على صاحب سنجار ، والملك الصالح إسماعيل صاحب الموصل عام ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠م[٥]؛ ملك ماردين في ذي القعدة ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥م[٦] ؛ أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله ، ومعه نحو خمسين فارسا من عرب خفاجة عام ٦٥٩ هـ[٧] ، جماعة من مماليك الخليفة المستعصم البغدادي عام ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م ، وكان مقدمهم الأمير شمس الدين سلار[٨] ، شيوخ عبادة وخفاجه تحت قيادة كبيريهما خضر بن بدران العبادي وشهري بن احمد الخفاجي عام ٦٦٠ هـ[٩] ، التاجر تقي الدين التكريني بعد سقوط بغداد[١٠] ، جماعة من شيراز تحت قيادة مقدمهم الأمير سيف الدين بكلك ، ومجموعة أمراء عراقيين تحت قيادة الأمير حسام الدين حسين بن ملاح ، وجماعة من أمراء خفاجه في عام ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ م[١١] ، الأمير جلال الدين يشكر بن المجاهد دوادار الخليفة ببغداد عام ٦٦٢ هـ[١٢] ، على ابن الخليفة المستعصم ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥م[١٣] ابن الشيخ عدى كبير أكراد الموصل في نحو أربعمائة نسمة مصطحبا

---

(١) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٢١٥.

(٢) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٨٢ .

(٣) اليوسفي : المصدر السابق ، ص ٣٦٠ .

(٤) ابن دقماق: المصدر السابق ، ص ٣١٨ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق٢ ، ص ١٠٣٩ .

(٥) المنصورى : المصدر السابق ، ص ١٧ ؛ الدوادارى : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص٩٠ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ص٣٢٤ ؛ النويرى : المصدر السابق ، جـ٣٠ ، ص٢٨ ؛ ابن العبرى : المصدر السابق ، ص٣٢٢ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق ، ص٢٠٧ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ق٢ ، ص٤٦٧ ؛ سحر السيد : مرجع سابق ، ص ١٤ .

(٦) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق١ ، ص١٢٢.

(٧) العيني : عقد الجمان ، جـ١ ، ص٢٩٣ ؛ النويرى : المصدر السابق ؛ المقريزى المصدر السابق ، جـ١ ق٢ ، ص٤٤٨ ؛ الاسحاقي : المصدر السابق ، ص١٢٩ ؛ المنصورى : المصدر السابق ، ص١٥ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق ، ص٢٠٧ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ص٣٢٣ ؛ العمرى : المصدر السابق ، مقدمة المحقق ، ص٢٣ ؛ ابن العبرى : المصدر السابق ، ص٣٢٢ ؛ العبادى : قيام ، ص١٨٢ ؛ عاشور : المرجع السابق ، ص ٣٥٥ ؛ محمود رزق سليم : المرجع السابق ، جـ٢، ص ١١؛ Poole: op ,cit .P265,The Cambridge History ,P 216 .

(٨) النويرى : المصدر نفسه ، ص ٥٥ ؛ المقريزى : المصدر نفسه ، ص ٤٦٨ ؛ ابن الوردى : المصدر نفسه ، ص ٢٠٧ ؛ أبو الفدا : نفسه ، ص ٣٢٥ .

(٩) المقريزى : المصدر السابق ، ص٤٧٦ .

(١٠) الكتبي : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ .

(١١) المقريزى : المصدر نفسه ، ص ٥١٢ .

(١٢) المقريزى : المصدر نفسه ، ص ٥٠٤.

(١٣) المقريزى : المصدر نفسه ، ص ٥٥٤ .

أغنامه وأبقار وخيوله عام ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥م[١]، وفي العام التالي وفد أخوه مصطحبا امرأته التترية[٢] ، على باد شاه حاكم بغداد عام ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥م[٣] .

نجم الدين محمود بن على وزير بغداد ، وحسام الدين الحسن بن محمد الغورى محتسب بغداد ، فخر الدين محمود نائب الحلة ، وعدد من الأعيان ممطتين خمسمائة بعير عام ٧٣٨ هـ/ ١٣٣٧ م[٤] ، الشيخ حسن الكبير متولى تبريز وبغداد عاصمتا دولة إيلخانات فارس عام ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩م[٥] ، أمير زه ابن ملك الكرج عام ٧٨٨ هـ / ١٣٨٦م[٦] غياث الدين بن العاقولي البغدادي قبل عام ٧٩٧ / ١٣٩٤ م[٧]، الشيخ سيف الدين يوسف السيرامي الحنفي التبريزي قبل عام ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م[٨] ، مسعود ابن الشيخ محمد الكجحماني التبريزي عام ٧٩٧ / ١٣٩٤م[٩]؛ مرجان نائب حاكم بغداد عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥م[١٠]، القان أحمد بن اوليس الجلايري عام ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م، ومعه ثلثمائة فارس للمرة الأولى[١١]، وعام ٨٠٢/ ١٣٩٩ م للمرة الثانية[١٢]، وعام ٨٠٦ هـ/ ١٤٠٣ م للمرة الثالثة[١٣]، السلطان بن جلال الدين عام ٧٩٧ هـ[١٤]، حسين بن السلطان أحمد بن أويس في رمضان ٨١٣ هـ / ١٤١٠ م[١٥].

---

(١) ابن العبرى : المصدر السابق ، ص ٣٣٢ .

(٢) ابن العبرى : المصدر السابق ، ص ٣٣٥ .

(٣) اليوسفي : المصدر السابق ، ص ٣٠١؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق٢، ص٣٩٧ .

(٤) ابن دقماق : المصدر السابق ،ص١٣٤ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ص٤٨٠ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق ، ص٣٠٧ ؛ المقريزى : الخطط ، جـ٢، ص٥٠ ؛السلوك ، جـ٢ق٢ ، ص٧٣٤

(٥) المقريزي : المصدر السابق ،ص ٤٨٩

(٦) الصيرفي : المصدر السابق جـ ١ ، ص ١٣٢ ؛ المقريزي : المصدر السابق ، جـ ٣ ق ٢ ، ص ٥٤٥

(٧) المقريزي : المصدر السابق ، ص ٨٤٦ .

(٨) المقريزي : المصدر نفسه جـ ٤ ق ١ ، ص ٦٥ .

(٩) الصيرفي : المصدر السابق ، ص ٤٠٤ .

(١٠) المقريزي : المصدر السابق ، جـ ٣ ق ١ ، ص ١١٢ .

(١١) ابن صصري: المصدر السابق، ص ١٤٠؛ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ص ١٠١؛ المقريزي: المصدر السابق جـ ٣ ق ٢ ، ص ٧٨٨ ؛ ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جـ ١٢ ص ٤٤؛ الصيرفي : المصدر السابق ص ٣٦٤ ؛ ابن دقماق : المصدر السابق ، ص ٢٦٩؛ الشوكاني: المصدر السابق ص ٤٢؛ ابن إياس المصدر السابق، جـ ١ ق ٢، ص ٤٦١؛ موير: المرجع السابق ، ص ١٢٧ ؛ مختار : المرجع السابق ، ص ٣٩٨ ؛ حكيم أمين : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(١٢) المقريزي : المصدر السابق ، جـ ٣ ق ٣ ، ص ١٠١٣ ، ١٠٢١ ؛ الصيرفي : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ؛ ابن دقماق : المصدر السابق ، ص ٣١٢ ، الشوكاني : المصدر نفسه، ص ٤٢ – ٤٣؛ ابن تغري بردي: المصدر السابق ، ص ٢١٥ ؛ ابن إياس : المصدر نفسه ، ص ٥٨٢ ؛ حكيم أمين : المصدر نفسه ، ص ١٣٠.

(١٣) ابن تغري بردي : المصدر السابق ، ص ٣١٤ ؛ ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٦٨٢ ؛ الشوكاني : نفسه ؛ الصيرفي : المصدر السابق ، ص ١٨١ .

(١٤) المقريزي : المصدر السابق جـ ٣ ق ٢ ، ص ٨٣٢ ؛ الصيرفي : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٤٠٤ .

(١٥) ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٨٠٨ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤ ق١ ، ص ١٥٩ .

المبحث الرابع

إجراءات دخول الوافدين لدولة سلاطين المماليك بمصر والشام

قد يتصور البعض بأن الإجراءات المتبعة في دخول المغتربين للبلاد رسميا هي من مستحدثات عصرنا الحديث وأنه قديما كانت الدول منفتحة الحدود لاستقبال كل القادمين والذين سرعان ما يذوبون في البلد المستقبل ويصبحون قطعة من نسيجه. ولكن تبين لنا من خلال هذا البحث أن الأمر لم يكن كذلك، بل كان القدوم يتطلب إذنا لعبور حدود البلاد رسميا وإذا حاول البعض التسلل عبر طرق غير مأهولة ، رصدته الكشافة والنجابة وغيرهم من القبائل العربية المنتشرة بفيافي البلاد الحدودية وأخبرت السلطة به. إذ أن الإجراءات الأمنية كانت تتخذ لمنع دخول كبار الوافدين البلاد ونما إذن ؛ لأنهم كانوا يتحركون بصحبة أعداد كبيرة من الفرسان الذين ربما شكلوا خطرا على الأمن؛ ولكن النازحين الفقراء كانوا - وما يزالون - يدخلون البلاد بسهولة ويسر*. حقا ربما كثير من هؤلاء الوافدين لم يكونوا يحملون ما نسميه وثائق سفر ولكن كان من السهل التعرف عليهم ، وعلى هويتهم من خلال اللغة والزي والعادات وغيرها ، وحينئذ استوقفوا على الحدود ريثما يصل البريد إلى القاهرة بأمرهم ويعود الرد بما يجب أن يُفعل معهم. وهذه الإجراءات وغيرها بمكن أن نشبهها بما نسميه حاليا طلب الحصول على الجنسية. وفيما يلي توضيح لما سبق :-

الإجراء الأول: <u>الإعلام وطلب إذن الدخول</u>: ويمكن إلقاء الضوء عليه من خلال الأمثلة التالية:

حينما رغب كلٌ من الملك المجاهد وأخيه الملك المظفر في الوفود لمصر ودخول بلاد الشام ، استأذنا في الحضور، فأذن لهما السلطان عام ٦٥٩ هـ[1] كذلك حينما فر أبو القاسم أحمد من بغداد قاصدا دمشق - في العام آنف الذكر - وردت مكاتبة الأمير علاء الدين ايدكين البندقدار والأمير علاء الدين طيبرس الوزيري نائب دمشق بقدوم الرجل ، فكتب السلطان بأن يسير معه حجاب[2]، وفي عام ٦٦٠ هـ ظفرت كشافه دمشق وغيرها من نيابات الشام بمائتي فارس تترى مستأمنين .... فأخبر السلطان بيبرس بهم ... فكتب إلى النواب بإكرامهم[3] وفي العام التالي جاء البريد من البيرة وحلب بوفود ألف وثلثمائة فارس مغولي، فكتب

---

* ملاحظة هامة على لسان أ.د/ قاسم عبده قاسم خلال مناقشة جرت معه حول هذا المبحث .

(١) النويري : المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(٢) المقريزي : المصدر السابق ، جـ ١ ق ٢ ، ص٤٤٩.

(٣) النويري : المصدر السابق ، ص ٦٣ ؛ المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١١٧ ؛ السلوك ، جـ ١ ق ٢ ، ص ٤٧٣ .

السلطان بالإحسان إليهم[١]. وفي عام ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م فر جماعة من أمراء الروم وتوجهوا إلى قلعة نكيده، ومن هناك كاتبوا سلطان مصر للدخول[٢] كذلك عندما وفد الأويراتية، أظهروا رغبتهم في اعتناق الإسلام كي يسمح لهم بالدخول، وعندما وصلوا الفرات أخبر السلطان كتبغا بأمرهم ، وطلبوا منه الإذن بالدخول ، وذلك من خلال كتاب أرسله نائب الرحبة مع بريدي إلى السلطان، فكلف الأخير نائب دمشق بإرسال مجموعة أمراء إلى الرحبة لاستقبالهم[٣]. وقبل أن يفد القائد سلامش الرومي عام ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م أرسل إلى السلطان لاجين برسالة على يد مخلص الدين الرومي ... وعندما حضر توجه على خيل البريد إلى القاهرة[٤]. كذلك عندما وفد الأمير بدر الدين جنغلي ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م قدم البريد بمجيئه ، وكتب لنائب حلب بلقياه وإكرامه[٥]. أيضا جاء البريد في العام التالي بوفود مائتي مغولي فكتب لنائب حلب بإكرامهم[٦] وعندما وفد دمرداش بن جوبان ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م، طلب من نائب حلب دستورا من السلطان ليمثل بين يديه[٧] وبالمثل عندما التجأ إلى نائب الشام خليل الطرقي التركماني ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م كتب النائب إلى السلطان لينظر في أمره[٨] وقبل أن يفر وزير ومحتسب بغداد ونائب الحلة بعائلاتهم من العراق ٧٣٨ هـ /١٣٣٧ م كتبوا يستأذنون الأمير تنكز نائب الشام ، والذي بعث البريد إلى السلطان بخبرهم ، فأجيب بإكرامهم وتجهيزهم إلى القاهرة[٩] علاوة على ذلك نجد أنه في عام ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م وقبل أن يعلن مرجان نائب ابن أويس حاكم بغداد العصيان على سلطانه ، أرسل إلى الأشرف شعبان يعلمه بأنه إذا أخفق في تنفيذ سياسته سيلجأ إلى أبوابه [١٠]. ومن الحيل في ذلك ما فعله سالم الدكرى ، الذى دأب على نهب الحجاج المواصلة ، فعندما طارده قرا محمد حاكم الموصل ٧٨٥هـ / ١٣٨٣م ، ترامي على نائب حلب الأمير يلبغا الناصري حاملا كفنه في عنفه فأرسله النائب إلى مصر[١١]، وفي إطار اجتياح تيمورلنك للبلاد خاف الأمير قرا محمد أمير الموصل و أرسل إلى السلطان برقوق ٧٨٧هـ / ١٣٨٥ م . إن دهمه عدو أن يمكن من الانتماء إلى الدولة

---

(١) المقريزي : المصدر السابق ، ص ٥٠٠ ؛ النويري : المصدر السابق ص ٨٩.

(٢) النويرى : المصدر السابق، ص٢٣٣ .

(٣) أبو الفدا : المصدر السابق ، ص٣٧٠ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ق٣ ، ص٨١٢؛ النويرى : المصدر السابق ، جـ٣١ ، ص٨٨ ح (١) ، ص٢٩٦ ؛ زيترستين : المصدر السابق ، ص٣٨ ؛ علي حسن : مصر ، ص١٤٦ .

(٤) النويرى : المصدر السابق ، جـ٣١ ، ص٣٧٣ ، ٣٧٥ .

(٥) المقريزى : المصدر السابق ، ص٩٥٠ .

(٦) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ق١ ، ص٥ .

(٧) الدوادارى : المصدر السابق ، جـ٩ ، ص٣٤٥ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، ص ٢٩٣ .

(٨) اليوسفي : المصدر السابق ، ص ٣٦٠ .

(٩) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ق٢ ، ص٤٣٨ .

(١٠) لمقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ق١، ص١١٢ .

(١١) لمقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ق٢ ، ٤٨٩ .

وعبور الشام[١] وفعل مثله القان غياث الدين أحمد بن أويس حاكم بغداد عندما دهمه تيمور ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ ففر إلى الرحبة ومنها أرسل كتابا إلى السلطان برقوق -صحبة كتاب نائب الرحبة -على البريد يطلب الإذن بالقدوم ، كان مما جاء فيه " أنه من جملة مماليك السلطان ومن المحسوبين علية ويسأل الصدقات الشريفة في شمول نظرة والوصية عليه إلى أن يتمثل بين يدى المواقف الشريفة" وبعد شهرين أرسل مرسوم لدمشق على يد بريدى بطلبه إلى القاهرة[٢] وبعد عودة القان أحمد إلى بغداد حدثت اضطرابات ، اضطرته وقرا يوسف صاحب الموصل إلى الفرار إلى الفرات ومن هناك بعثا يسألان دمرداش نائب حلب بان يستأذن السلطان في نزولهما الشام ، فمنعهما من العبور حتى يرسم لهما بذلك ، ولما كان دمرداش على غير استعداد لتحملهما ومن معهما - سبعة آلاف فارس - حتى يصل الرد وقعت مناوشات أسفرت عن هزيمة المماليك[٣]. لذلك عندما هربا ووفدا مرة أخرى لبلاد الشام ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م أذن لهما في الدخول ، ثم قبض عليهما[٤] ومن الوقائع المقترنة بابن أويس أنه بعد خروجه من القاهرة في المرة الأولى كان معه ابن أخيه جلال الدين ، وعند القدس خاف هذا الابن على نفسه وأهله من غدر عمه ، واستأذن في الرجوع للقاهرة فأذن له[٥] وفي إطار الاضطرابات بالإمارات التركمانية هُزم عثمان بن قرايلك على يد قرا يوسف ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م ، فأرسل عثمان إلى نائب حلب يستأذنه في الوصول أليها ، فأرسل النائب كتابا للسلطان صحبه كتاب عثمان .... فأذن له[٦]. وحينما جاءت والدة جهان كير صاحب آمد طلب عام ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م بهدف الوصول للسلطان ،منعها النواب وأعادوها إلى البيرة حتى يأتيها إذن من السلطان[٧] كذلك عندما فر ابن بداق من العثمانيين في يوم الأربعاء ١٧ المحرم ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م أرسل إلى نائب حلب يستأذنه في

---

(١)المقريزى : المصدر نفسه ، ص ٥٣٦ .

(٢) ابن صصرى : المصدر السابق ، ص١٤٠ ، ص١٤٦ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، ص٧٨٩ : الصير في : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣٦٤ ؛ ابن دقماق : المصدر السابق ، ص٢٦٩ ؛ ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ١٢ ، ص٤٤ ؛ ابن إياس : المصدر السابق ، جـ١ ق٢ ، ص ٤٦١.

(٣) ابن تغرى بردى : المصدر نفسه ، ص٢١٥ ؛ ابن إياس : المصدر نفسه ، ص٥٨٩ ؛المقريزى : المصدر السابق جـ٣ ق٣ ، ص١٠١٤ ، ١٠٢١؛ حكيم أمين : المرجع السابق ص١٣١ .

(٤) ابن إياس : المصدر السابق ، ص٦٨٤ ، ٦٨٦ ؛ ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، ص٣٠١ -٣٠٢ .

(٥) الصيرفي : المصدر السابق ، ص٤٠٤ ؛ المقريزى : المصدر السابق جـ٣ ق٢ ، ص٨٣٢ .

(٦)ابن إياس : المصدر السابق، جـ٢ ، ص٤٠ ؛الصير في : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٤٢٣؛ المقريزى : المصدر السابق جـ٤ ق١، ص٤٥٨ -٤٦١ .

(٧) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور (جزآن ، تحقيق محمد كمال ، ط١ ، عالم الكتب ١٩٩٠) جـ١ ، ص٣٠٢ .

الدخول للبلاد[١] وآخر هذه الوقائع والاستشهادات أنه عندما وفد الأمير محمد جم بن عثمان ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م لم يمكن من الدخول إلى حلب إلا بعد أن طلب الإذن من السلطان قايتباي في الحضور بين يديه ، وقدوم المراسم التي تسمح بذلك[٢] .

إذا أمعنا النظر في الأمثلة المذكورة يتبين لنا أن جلهم ينتمون إلى الممالك المغولية والإمارات التركمانية والدولة العثمانية ، في حين لم نعثر على إذن دخول للقادمين من بلاد المغرب أو النوبة أو شبه الجزيرة العربية ؟! وربما يدفعنا هذا إلى القول بأن الدولة تشددت مع المغول والتركمان والعثمانيين لأنه هذه الجهات كانت تمثل خطرا عليها وكثيرا ما كانت علاقاتها معهم يشوبها كثير من الاضطرابات وعدم الوئام في كثير من الأوقات ، بعكس الجهات الأخرى التي لم تمثل خطرا على الدولة ويؤيد ما ذهبنا إليه الإجراء التالي :

الإجراء الثاني : عرض حالة بعض الوافدين على مجلس المشورة بالدولة ومناقشتها كي يتسنى اتخاذ قرار جماعي بشأنهم :-

نظرا لما كانت تمثله بعض حالات الوافدين للدولة من أهمية خاصة ، نجد أن السلاطين أحالوا هذه القضايا إلى مجلس المشورة[٣] لإبداء الرأي فيها. من هذه الحالات قدوم كثير من التتار والأتراك والبغاددة مستأمنين عام ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ م[٤] ؛ وفود الأويراتية ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م[٥] ؛ وفود القان غياث الدين أحمد بن أويس ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م[٦] ؛ النظر في رغبة الأمير الجمجمة بن عثمان في العودة لبلاده أثناء حكم السلطان قايتباي[٧].

فالحالة الأولى جاءت عقب قدوم كثير من الوافدين المشارقة للدولة ، الأمر الذي أربك السلطان بيبرس من كثرة قدوم هذه الموجات ، وظن أنه ربما يكون وراءهم مخطط أو مكروه ، لذلك اجتمع بالأمراء وقال لهم " أخشى أن يكون في مجيئهم من كل جهة ما يستراب منه ، والرأي أن نخرج إليهم فإن كانوا طائعيين عاملناهم بما ينبغي وإلا فنكون على أهبة .."[١] أما الحالة الثانية فالأرجح أنها عرضت على

---

(١) ابن طولون : المصدر السابق ، ق١ ، ص٧ .

(٢) ابن طولون : المصدر السابق ، ص٤٣ ؛ ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٣ ،ص١٨٥ .

(٣) لمعرفة ما هية هذا المجلس ، وتشكيله ، والقضايا التي عرضت عليه انظر : البيومي إسماعيل الشربيني : مجلس المشورة في عصر سلاطين المماليك (إصدار خاص ،مجلة كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، أغسطس ٢٠٠٠ م) .

(٤)المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ق٢ ، ص٥١٥ .

(٥)علي حسن : المرجع السابق ، ص١٤٦ .

(٦) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ١٢ ، ص٤٤ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق٢ ، ص ٧٨٩ ؛ ابن إياس: المصدر السابق ، جـ١ ق٢ ، ص٤٦٢ ؛ البيومي إسماعيل : المرجع السابق . ص٥٦ .

(٧) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص١٩٢ ؛ البيومي إسماعيل : المرجع السابق .

(١)المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ق٢ ، ص٥١٥ .

المجلس بسبب كثرة عددهم والبحث عن أماكن لتوطينهم ، وكيفية سد نفقاتهم ومئونتهم خاصة وانه كان في عام قدومهم غلاء فاحش بسبب إنعدام المطر وتأخر فيضان النيل وفساد الزرع وانتشار الوباء.[٢]. فكان من الأجدر بمجلس المشورة ألا يوافق على استقدامهم ولكن بسبب رغبة السلطان كتبغا فيهم – كونهم بني جنسه – سمح لهم بالدخول. أما الحالة الثالثة فيبدو أن الهدف من عرضها : إما اخذ الموافقة على دخول ابن أويس باعتبار أن العراق تمثل بعداً استراتيجيا – إن جاز استخدام التعبير – للأمن المملوكي ضد هجمات المغول ، وإما عدم السماح له بدخول البلاد مراعاة لتيمورلنك كي لا يتهم المصريون بإيواء الهاربين منه. ولكن من واقع الأحداث يتبين لنا قبوله وافدا وقبول مصر التبعات المترتبة على ذلك. أما حالة الجمجمة فهي أيضا حالة شائكة ، إذ قبلته مصر وافدا وآوته وأمه وأولاده من غدر أخيه السلطان أبو يزيد في وقت كان العداء على أشده ما بين الدولتين بسبب مطامعهما لذلك حينما طلب الجمجمة العودة لحرب أخيه خاف المماليك من اتهامهم بالتحريض ، لذلك رفض مجلس المشورة السماح له بالعودة ولكن أمام إصراره أذن له المجلس بالسفر على كره من السلطان. وقد علق ابن إياس[٣] على ذلك بأنه "عين الخطأ " لما سيترتب عليه من تبعات بعد ذلك.

هذه الحالات الأربع بسبب أهميتها نجد أن السلطة المملوكية طرحتها للنقاش على مجلس المشورة لإبداء الرأي قبل صدور مرسوم بشأنها قد يأتي بنتائج وخيمة على البلاد. وبالنظر إلى هذه الحالات الأربع سنجد أنها تختص بالمغول والعثمانيين مما يرجح ما ذهبنا إليه من نتيجة في الإجراء الأول .

الإجراء الثالث : استقبال الوافدين: كان من الطبيعي بعد منح الوافد إذنا بالدخول أن تتخذ إجراءات أخرى لاستقدامه واستقباله وتدبير إقامته من سكن وراتب ووظيفة إلى غير ذلك من الإجراءات التي اتخذت شكل حقوق أساسية يجب على دولة المماليك الإيفاء بها للوافدين. ولكيلا نسبق الأحداث ونخوض في أوضاع الوافدين داخل الدولة فإننا سنقصر حديثنا هنا على مظاهر استقبال الوافدين – مع مراعاة أن معظمهم جاء من جهة الشرق أو الشمال وبالطريق البري – والتي يمكن إيجازها في عدة خطوات بداية من بلاد الشام ونهاية بالقاهرة :-

– **<u>بالنسبة لبلاد الشام</u>** : في أحيان قليلة جدا كان السلطان يخرج بنفسه إلى بلاد الشام لاستقبال الوافدين وتجهيزهم إلى الديار المصرية

- في جميع حالات الوفود كان البريد يذهب من القاهرة بإكرامهم ، واحترامهم والإحسان إليهم ، والسماح لبعضهم بالإقامة في أي مكان يختارونه في البلاد .
- أحيانا كلفت القبائل العربية القائمة على حراسة الحدود باستقبال الوافدين وإيصالهم إلى اقرب نيابة شامية .

---

(٢) المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٩ م) ص٦١ –٦٣؛

Allouche , A: Mamluk Economics (university of utah press) P 43.

(٣) المصدر السابق ،الجزء نفسه ، ص ١٩٢.

- كلف نواب الشام بخدمة الوافدين وإنزالهم بميادين نياباتهم حتى يأتي من يرافقهم أو يرسلونهم صحبة الحجاب ، و أحيانا على خيل البريد .
- كلف أيضا النواب الاحتفال بهم وترتيب الاقامات لهم من منفذ الدخول وحتى القاهرة ويزودونهم بما يحتاجونه من أغنام وعليق ... إلخ .
- في بعض الأحيان كلفت القاهرة أميرا أو أكثر بالسفر إلى الشام لمرافقة بعض الوافدين وحملتهم بخلع وإنعامات و أموال للصرف عليهم .
- في بعض حالات الوفود الجماعية الكبيرة ، استقدم أكابرهم إلى القاهرة ، وحددت إقامة الباقين ، مع مراعاة تجنبهم دخول المدن الكبرى منعا لإثارة الفوضى فيها.

بالنسبة للقاهرة : قرب مجيء الوافدين كانت تخرج الأمراء – وفي أحيان قليلة جدا صاحبهم السلطان – لاستقبالهم عند الريدانية و أحيانا عند غزة كنوع من الترحيب وفي الوقت نفسه لإعلامهم بما نسميه قواعد البروتوكول المملوكية ثم يصحبونهم إلى القلعة .

- في بعض الحالات كان يخرج استادار الصحبة[1] بالمطبخ لإطعام الوافدين.
- كذلك في بعض الحالات التي استقبلها السلطان كان يرافقه حاجب الحجاب ليخبر الوافد بأسماء ورتب مستقبليه من الأمراء ، ثم يصطحبه إلى السلطان .
- عند صعود الوافد إلى السلطان كان عليه تقبيل الأرض بين يديه ، ثم تقبيل يده ،وبعد برهة من الراحة والحديث يفيض عليه بالخلع ، ثم يركبان ويسيران وحولهما الجند ميمنة وميسرة وسط جمهور المشاهدين من كل طوائف مصر حتى القلعة.
- عند القلعة يشير السلطان إلى الوافد بالذهاب إلى الدار التى أعدت له سلفا صحبة الأمراء .
- بعد ذلك يرسل السلطان للوافد أموالا وخيولا وجواري وشموع ويعين أمراء لخدمته .. لينتهي بذلك مراسم الاستقبال وفيما يلي أمثلة للبرهنة على ما سبق :

عند وفود أبو القاسم أحمد العباسي عام ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م أمر السلطان بإكرامه ، وأن تسير الحجاب صحبته من دمشق ، وأن يقوم النواب بخدمته ، وفي القاهرة خرج السلطان بيبرس للقائه وصحبته الوزير ابن حنا وقاضي القضاة ابن بنت الأعز وسائر الأمراء والعسكر والشهود والمؤذنون وجمهور مصر و القاهرة حتى اليهود والنصارى، وبالغ السلطان في إكرامه وشق القاهرة وصعد إلى القلعة[2] ، وعندما وصلا الملك الصالح إسماعيل وأخوه المجاهد في العام نفسه أمر السلطان بإكرامهما وترتيب الاقامات لهما من دمشق حتى القاهرة، وفي القاهرة تلقاهما بنفسه وأكرمهما وأنعم عليهما بالخيول والأحزمة الذهبية وعين جماعة من البحرية لخدمتهما[3] وقريبا من الإجراءات نفسها أمر السلطان بيبرس بفعلها مع المستأمنين الوافدين خلال عامى ٦٦٠ هـ / ٦٦١ هـ ، ونظرا لكثرتهم زودهم النواب بالأغنام والعليق وغيره، وفي القاهرة استقبلهم بيبرس، وعندما رأوه نزلوا وقبلوا الأرض[1]. وقام الأمير بدر الدين الخازندار بتوزيع مائة وثمانين فرسا على

---

(١) استادار الصحبة: المتولي أمر طعام السلطان. القلقشندى: المصدر السابق، جـ٣،ص٤٨١، Poole : op . cit , P 481

(٢) المنصورى: مختار، ص١٥-١٦؛ النويرى: المصدر السابق، جـ٣٠، ص٢٨-٢٩؛ السيوطي: المصدر السابق، ص٥٦٢-٥٦٣ العيني: عقد الجمان، جـ١ ، ص ٢٩٣ - ٣٠٩ ؛ المقريزى : السلوك ،جـ١ ق٢ ، ص٤٤٨ -٤٥١ .

(٣) ا لمنصورى : المصدر السابق ، ص ١٧ -١٨ .

(١) المقريزى: المصدر السابق، ص ٤٧٣ -٤٧٤ ؛ الخطط، جـ٢ ، ص١١٧ -١١٨ ؛النويرى : المصدر السابق ، ص٦٣ -٦٤ ، ص٨٩ - ٩٠ ؛ Ayalon : op . cit , p 98 .

التتار والفرنج الوافدين عام ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ م [٢]. وأثناء وجود السلطان بيبرس في دمشق ٦٧٥ هـ / ١٢٧٦ م بلغه وفود مجموعة من الأمراء الروميين، فتوجه مسرعا إلى حلب وأحسن استقبالهم وتلقاهم بنفسه، وأكرمهم وجهزهم وحريمهم وأولادهم إلى الديار المصرية ، وأعطاهم الخيول والخيام وغيرها من مستلزمات السفر[٣]. أما الأويراتية الوافدون ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م فقد قوبلوا بترحاب كبير من قبل السلطان كتبغا حاكم الدولة كونهم قبيلته وبني جنسه. إذ كتب إلى نائب دمشق أن يرسل إليهم الأمير علم الدين سنجر الدواداري للقياهم عند الرحبة ، ثم اتبعه بالأمير سنقر الأعسر شاد دواوين[٤] دمشق ، ومن القاهرة أرسل الأمير قراسنقر المنصوري للغرض ذاته ، وقد أمر الأعسر بإحضار أعيانهم إلى دمشق - ١١٣ رجل - فاحتفل بهم الدماشقة وخرج إليهم نائب دمشق بجميع جنده في أحسن زي وأنزلوهم بالقصر الأبلق وأعطوهم راتبا جيدا، ثم رافق الأمير قراسنقر المنصوري هؤلاء الأعيان واتجه بهم إلى القاهرة فبالغ السلطان في إكرامهم ونظرا لكثرة عدد هذه الطائفة فقد أمر سنجر الدواداري باصطحابهم - شيوخ وأطفال ونساء ومواشيهم - وإنزالهم ببلاد الساحل في أرض عثليث وقاقون[٥] وغيرها مع عدم تمكينهم من دخول أية مدينة، فمر بهم على مرج دمشق وأخرجت

إليهم الأسواق ، ولم يمكن أحدهم من دخول المدينة.[١] أيضا تلقى الدماشقة ونائبهم، الأمير سلامش عام ٦٩٨ هـ/ ١٢٩٨م ، وأنزل بالميدان، وقدم له ما يليق به، ثم أُركب خيل البريد وتوجه إلى القلعة بالقاهرة[٢]. وبعد خمس سنوات من ذلك وفد الأمير بدر الدين جنغلي فتلقاه نائب حلب و أكرمه ثم تلقاه نائب دمشق

---

(٢) المقريزى : السلوك جـ١ ق٢ . ص٥١١.

(٣) أبو الفدا : المصدر السابق ، ص٣٤٠ ؛ النويرى : المصدر السابق ، ص٢٣٤ ؛المقريزى : نفسه ، ص٦٢٧ ؛ ابن الوردى : نفسه ، ص٢١٧ .

(٤) شاد الدواوين : اسم فاعل من شد ، وأطلق في عصر المماليك علي أحد أرباب السيوف ، وتراوحت رتبته ما بين أمير عشرة وطبلخاناه . وكان له حق التفتيش المالي ومراجعة الحسابات ومعاقبة المقصرين ، واستخلاص الأموال ممن يصعب استخلاصها منه . للمزيد انظر . القلقشندى: المصدر السابق ، جـ٤، ص٢٢؛ المقريزى: الخطط ،جـ٢، ص٢٢٤؛ ابن تغردى بردى: النجوم ، جـ١٦، ص٧٥ ؛ تاج الدين السبكي : معيد النعم ومبيد النقم (ط١ ، بيروت ١٩٨٦م) . ص٢٩ ؛ البيومي إسماعيل : مصادرة الأملاك، جـ١ ، ص١٤٩ -١٥٠ ؛ Quatremere : Histoir des Sultans Mamlouks de L' Egypte (2 Tomes ,Paris 1837)PP. 110 -112 n 141 , Dozy : op . cit , 1, pp .736 – 737.

(٥) عثليث: اسم حصن بسواحل الشام، ويعرف بالحصن الأحمر كان فيما فتحه الملك الناصر يوسف بن أيوب ٥٨٣ هـ . وقاقون حصن بفلسطين قرب الرملة وقيل هو من عمل قيسارية من ساحل الشام. ياقوت: المصدر السابق ،جـ٦ ص١٢٢ ؛ جـ٧ ، ص١٦ .

(١) ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص٦٠ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ص٣٤٠ ؛ النويرى : المصدر السابق ، جـ٣١، ص٢٩٧ – ٢٩٩ ؛ الدواداري : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص٣٦١- ٣٦٢ ؛ المقريزى :المصدر السابق ،جـ١ ق٣ ، ص٨١٢ -٨١٣ ؛ اليوسفي : المصدر السابق، ص١٦٩ ح (٢) ؛ Ayalon : op .cit , P 99

(٢) لمقريزى : المصدر السابق ، ص٨٧٦ .

وجهز له الاقامات حتى القاهرة، وفيها خرج إلى لقائه الأمير بيبرس الجاشنكير[٣] والأمراء وانتظروه عند قبة النصر، ثم صعدوا به فقبل الأرض بين يدي السلطان[٤]. وإن كان هذا الحال مع المشارقة ، فقد ضنت المصادر بذكر ما اتبع مع المغاربة . فمثلا السلطان اللحياني الوافد من تونس ٧١٩هـ/١٣١٩م أنزله السلطان الناصر محمد بدار السلطنة في الإسكندرية وأجرى عليه راتبا[٥] ولم يذكر عنه سوى ذلك .

وإذا ما عدنا لاستكمال بقية مراسم استقبال الوافدين ، سنجد دمرداش بن جوبان القادم في ٧٢٨هـ تلقاه تنكز نائب دمشق وأكرمه ، ثم جهزه صحبة الأميرين: طرغاي الجاشنكير ، ومهمندار[٦] دمشق، والذي اصطحب معه كل متطلبات الرحلة من خيام وآلات وغيرها، وبعد أن وصل لغزة استقبله أمراء مصر بينما انتظره السلطان بالجيزة ورحب به وألبسه تشريفا ، وأسكنه في بيت ووفر له كل متطلباته[٧]. ومن أشهر مراسم الاستقبال التي أجراها سلاطين المماليك ما فعلوه مع القان أحمد بن أويس الوافد عام ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م إذ كتب للأمير نعير بن حيار أمير آل فضل بإكرامه و القيام بما يليق به من الخدمة والعليق والضيافة والإذن له بالإقامة في أي مكان يختاره من البلاد وبعد أن نفذ نعير ما طلب منه ، توجه به إلى حلب وأنزله بميدانها، وهناك تلقاه نائبها الأمير جلبان ورتب له ما يليق به من ضيافات وعليق ثم توجه إلى دمشق فاستقبله جندها ونائبها ، وأنزله بالقصر الأبلق والميدان ، وبعد أيام توجه للقاهرة صحبة شنتمر الخاصكي – بعد زيارته للقدس – أثناء ذلك كان السلطان برقوق قد انتدب الأمير عز الدين ازدمر الساقي ، وأرسله بالإقامات ، وجهز معه ألف دينار وثلثمائة ألف درهم برسم النفقة على ابن اويس ، وبعد أن جاء الخبر باقترابه من القاهرة خرج استادار الصحبة ومعه المطبخ والمأكولات للقائه ، ثم خرج السلطان والجند وانتظروه في الريدانية خارج القاهرة ، وعند وصوله صافحته الأمراء ، وقبل معظمهم يده ، وكان في مقدمتهم بتخاص حاجب الحجاب والذى عرفه باسم ورتبة ووظيفة كل منهم ، وبعد الانتهاء من سلام الأمراء نزل السلطان من على المسطبة وعانق القان ولم يسمح له بتقبيل يده ، ثم خلع عليه السلطان قباء حرير بنفسجي مطرز بالذهب ، ومد له الأمير محمود الاستادار سماطا[١] هو وأصحابه، وبعد فترة من الحديث أحضر للقان

---

(٣) الجاشنكير : كلمة فارسية من لفظين : جاشنا وتعني الذوق ، كير بمعني المتعاطي . وهو الذي يتصدى لتذوق الطعام قبل السلطان مخافة التسمم . القلقشندى : المصدر السابق ، جـه ، ص٤٦٠ ؛ Poole : op . cit , p 247

(٤) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٩٥٠ .

(٥) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص٢٢، ٤٠ .

(٦) المهمندار : كلمة فارسية من لفظين : مهمن ومعناه الضيف ، دار وتعني ممسك .ووظيفته تلقي القادمين على السلطان وانزالهم بدار الضيافة والقيام علي شئونهم . القلقشندى : المصدر السابق ، ص٤٥٩ .

(٧) ابن حبيب : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٨٠ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق١، ص٢٩٤ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق ، ص٢٧٤ .

(١) السماط : موائد الأطعمة والمآكل . Dozy : op . cit , P 684

فرس بسرج ذهب وكنبوش[٢] مزركش وركب عليه وسار على يمين السلطان وسار الجند حولهما ميمنة وميسرة وسط جمهور المشاهدين الذين اكتظت بهم الصحراء للفرجة ، وشقوا القاهرة في موكب حتى وصلا للقلعة ، وهناك ترجلت العساكر ، وأشار السلطان للقان بالذهاب إلى الدار التي أعدت له ، وما أن وصلها حتى أرسل له برقوق مائتي ألف درهم ، ومائتي قطعة قماش سكندري ، وثلاثة خيول، وأربعين مملوكا وجارية .....[٣].

يبقى بعد ذلك بيان ما أعتمده المماليك في استقبالهم للوفدين من الدولة العثمانية ، كي يتبين لنا عما إذا كان هناك فروق في المعاملة. فالجمجمة بن عثمان الوافد في ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م برزت المراسيم بإكرامه وطلب السلطان الأشرف قايتباي من نائب حلب أن يسمح له بالحضور إلى القاهرة في قليل من جنده ، بينما انشغل السلطان بالتجهيز لاستقباله، فأرسل لملاقاته الصاحب خشقدم الزمام ، فمد له اسمطه حافلة ببلبيس والخانكة ولاقته الأمراء والجند والحجاب في موكب حافل حتى صعد القلعة ، ولما مثل بين يدي السلطان وهو جالس على الدكة تحرك له ولم يقم ، ثم أعطاه خلعة واركب فرسا من مركوبه بسرج ذهب وكنبوش زركش ، ونزل من القلعة في موكب حافل يتقدمه الأمراء ورؤوس النوب[٤] ، وانزل في دار أعدت له [٥]. أما قرقد بك الوافد في صفر ٩١٥ هـ ١٥٠٩ م إلى دمياط ، فنجد السلطان قنصوه الغوري عين لملاقاته الأمير أقباى أمير آخورثان[٦] وأزدمر المهمندار، ونانق الخازن ، ومعهم ملاقاة وصفت بالحافلة ، وجهز المراكب ومنها الحراقة[٧] الكبيرة التي يكسر فيها السد ليركب فيها قرقد بك ، وعند تحرك قرقد أمر السلطان الكاشف ومشايخ العربان بمد الأسمطة له طوال الطريق واستقباله وإمداده بالأغنام والإوز وغيرها ، وبعد أن وصل قرقد إلى شبرا في يوم الأربعاء ١٨ صفر ، أخلى له السلطان قاعات البرابخية ببولاق وأمر ناظر الخاص بتجهيزها بكل ما تحتاجه، وذهب كبار الأمراء للسلام عليه ، تبعهم القضاة والمباشرين، ثم أرسل له السلطان عشرون فرسا ، وشرع في تزيين القلعة بالصناجق[١] السلطانية والمكاحل[٢] وغيرها من الأسلحة وذلك

---

(٢) كنبوش : برذعة توضع علي الخيول وتكون تحت السرج . عاشور : العصر ، ص٤٦٧ ؛ البقلي : المرجع السابق ، ص٢٨٩ ؛ Dozy : op .cit , T.2 P 499

(٣) ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ١٢ ، ص٥٢ ؛ الصير في : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣٦٤ -٣٧٧ ؛ ابن إياس : المصدر السابق ، جـ١ ق٢ ، ص٤٦٢ -٤٦٥ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق٢ ، ص٧٨٩ -٨٠١ ؛ ابن دقماق : المصدر السابق ، ص ٢٦٩ -٢٧١ ؛ ابن صصرى : المصدر السابق ، ص١٤٠ ؛ الشوكاني : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٤٢.

(٤) رأس النوبة: لقب من يتحدث علي مماليك الأمير أو السلطان ، وينفذ أمره فيهم . القلقشندى : المصدر السابق ،ص٤٥٥

(٥) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص١٨٣ — ١٨٥ ؛ ابن طولون : المصدر السابق ، ق١ ، ص٤٣ .

(٦) أمير أخور : المسئول عن إصطبل السلطان أو الأمير ، والمشرف علي ما فيه من خيل أو إبل وعليفها . القلقشندى : المصدر السابق، ص ٤٦١ ؛ poole : op . cit , p 247

(٧) الحراقة: نوع من السفن الحربية تستخدم لحمل الأسلحة النارية. ولها إستخدامات أخرى كثيرة. للمزيد: درويش النخيلي: السفن الإسلامية علي حروف المعجم (جامعة الاسكندرية١٩٧٤) ص٣٢-٣٧؛ Dozy:op. cit, T .1, p 274

(١) السناجق: رايات صغيرة صفراء اللون وهو المقصود هنا. والسنجق لفظ تركي معناه الرمح ، ولما كانت الراية تجعل في أعلي الرمح ، عبر بالرمح نفسه عنها . القلقشندى : المصدر السابق ،جـ٤ ، ص٨ ؛ جـ٥ ، ٤٥٨ ؛ Dozy:op. cit, p 691.

تمهيدا لعمل موكب بالحوش لاستقبال قرقد. ثم رسم للمهندار ورؤوس النوب بالتوجه لإحضاره إلى القلعة، فشق القاهرة وأنزلوه على مقعد من حرير عند باب الدهيشة[٣] ، وبعد ساعة دخل الحوش، فنزل له السلطان من على الدكة وتعانقا، ثم قبل يد السلطان وتحدثا ، ثم خلع عليه السلطان وخرج ليصطحبه الأمراء إلى البرابخية وينفض الموكب ، وأرسل السلطان خلفه عشرون ألف دينار وعدة بقج قماش .....[٤]

ومن الجدير بالذكر هنا أن بعض الوافدين لم يسلموا في طريق مجيئهم للبلاد من بعض الأخطار الطبيعية والبشرية فمثلا: عندما وفد الأيوبيون حكام دمشق إلى مصر ٦٥٧ هـ / ١٢٥٨ م ، كان الفصل آنذاك شتاء - فمات منهم خلائق كثيرة بالطريق - كما نُهب أكثرهم[٥]. كذلك صاحب وفود الأويراتية هلاك الكثيرين منهم[٦]. وعندما وفد قرا يوسف بن قرا محمد إلى الشام ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م نزل بأهله وخاصته تجاه الرحبة ، فنهبه العرب ولم يمكن منها ، فتوجه إلى دمشق[٧]. كذلك تعرض بيرم صاحب هيت أثناء هربه إلى الشام للنهب على أيدي العربان[٨]. وآخر مثال على ذلك هو ما حدث لأهل العراق القادمين من بغداد والموصل وتبريز والحلة والمشهد هربا من الجور والظلم عام ٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م ، إذ صادفهم انتشار الوباء بدمشق وحلب وحماه ، فمات منهم أعداداً لا تحصر[٩].

وفي نهاية هذا المبحث يبقى لدينا تساؤل أخير فحواه : هل رفضت دولة المماليك في مصر والشام قبول وافدين إليها أو دخولهم، أو توانت في مساعدتهم ؟ وللإجابة عن ذلك نؤكد أن القاهرة رحبت بكل من وفد إليها، حتى وإن كان عدوا، أو عاصيا لها - مثل عليباك كبير التركمان ٨٢٧ هـ - [١]وآوته أو ساعدته في تحقيق ما جاء من أجله . وبالرغم من ذلك عثرنا على بعض الحالات التي لم تسمح لهم الدولة بالدخول ، أو لم تلب طلبهم. وبالنظر إلى كل حالة منها على حدة يمكننا الوقوف على الأسباب التي جعلت القاهرة تتخذ هذا الموقف :-

---

(٢) المكاحل: آلة من آلات الحصار ، وهي المدافع التي تقذف بالنفط أو الأسهم العظيمة أو بندق الحديد. القلقشندي : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٤٤ ؛ Dozy : op . cit , T. 2 , p 455

(٣) الدهيشة: دار بناها السلطان الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون علي غرار دهيشة صاحب حماه .... المقريزي: خطط، جـ٢، ص٢١٢.

(٤) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص١٥٢ — ١٥٥ .

(٥) المقريزي : السلوك ، جـ١ ق٢ ، ص ٤١٦ .

(٦) النويري : المصدر السابق ، جـ٣١ ، ص٢٩٩ ؛ المقريزي : المصدر السابق ، جـ١ ق٣ ، ص ٨١٣ .

(٧) المقريزي : المصدر السابق ، جـ٣ ق٣ ، ص١١١٨ ؛ ابن إياس : المصدر السابق ، جـ١ق٢ ، ص٦٨٤ .

(٨) الصيرفي : المصدر السابق ،جـ٣ ،ص٢٣٢ .

(٩) المقريزي : المصدر السابق ، جـ٤ ق٢ ، ص١٠٢٩ .

(١) الصيرفي : المصدر السابق ، ص٥٥ .

- أحيانا رفض بعض نواب الشام دخول الوافدين إلى نياباتهم - من تلقاء أنفسهم وشوشوا عليهم بغية ردهم[٢] - لعدم استعداد هؤلاء النواب تحملهم أو الصرف عليهم . وهذا ما حدث عام ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م مع القان أحمد بن أويس ، عندما وفد إلى حلب ، فقاتله نائبها دمرداش مستعينا بدقماق نائب حماه[٣].
- أحيانا بسبب الخوف من إغارة أعداء الوافدين على البلاد المملوكية ، في إطار تتبعهم لخصومهم الفارين. وهذا ما حدث مع جهان كير بن على بك صاحب آمد في جمادى الآخرة ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م . إذ هرب من جهان شاه صاحب تبريز ولم يجد ملجأ سوى القدوم لحلب ، فنزح أكثر الحلبيين خوفا من تحرك جهان شاه ، الأمر الذي اضطر السلطان جقمق إلى كتابة مرسوم إلى الأمير سليمان بن دلغادر صاحب أبلستين بمنع جهان كير من العبور لبلاده إذا فر أمام جهان شاه[٤].

---

(٢) الصير في : المصدر السابق ،جـ٢ ، ص٦١ .

(٣) حكيم أمين :المرجع السابق ،ص ١٣٠ -١٣١.

(٤) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور ،جـ١ ، ص٢٧٧ ،٢٩٦ .

المبحث الخامس

أوضاع الوافدين ومكانتهم داخل المجتمع المملوكي بمصر والشام

هل ظل الوافدون بدولة المماليك حتى الوفاة ، أم بعد فترة عادوا لبلادهم ؟ وهل احتفظ غير المسلمين منهم بدينهم أم أسلموا ؟ وهل تركوا بحريتهم أم خضعوا للمراقبة ؟ وهل سكنوا أحياء واحدة أم تفرقوا ؟ وهل منحوا حصانة منعت أعداءهم من الاقتراب منهم أم ضحى بهم حكام مصر أحيانا إرضاء لدولهم ؟ وهل سببوا مشاكل لبعض السلاطين بسبب حمايته لهم ؟ وهل تعصبوا لبني جنسهم وتطلعوا للانفراد بالحكم في البلاد ؟ وهل حصلوا على رواتب ؟ أم دخلوا سلك الجندية وحصلوا على إقطاعات؟ وهل اندمجوا في الدولة وخالطوا المماليك بعلاقات مصاهرة، أم تقوقعوا على أنفسهم وعاشوا في جيوب منعزلة؟ حول الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها يدور هذا المبحث .

وبادئ ذي بدء ننوه إلى أننا لم نعثر على منتج أدبي يشير إلى تقبل المصريين والشاميين لهؤلاء الوافدية أو رفضهم. سوى ما ذكرته المصادر التاريخية عنهم وما قدمه السلاطين لهم من تسهيلات. وإن كان الواقع يشير إلى أن هؤلاء القادمون اندمجوا في الطبقة الحاكمة وبالتالي عاش معظمهم بمعزل عن طبقة المحكومين ، شأنهم في ذلك شأن المماليك والذين تميزوا عنهم بأقدمية القدوم واعتلائهم سدة الحكم . وقد وصف المقريزي[1] بعضهم بـ " اللصوص " وهذا يبين لنا نظرة المعاصرين لهم، ربما لاستلابهم ثروة البلاد وتنعمهم بها وحرمان أصحابها منها، وربما لانحراف سلوكهم أو غير ذلك مما يفصح عن نظرة الضيق تجاههم .

(١) عنيت الدولة المملوكية بتدبير سكن ملائم للوافدية عقب الإذن لهم بدخول البلاد ، واهتمت السلطة باستقدام بعضهم إلى القاهرة ، وتوزيع البعض الآخر على الأقاليم المصرية والشامية ، خاصة التي تعاني من خلخلة سكانية أو حاجة إلى من يدافعون عنها ضد المغيرين على البلاد . من أجل هذا نجد أن كلا من الأيوبيين – في فترة الضعف التي سبقت زوال حكمهم – والمماليك – في بدء حكمهم وضعفهم البحري – عمدوا إلى توطين الوافدية بالجزء الأعظم من الساحل السوري الفلسطيني . وقد برر البعض[2] ذلك بأن هذه المنطقة كانت تحت حكم الصليبيين باستثناء مناطق قليلة منها. وعندما وفد الأكراد الشهرزورية إلى دمشق ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م وطنوا بغزة[3]. وسار على النهج نفسه السلطان الظاهر بيبرس في بدء حكمه

---

(١) الخطط ، جـ٢ ، ص٢٢ .

(٢) Ayalon : Op. cit. ,p. 94.

(٣) آشتور : المرجع السابق ، ص٣٧٨ ، Ayalon , Op. cit , p. 97.

وأنزل القبائل التركمانية بيافا لحراستها بعد استيلائه عليها ٦٦٦ هـ وذلك لكونهم قبائل محاربة[١]. ثم عدل بعد ذلك السلطان بيبرس عن هذه السياسة وقام بجمع التتار الذين وفدوا في عهده وأسكنهم القاهرة ولم يرسلهم إلى ساحل الشام[٢]. ربما رغبة منه في الاستفادة من خبرتهم والاستعانة بهم في جيشه وفتوحاته الكثيرة. وقد عاش هؤلاء الوافدون في جماعات عرقية وعنصرية منفصلة بعضها عن بعض ، فمثلا في حلب كانت هناك أحياء للتركمان خارج الأسوار، كما كان فيها حي للأكراد وشارع للفرس . وعلى غرار ذلك كانت توجد بالمدن الآخرى أحياء للأكراد والأتراك ، وجماعات صغيرة من اللاجئين من الخارج[٣]. ولقد ولد التضامن في بعض المناطق عداوات شرسة بين الأحياء كانت تشرئب بأعناقها كلما ضعف الحكم المملوكي . فمثلا حدثت حروب داخلية بالمدن الفلسطينية أحدثتها الخصومات الكردية أو التركمانية ، منها ما وقع في الخليل عام ٨٧٨ هـ / ١٤٧٣ م حينما تقاتلت أحزاب كردية مع جماعة تسمى الدرية ، فتدفقت رجال القبائل الريفية المجاورة لنصرة زملائهم[٤]. واستكمالا لموضوع السكن يتبين لنا أنه عندما وفد أبو القاسم أحمد ، هيأ له السلطان الظاهر بيبرس مكانا في القلعة لسكنه[٥]. وثمة اتفاق بين المصادر[٦] أن السلطان الظاهر بيبرس أمر ببناء عمائر بأراضي باب اللوق[٧] وأنزل بها كل من وفد إليه من التتار عامي ٦٦٠ /٦٦١ هـ ومن وفد من بعدهم. وانتهج السلطان العادل زين الدين كتبغا المنصوري النهج نفسه مع الوافدين من الأويراتية عام ٦٩٥ هـ . إذ هيأ لهم مساكنا بحي الحسينية في القاهرة وأنزل أكبارهم بها ، في حين وطن الباقين ببلاد الساحل مثل عثليث وضواحيها

---

(١) العريني: المرجع السابق، ص ٦٠؛ الشيال: المرجع السابق؛ بولياك: الاقطاعية ، ص٣٧ ؛ Ayalon: op. cit, p 99

(٢) العريني : المرجع السابق ؛ . Ayalion : op . cit

(٣) إيرالابدوس : مدن أسلامية في عصر المماليك (تعريب علي ماضي ، بيروت ١٩٨٧) ص١٤٨ .

(٤) لابدوس : المرجع السابق ،ص ١٥٠ .

(٥) المقريزى : السلوك ،جـ١ق٢ ،ص٤٥١ .

(٦) النويرى :المصدر السابق ،جـ٣٠ ،ص٨٩،٦٣ ؛المقريزى :المصدر السابق ، ص٤٧٤ ؛ خطط ، جـ٢ ،ص١١٧-١١٨ ؛شبارو: المرجع السابق ،ص١٩ .

(٧) لاق الشيء : لينه ، وكانت أراضي اللوق يعمها النيل وبعد انحساره كانت لاتحتاج إلي الحرث للينها بل تلاق لوقا؛ وأيضا يقال إن اللق أرض ضيقة مستطيلة ؛واللق الأرض المرتفعة . وكانت أراضي باب اللوق في زمن المماليك عبارة عن بساتين لا بناء عليها ، ولما انحسر عنها الماء أمر الظاهر بيبرس ببناء عمائر بها للوافدين ، وكانت تطل علي بركة الشقاف وتنتهي من الجانب الغربي إلي منشأة المهراني ومن الجانب الشرقي إلي الدكة بجوار المقس .... للمزيد انظر : المقريزى : الخطط ،جـ٢ ،ص١١٧ .

وقاقون[١]. وبعد ذلك غادر كثير من الأويراتية بلاد الساحل وحضر للقاهرة، ووطن الجزء الأعظم منهم في الربع العسكري من الحسينية، والذي أصبح أعظم ربع في القاهرة [٢]. وبسبب اتخاذ كثير من الوافدين القاهرة سكنا لهم نجد أنه نسبت إليهم بعض المواضع بها مثل " رحبة وزير بغداد " والتي نسبت إلى الوزير نجم الدين محمود بن على المعروف بوزير بغداد ، والذي وفد لمصر في ٨ صفر ٧٣٨ هـ [٣]، و"حمام الكويك" نسبة إلى التاجر العراقي نور الدين على بن الكويك التكريتي [٤].

ومثلما غدت القاهرة مقرا للوافدين المشارقة ، نجد الإسكندرية هي الأخرى غدت مقرا للوافدين المغاربة فنزل بدار سلطنتها حاكم تونس المخلوع زكريا اللحيانى وأولاده وحاجبه ووزيره[٥]. كذلك نزل بها عام ٧٣٢هـ / ١٣٣١م أفراد بني عبد المؤمن وأشياعهم ، بعد طرد الحفصيين لهم[٦]. أيضا نزل بها السلطان عبد الحليم ، بمكان على البحر عام ٧٦٦ هـ / ١٣٦٤ م[٧] وبعيدا عن القاهرة والإسكندرية نجد بيرم التركماني الصوفي عندما وفد عام ٨٣٥ هـ / ١٤٣١ م استقر بجهة الفيوم[٨]. وعندما وفد خليل الطرقي التركماني بعشيرته ٧٣٧ هـ استقر الأمر على أن يقيم بأرض الأبلستين[٩]. كذلك عندما قدم شاه بضاع بن دلغادر ٨٩٥ هـ / ١٤٨٩ م بعثه السلطان قايتباي للإقامة في أسيوط[١٠]. وهذه الأمثلة تبين أن السلطة كانت هي المسئولة عن اختيار أماكن إقامة الوافدية . وإن فضل الكثيرون منهم الإقامة بمصر بسبب غناها إذا ما قورنت بغيرها من البلاد الشامية ، وبسبب ارتفاع مستوى المعيشة بها[١١].

---

(١) اليوسفي : المصدر السابق ،ص١٦٩ح (٢) ؛ النويرى المصدر السابق ،جـ٣١ ،ص٨٨ح(١) ؛الدواداري :المصدر السابق ، جـ٨، ص٣٦٢ ؛المقريزى : المصدر السابق ، ص٢٢-٢٣ ؛ الشيال : المرجع السابق ، ص١٤٤ ؛ علي حسن : دراسات ص٣٥٣ ؛ حكيم أمين : المرجع السابق ، ص١٨ ؛ مختار : المرجع السابق ،ص٣٤٨ ؛ Poliak :op. cit , p 234

(٢) عاشور :العصر المماليكي ،ص١١١ ؛ Ayalon : op. cit, p. 100

(٣) المقريزى : المصدر السابق ، ص٥٠ .

(٤) المقريزى : المصدر السابق ، ص٨٤.

(٥) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص٢٢ .

(٦) عمار : المرجع السابق ، ص٦٢ .

(٧) ابن إياس : المصدر السابق ،جـ١ ق٢ ، ص١٩ .

(٨) المقريزى : السلوك ، جـ٤ ق٢ ، ص ٨٦٦ .

(٩) اليوسفي : المصدر السابق ، ص٣٦٠ .

(١٠) ابن إياس : المصدر السابق ،جـ٣ ،ص٢٦٨ .

(١١) A Shtor : L'evolution des Prix dans le Proche Orient a la Basse-Epoque. (J. E. S. H. o, Vol. IV, Part 1 , Leiden 1961) p. 45

(ب) وفيما يتصل بمدة إقامة الوافدية نجد أنها تباينت من حالة لأخرى، وذلك وفقا لظروف البلد المستقبل (مصر والشام) من ناحية، ولظروف البلد الطارد أو المستنجد من ناحية أخرى، وإن غلب على الجميع صفة الإقامة الدائمة والانصهار بالمجتمع. وفيما يختص بهذه النقطة يمكن تقسيم الوافدية إلى ثلاثة أقسام :-

١- قسم من الوافدية اقتصرت مدة إقامتهم حتى تحقق الهدف الذي من أجله وفدوا. ومن أمثلة هذا القسم أبو القاسم احمد الذي قدم في ٦٥٩ هـ ثم اصطحب قوة وعاد لاسترجاع بغداد فقتل[١]. القائد سلامش الرومي الوافد ٦٩٧ هـ وقد زوده لاجين بقوة لإحضار أهله فقتل[٢]. السلطان زكريا اللحياني صاحب تونس الوافد ٧٠٩ هـ وقد زوده الناصر محمد بقوة أعادته لعرشه[٣]. صاحب اليمن الملك المجاهد والذي استنجد بالسلطان الناصر محمد ٧٢٥ هـ فأمده بجيش أجبر أهل زبيد إلى الدخول في طاعته[٤]. الأمير ركن الدين كرنبس النوبي نائبا من ملك دنقله عام ٧٦٧ هـ وقد زودته مصر بقوة أعادت إليه ملكه[٥]. على باك بن قرمان الوافد ٨٢٢ هـ ، فزوده المؤيد شيخ بجيش أعاده لحكم البلاد [٦].

٢- قسم ثان من الوافدية دامت إقامتهم فترة من الوقت ريثما تغيرت الأوضاع ببلادهم والتي كانت سببا وراء لجوئهم لدولة المماليك. ومن أمثلة هؤلاء الأمير حسام الدين حسين بن خربندا الوافد إلى الشام ٧٢٦ هـ ، وقد عاد بعد ذلك لبلاده بناء على طلب القان أبي سعيد بعد أن تقرر الصلح بين المماليك ودولة إيلخانات فارس [٧]. محمد بن تافراكين وزير تونس الوافد ٧٤٩ هـ هربا من بني مرين ، ولما عادت تونس إلى الحفصين رجع إليها [٨]. القان أحمد بن أويس صاحب بغداد الوافد عام ٧٩٥هـ هربا من تيمورلنك، وعندما رجع تيمورلنك لبلاده دخل القان أحمد بغداد وانتزعها من نائب تيمورلنك[٩]. الجمجمة بن عثمان الوافد ٨٨٦هـ ، وبعد فترة توجه إلى بلاده كي يحارب أخاه أبا يزيد[١٠]. الأمير نور على الوافد من

---

(١) العيني : عقد الجمان ،جـ١، ص٣٠٨؛ المقريزى : المصدر السابق ،جـ١ ق٢ ، ص٤٥١ .

(٢) أبو الفدا : المصدر السابق ، ص٣٧٥ ؛ النويرى : المصدر السابق ، ص٣٧٥.

(٣) ابن الوردى : المصدر السابق ، ص١٨٦ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،جـ٩ ، ص ٨٥ .

(٥) ابن إياس :المصدر السابق ، جـ١ ق٢ ، ص٣٠ .

(٦) الصير في : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٤٣٨.

(٧) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق١ ،ص٢٨٢ ح (٨) .

(٨) عمار : المرجع السابق ، ص٦٥ .

(٩) الشوكاني: المصدر السابق ،ص٤٢؛ الصير في: المصدر السابق، جـ١ ،ص٣٩٠ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق٢ ، ص٨١٤ ؛ ابن دقماق : المصدر السابق ، ص٢٧٣ ؛ ابن إياس :المصدر السابق ، ص٤٦٩ .

(١٠) ابن إياس : المصدر السابق ،جـ٣ ، ص١٩٢ .

ماردين ٨٩٩ هـ فرارا من رستم صاحب العراقين ، وقد ظل بمصر حتى توفي السلطان قايتباي ثم فر إلى بلاده [١].

٣- قسم ثالث من الوافدية اتخذ لجوؤهم صفة الديمومة وانصهروا في النسيج المملوكي وظلوا بمصر حتى الوفاة. وهذا القسم من اكبر الأقسام ، ويشمل غالبية الذين وفدوا لدولة المماليك. ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

التتار الوافدين أعوام ٦٦٠ هـ / ٦٦١ هـ ، ٦٩٥ هـ[٢] تقى الدين توبة التكريتي المتوفي عام ٦٩٢هـ[٣] الأمير قطقطوا أخو سلامش ومخلص الرومي الوافدان ٦٩٨هـ[٤]. الأمير مبارز الدين سوار الرومي الوافد أيام الظاهر بيبرس والمتوفي عام ٧٠٤ هـ[٥]. محمد بن قاضي الجماعة الأندلسي، توفي بدمشق ٧١٨ هـ[٦]. السلطان زكريا اللحياني الوافد عام ٧١٩ هـ ، والذي رفض العودة للملكه وظل بالإسكندرية حتى توفي ٧٢٧ هـ [٧]. أبو دبوس المغربي توفى بمصر ٧٣١ هـ[٨]. عبد الحليم المريني صاحب سجلماسة ، توفي بتروجه ٧٦٧ هـ[٩]. الفقيه أبو عبد الله التلمساني توفي بالقاهرة ٧٨١ هـ[١٠]. الشريف عنان بن مغامس الحسني أمير مكة الوافد٧٨٨ هـ[١١]. الأمير سلطان بن على شاه أبن أخو القان أحمد [١٢]. محمد بن الحكم المريني حاكم سجلماسة ، توفي بمصر ٨١٠ هـ[١٣]. سبعة من كبار الأمراء الفرنج القبارصة الوافدين عام ٨٣٠ هـ ، وكذلك الأمير عيسى بن قرمان الوافد في العام نفسه[١٤]. الأمير حمزة بن قرا عيسى وحاشيته [١٥]. الأمير ككجاموس التركماني وحاشيته

---

(١) ابن إياس : المصدر السابق ، ص٣٠٢ .

(٢) المقريزى: الخطط،جـ٢، ص ١١٧ -١١٨؛ السلوك، جـ١ ق٣، ص٨١٢ -٨١٣؛ النويرى: المصدر السابق، جـ٣٠ ، ص٨٩ -٩٠ .

(٣) الكتبي : المصدر السابق ، ص ٢٧٨.

(٤) النويرى : المصدر السابق ، جـ٣١ ، ص٣٧٥ .

(٥) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق١ ، ص١٣ .

(٦) المقريزى : المصدر نفسه ، ص١٨٩ .

(٧) ابن حبيب: المصدر السابق، جـ٢، ص١٧٦؛ أبو الفدا: المصدر السابق، ص٢٩٧؛ ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ص٢٦٨؛ ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص٢٢ ، ٤١ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، ص٢١٥ ، ٢٩٠ .

(٨) ابن الوردى : المصدر السابق ، ص٢٨٦.

(٩) ابن إياس :المصدر السابق ، جـ١ ق٢ ، ص١٩ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق١ ،ص١٠٨ .

(١٠) ابن قنفذ : المصدر السابق ، ص٣٧٤ .

(١١) ابن إياس : المصدر السابق ، ص٣٧١ .

(١٢) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق٢ ، ص٨٣٢ .

(١٣) عمار : المرجع السابق ، ص٦٥ .

(١٤) العيني : المصدر السابق - حوادث ، ص٣١٨ ، ٣٢٠ .

(١٥) الصيرفي : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص١٢٨ .

الوافدون عام ٨٣٤ هـ[١]. الأمير سليمان بن اورخان بك العثماني وأخته شاه زاده ، وقد توفي سليمان عام ٨٤١ هـ وأخته ٨٥٩ هـ[٢]. السيد على بن بركات الحسني الوافد من مكة عام ٨٧٢ هـ[٣]. حسين بك مرزاه بن محمد أغرلو[٤]. فرقة العثمانية الوافدة ٨٩٤ هـ[٥]. الأمير شاه بضاع بن دلغادر الوافد عام ٨٩٥ هـ / ١٤٨٩ م وتوفي بالطاعون عام ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧م[٦].

(ج) أما بالنسبة إلى ديانة الوافدية: نجد أن عددا كبيرا منهم كان يدين بالإسلام وبالتالي لم يجدوا غضاضة في قبول المجتمع المملوكي لهم ، سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي. بيد أن أعدادا أخرى كبيرة وفدت للدولة كانت المسيحية واليهودية ديانة القليل منهم ، بينما طغت الوثنية على عقيدة معظم الباقين. وبالنسبة لهاتين الطائفتين يمكن القول بأن أهل الذمة لم تصادفهم أية مشكلات وانخرطوا في المجتمع شانهم شأن بني جلدتهم بالدولة ، مع ملاحظة أن بعضهم تحول إلى الإسلام. أما الوثنيين فقد نفرت منهم الرعية وأنفت منهم نفوس الأمراء في البداية ، وعندما عرض عليهم الإسلام اسلموا جميعهم، ومع ذلك ظل شئ من البعض تجاههم بسبب تمسكهم ببعض عاداتهم المخالفة للشريعة الإسلامية. وللوقوف على هذه الأحوال نعرض ما ذكرته عنهم المصادر بهذا الخصوص:- في عام ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م وفد للقاهرة مائتا فارس تترى بعائلاتهم ، وبعد استقبالهم وإسكانهم ذكر المقريزي[٧] بصددهم أنهم تظاهروا بدين الإسلام ، وفي موضع آخر[٨] ذكر بأنهم دخلوا الإسلام . وفي الوقت نفسه وصفهم النويري[٩] بأنهم أسلموا وحسن إسلامهم. ويمكن القول بأن ما دعا صاحب الخطط إلى الوصف السابق هو عدم التزامهم بالأحكام الإسلامية في البداية لقرب عهدهم بالوثنية ، ولجهلهم العربية لغة القرآن الكريم. لكن يبدو أنه نتيجة اختلاطهم بالدولة وتعليمهم بالطباق حسن إسلامهم كما ذكر صاحب نهاية الأرب.

---

(١) العيني : المصدر نفسه ، ص٤٠٢ .

(٢) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور ، جـ٢ ، ص٥٦٠ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤ ق٣ ، ص١٠٦٤ .

(٣) ابن إياس : المصدر السابق ،جـ٣ ، ص١١ .

(٤) ابن إياس : نفسه ، ص١٣٩ .

(٥) ابن إياس : نفسه ، ص٢٦١.

(٦) ابن إياس : نفسه ، ص٣٨٩ .

(٧) الخطط ، جـ٢ ، ص١١٧.

(٨) السلوك ، جـ١ق٢ ، ص٤٧٤ .

(٩) المصدر السابق ، جـ٣٠ ، ص٦٤ .

وفي عام ٦٦١ هـ وفدت إلى البلاد ثلاث موجات من التتار، أجمع نفر من المؤرخين[١] أنه عرض عليهم الإسلام فأسلموا وختنوا جميعهم. وفي العام التالي أسلم أناس كثيرون من التتار والفرنج المستأمنين[٢]. وفي بدء الهجمة الأويراتية على البلاد جاء شخص يدعى عليّ، اسلم وخدم المشايخ وظهرت له بعض الكرامات ... وكان مصيره السجن[٣]. وعندما وفد الأويراتية ، ظلوا على كفرهم ولم يصوموا رمضان فأنف منهم الأمراء وبغضهم الناس، ثم تدريجيا دخلوا الإسلام واختلطوا بأهل البلاد[٤]. وفي عام ٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م وفد اميرزه ابن ملك الكرج ورغب في اعتناق الإسلام ، فعقد له مجلس بين يديّ السلطان برقوق وبحضرة القضاة ، وأسلم وسُمي عبد الله[٥]. وعندما وفد سبعة من أكابر الفرنج القبارصة في يوم الخميس ١٢ ذي القعدة ٨٣٠ هـ / ١٤٢٦ م ، اسلم منهم اثنان[٦]. وإلى جانب ما سبق وجد أن بعض اليهود اسلموا عقب وفودهم للدولة، نذكر منهم نفيس بن عانان اليهودي العراقي ، الوافد عام ٦٥٤ هـ وتبعه كثيرا من اليهود[٧]. كذلك اسلم أحمد بن المغربي الإشبيلي (ت ٧١٨ هـ)[٨] وغيرهما.

د- وإلى جانب الاستقبال الضخم الذي حظي به بعض كبار الوافدية، فقد تبوأ بعضهم مكانة سامية بالدولة قلما نالها بعض رجال السلطة نفسها ، وقبلت شفاعاتهم في المنفيين والمغضوب عليهم. فها هو الأمير سلار المنصوري الوافد عام ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م يُعرض عليه الملك وحكم البلاد عام ٧٠٨ هـ، ولكنه رفض "وحلف بالطلاق من نسائه أنه ما يتسلطن"[٩]. وبالنسبة لموضوع الشفاعة نجد القان أحمد عام ٧٩٥ هـ يشفع في الأميرين نعير بن حيار، واحمد بن شكر-كانا عاصيين ومن عصبة منطاش عدو برقوق- فقبل السلطان شفاعته وأعادهما للأمرة[١٠]. كذلك قرقد بك العثماني شفع في أزبك المكحل -أحد المنفيين لدمياط - فقبل السلطان شفاعته، ورسم بإحضار أزبك لمصر[١١]أما

---

(١) المنصورى : مختار ، ص٢٤ ؛ النويرى : المصدر السابق ، ص٩٠ ؛ المقريزى : المصدر السابق :ص٥٠١ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق ،ص٥١١.

(٣) النويرى : المصدر السابق ،جـ٣١ ، ص ٨٨ .

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق ،ص٤٠٨ ؛ المقريزى : المصدر السابق ،جـ١ق٣ ،ص٨١٢ -٨١٣ ؛ النويرى المصدر نفسه ، ص٢٩٩ ؛ موير : المرجع السابق ، ص٧٢ .

(٥) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق٢ ،ص٥٤٥.

(٦) العيني : المصدر السابق ،ص٣١٨ .

(٧) قاسم عبده : اليهود ، ص٢٤ .

(٨) قاسم عبده :المرجع السابق .

(٩) ابن إياس : المصدر السابق ،جـ١ق١ ، ص٤٢٢ .

(١٠) العيني : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٣٦٤ ؛ ابن إياس : المصدر السابق ، جـ١ ق٢ ، ص٤٦٨ .

(١١) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٥٧

حسين بك مرزاه والذي وفد في مقتبل شبابه – ١٨ عاما – فقد حظي بمكانة عالية عند السلطان قايتباي المحمودي ، وكان يشق القاهرة وأمامه الساعي[١].

هـ – ويبدوا أن الوافدين– فيما عدا العسكريين منهم–الذين انخرطوا في الحياة المدنية تمتعوا بقسط وافر من الحرية ، فترك لبعضهم حرية اختيار محل إقامته ، وسمح لآخرين بحرية التجوال وحضور الحفلات وركوب الخيل. وإذا أمعنا النظر في حالهم سنجد أن هذه الحرية كانت ظاهرية ومقيدة ، ومراقبة ، مخافة هربهم إلى دولهم وإذاعة ما علموه من أسرار الدولة ، ورغم أن بعضهم نجح في الفرار ، إلا أن البعض الآخر رصدته عيون السلطة ، وأفشلوا محاولة هربهم تحت دعوى المحافظة على حياتهم وإمعانا في ذلك عاقبوا محرضيهم ، وحددوا أماكن إقامة المقبوض عليهم. أما العسكريون فبحكم تجنيدهم وقعوا تحت رقابة رجال السلطة ، وقوبلت محاولات تمردهم بردود صارمة. وحرص الحكام على عدم اجتماع طوائفهم المتقاربة في مكان واحد. وفيما يلي بعض الأمثلة التي تبرهن على ما يمكن الخروج به في هذا الصدد : –

عندما وفد القائد سلامش ٦٩٨ هـ خيرته السلطة ما بين الإقامة في الديار المصرية أو الشامية أو العودة لبلاده[٢]. كذلك عندما قدم القان أحمد ٧٩٥ هـ وصحبته خمسمائة نفس ، سمح لهؤلاء الأتباع بحرية الحركة في دمشق ، أو على حد تعبير ابن صصري [٣]: "تسيبوا في دمشق " وهنا نلحظ تباينا واضحا فيما عومل به هؤلاء وما عومل به نظراؤهم الأويراتية ٦٩٥ هـ ، إذا لم يسمح للآخيرين بدخول دمشق[٤]. وبعد فرار الأمير سليمان بن أورخان بك وأخته شاه زاده وأمهما وخادمهم طوغان إلى مصر ٨٣٦هـ، اسكنهم السلطان برسباي قاعة الصاحب بالقلعة ، وترك لهم حرية النزول والركوب ، وعندما حاول خادمهم الهرب بهم لبلادهم اكتشفت المحاولة بثغر رشيد ، وقبض على الخادم ولم يسمح لهم السلطان بالسفر تحت دعوى الخوف عليهم من غدر مراد بك وقتله لسليمان على عادتهم من قتل أخوتهم وأقاربهم كي لا يزاحموه على العرش[٥]. ومن الأمثلة أيضا التي تظهر تمتع الوافدية بحرية التحرك والتنقل وحضور الحفلات، ما فعل مع الجمجمة بن عثمان ، إذ دعاه القاضي ابن مزهر كاتب السر لحضور حفل كبير أقيم ببركة الرطلي بمناسبة ختان أولاده ، ولقى الجمجمة حفاوة بالغة وترحيبا من الحضور ، بناء على أمر من

---

(١) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص١٣٩.

(٢) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ق٣ ، ص٨٧٧.

(٣) المصدر السابق ، ص ١٤٦.

(٤) الدوادارى : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص٣٦٢.

(٥) ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ص ٥٦٠ ؛ الصيرفى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص٣٧٢ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤ق٢ ، ص٩٩٨؛ جـ٤ق٣، ص١٠٦٤. قاعة الصاحب: هي المقر الذي يجلس به الوزير وكتاب الدولة . القلقشندى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص٣٧٠؛ Dozy : Op. Cit, 1, p. 819.

السلطان[١]. وهذا يوضح لنا أن الدعوة والترحيب ما كان من الممكن أن يتلقاهما لو لم يأمر السلطان بذلك. وعلى صعيد آخر يبين لنا شافع بن علي[٢] أن السلاطين إذا ما قرر أحدهم السفر إلى جهة من جهات المملكة ورأى أن ذلك سيستغرق وقتا أمر بكتابة تذكرة بتفصيل ما أجمله من وصيته- سواء إلى ولده أو إلى الوالي مؤكدا عليه بألا يجتمع الأكراد أو الشهرزورية في مكان واحد. وهذا يبين خضوعهم للمراقبة مخافة تدبيرهم أمرا فيه إضرار بالسلطة .

و- ومن النقاط الهامة التي تتصل بوضعية الوافدية داخل دولة المماليك ، ما يمكن تسمية بموضوع الحصانة ، أو الالتزام الأدبي تجاههم والذي يقضي بحمايتهم ، وعدم تسليمهم لخصومهم ، أو دولهم إذا ما طالبت بهم. ومن خلال دراسة ما عثرنا عليه من حالات تبين لنا :

- أن سلاطين المماليك كثيرا ما حموا الوافدية وانجدوهم لكيلا يقعوا في أيدي أعدائهم أو مطارديهم. والمثال على ذلك عندما هرب التراكمين الكنجاوية من التتر ٧١٦ هـ أنجدهم السلطان الناصر بعسكر البيرة وحارب التتر وهزمهم، وأمّن وصول الكنجاوية سالمين بذواتهم وحريمهم إلى البلاد الإسلامية [٣].

- إن المماليك كثيرا ما رفضوا تسليم الوافدية لأعدائهم عندما طالبوا بهم. ومن أمثلة ذلك: عندما حدث تناحر على السلطة بمكه، أسفر عن هرب الشريف عنان بن مغامس من وجه الشريف أحمد بن عجلان، ووفد إلى السلطان برقوق، فطالب ابن عجلان برقوق برده، إلا أن الأخير رفض، ورد عليه بالآية الكريمة: " وإن احد من المشركين استجارك فأجره .. "[٤]. مثال آخر ما فعله السلطان الأشرف برسباي من رفضه مرارا طلب السلطان مراد بك العثماني برغبته في تسلم سليمان بن أرخن بك وأخته وأمهما [٥].

- إن المماليك أحيانا وفي إطار حفاظهم على أمن الأراضي الحجازية أعاقوا بعض الوافدين منها ، ولم يمنحوهم فرصة العودة ، وذلك بناء على اتفاق مع السادة الأشراف هناك . مثال ذلك عندما وفد إلى القاهرة السيد على بن بركات الحسني غضبا من أخيه محمد أمير مكه ٨٧٢ هـ ، أرسل السيد محمد للسلطان قايتباي ستين ألف دينار من أجل إعاقة عليّ عنده لكيلا يقيم فتنه بمكة[١].

---

(١) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٣-٢٤ . بركة الرطلى : نسبة إلى شخص كان يسكن بزاوية شرقها يصنع الأرطال الحديد التى يزن بها الباعة فسماها الناس نسبة إليه ، وهى من جملة أرض الطبالة وكان الخليج الناصرى يمر بجوارها ، وأصبحت منتزها للعامة . المقريزى : الخطط جـ٢ ، ص١٦٢ ؛ المقدسى : نفسه ، ص ١٤-١٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(٣) أبو الفدا : المصدر السابق ، ص ٤٢٦- ٤٢٧ .

(٤) حكيم أمين : المرجع السابق ، ص ١٥٦.

(٥) ابن تغرى بردى : المصدر السابق .

(١) ابن إياس :المصدر السابق ،جـ ٣ ، ص١١ .

- وإن كانت هذه الأمثلة تبين لنا أن دولة سلاطين المماليك بمصر والشام أسبغت حمايتها على الوافدية وأحتضنتهم ، إلا أن هناك وجه آخر للصورة تمثل في أنهم أحيانا ضحوا ببعض هؤلاء المحتمين بهم مقابل درء العدوان عن دولتهم ، أو مقابل استلام بعض الهاربين المناوئين لهم. ومما يؤيد ذلك انه في عام ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ م وفد دمرداش بن جوبان أحد عصاة المغول لاجئا لمصر وفي ذلك الوقت كان الأمير قرا سنقر المملوكي هاربا من مصر ولاجئا عند التتار - خوفا من القصاص منه بسبب اشتراكه في مؤامرة قتل الأشرف خليل - وعندما عقد الصلح ما بين الدولتين - المغول المماليك - طلب السلطان أبو سعيد بن خربندا من السلطان الناصر محمد تسليمه رأس دمرداش مقابل رأس قراسنقر، فنفذ الناصر الاتفاق وقتل دمرداش في حضور أياجي رسول أبو سعيد وسلمه رأسه في شوال ٧٢٩ هـ ، ولما علم قراسنقر بالاتفاق انتحر بشرب السم ومات لحينه ، فأعلم أبو سعيد الناصر محمد بذلك ولم يرسل إليه برأسه، ويقال أن الناصر غضب لأنه كان يريد قتله بيده [٢]. أما المثال الآخر فنجده قد وقع في عهد السلطان الناصر فرج ابن برقوق ، عندما حذره تيمورلنك من قبول أحمد بن أويس وقرا يوسف الهاربان منه ، وهدده باجتياح البلاد إن خالف ذلك ، الأمر الذي اضطر الناصر فرج بإصدار مرسوم إلى الأمير شيخ نائب دمشق بالقبض عليهما عندما قدما عام ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م وإيداعهما بالسجن "ترضيا لخاطر تمرلنك " وأرسل إلى تيمور يخبره بان الاثنان تحت طلبه [٣].

ز- ولم تخل مسألة قبول دولة المماليك للوافدية وحمايتهم من مصلحة. إذ استعانوا ببعضهم في التجسس على الأعداء واستعانوا بآخرين كمرشدين لمعرفة خبايا الطرقات إلى بلادهم، وإلى جانب هذا وذاك استغل المماليك الوافدية للوقوف على أخبار بلادهم أو الجهات الفارين منها. أي كانوا بمثابة مصدر للمعلومات عن تلك الجهات الطاردة لهم. ومن الأدلة التي تبرهن على ذلك : -

في أواخر عام ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م وفد إلى القاهرة شيوخ عبادة وخفاجة - من هيت والأنبار حتى الحلة والكوفة فاكرمهم السلطان بيبرس "وكانوا له عينا على التتار "[١]. وفي العام التالي وفي إطار الصداقة ما بين بركة خان والسلطان بيبرس أرسل الأخير رسلا برسالة إليه يغريه بهولاكو ..

---

(٢) ابن خلدون :المصدر السابق ،ص٤٣٥ -٤٣٦ ؛ المقريزى ،السلوك ،جـ٢ ق١ ، ص٢٩٩ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ص٤٤٨ ، ابن بطوطة : المصدر السابق ،ص٧٨ ؛ابن دقماق : المصدر السابق ،ص١٣٠ ؛موير :نفسه ،ص٨١ ، ٩٠ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم ،ج١٢ ،ص٣٠١ -٣٠٢ ، ابن إياس :المصدر السابق ،جـ١ ق٢ ، ص٦٨٦ ؛ حكيم أمين : المرجع السابق ،ص١٤٥.

(١) المقريزي : المصدر السابق ، جـ ١ ق ٢ ، ص ٤٧٦.

وسير صحبة الرسل وافديان من التتر أصحاب الملك بركة ليعرفاهما بالطرق[٢]. وعندما وفد ثلثمائة تتري إلى دمشق عام ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م - مقفزين - اخبروا بوفاة الملك المظفر البي قرا أرسلان واستقرار ولده السعيد شمس الدين داود عوضه [٣]. كذلك عندما وفد مجموعة من مقدمي التتر بعائلاتهم عام ٧٠٤ هـ "اخبروا أخبار طيبة"[٤]. وأثناء هجوم تيمور على بلاد الشام ٨٠٣هـ هرب منه خمسة أمراء إلى الطاعة ، وأخبروا بأن نصف عسكر تيمور لديهم النية في الدخول إلى الطاعة السلطانية[٥] . وتعليقا على المثال الأخير وما أحدثه بعد ذلك تيمورلنك في بلاد الشام ، يمكن القول بأن وفود البعض كان مقصودا وأن ما أخبر به بعض الوافدية من معلومات لم يكن دوما صحيحا ، بل أحيانا تكون هذه المعلومات مدسوسة ومقصودة لإحداث نوع من التراخي والفتور لدى الطرف الآخر المستقبل .

ح- في بداية قدوم الوافدية منحتهم الدولة رواتب طوال مدة إقامتهم إذا كانت إلى أجل مؤقت. أما إن كانت الإقامة دائمة فكانت تمنحهم إقطاعات يتعيشون منها. ومن الجدير بالذكر أنه لوحظ أن بيت المال كان هو الديوان الذي أنيط به الصرف على الوافدية الذين أسلموا في عهدالسلطان قلاوون ٦٨٣ هـ، إذ أجرى عليهم الجامكية والراتب والجراية[٦]. بينما في عهد السلطان قنصوه الغوري وجدنا أن الراتب الشهري الذي كان يصرف إلى قرقد بك العثماني، كان المتولى لذلك هو ديوان الذخيرة[٧]. وإلى جانب هذا وذاك كان ديوان الخاص السلطاني هو الذي يتولى الصرف على الوافدية المنضمين إلى السلطان[١]. أما بالنسبة لمقدار الرواتب نجد أنها كانت متباينة من حالة لأخرى، ومن وقت لآخر. وفي أحيان أخرى لم يذكر مبلغها. ومن خلال الجولة التالية يمكن الوقوف على ذلك :-

عند وفود أولاد الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ أنعم عليهم السلطان بيبرس بالخيول والحوائص ، وأجري لحريمهم رواتب شهرية[٢]. كذلك رتب بيبرس لأحمد بن الظاهر العباسي اتابكا وخازندارا وحاجبا وعين له خزانة ومائة فرس

---

(٢) المقريزي : المصدر نفسه ، ص ٤٨٠

(٣) الكتبى : المصدر السابق ، ص ١١٩.

(٤) الدواداري : المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ١٢٨.

(٥) المقريزي : المصدر السابق ، ج٣ ق ٣ ، ص ١٠٣٩.

(٦) ناصر الدين بن الفرات : تاريخ الدول والملوك (ج٨ ، تحقيق قسطنطين زريق ، بيروت ١٩٣٩) ص ٤ ، البيومي إسماعيل النظم المالية ، ص ٢٠٧ . الجامكية : كلمة فارسية تعني الراتب الذي يصرف للمحاربين Dozy : op cit , p168 الجراية : الأقمشة الفاخرة . Dozy : op cit , p190 . أما الراتب : فهو ما يصرف يوميا من طعام وعليق وشمع ... الخ

(٧) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٦٧ ديوان الذخيرة . هو الديوان المسئول عن إدارة الاقطاعات الشاغرة من جراء النقل أو العزل أو الوفاة والتي عرفت باسم المحاولات او المرتجعات البيومي اسماعيل الشربيني . المرجع السابق ، ص ٣٢٣ ، بولياك : الاقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان (ط١ ، ترجمة عاطف كرم ، بيروت ١٩٤٨) ص ٢٢.

(١) ابن اياس : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٦١.

(٢) المنصوري : المصدر السابق ص ١٧ - ١٨ ، سحر السيد : المرجع السابق ص ١٥.

وثلاثين بغلا وعشرة قطارات جمال[٣]. وقريبا من ذلك افاض على التتار الوافدين عام ٦٦٠ هـ بالخلع والخيول والأموال [٤]. كذلك أحسن بيبرس إلى مماليك وحاشية الملك شمس الدين بهادر عام ٦٧٢هـ وأعطاهم الرواتب [٥]. واتبع العادل كتبغا السياسة نفسها مع الأويراتية وأجرى عليهم الأرزاق، ورتب لهم راتبا جيدا على حساب طائفة البرجية[٦]. كذلك منح السلطان لاجين مخلص الرومي راتبا جاريا عند قدومه ٦٩٨ هـ[٧]. وسار على الدرب نفسه السلطان الناصر محمد، إذ منح جماعة التتر الوافدة ٧٠٤ هـ الرواتب[٨]. وأجرى للسلطان زكريا اللحياني عام ٧١٩ هـ مائة درهم يوميا[٩]. ومن بعده أجرى السلطان الأشرف شعبان الرواتب السنية للسلطان حلي عبد الحكيم الفار من المغرب ٧٦٦ هـ [١٠]. وفي إطار استقبال وترحيب السلطان برقوق للقان أحمد بن أويس ٧٩٦ هـ أرسل له مائتي

ألف درهم فضة ومائتي قطعة قماش وعشرين جارية وعشرين مملوكا وثلاثة خيول[١]. وفي العام التالي أجرى على ابن أخيه ما يكفيه[٢]. كذلك رتب المؤيد شيخ لعليباك بن قرمان رواتبا ، وأعطاه قماشا وخيلا ، وجهزه بكل ما يحتاجه للحج[٣]. وفعل مثله الأشرف برسباى مع عليباك ابن دلغار ٨٢٧ هـ، إذا أنعم عليه بقماش ومرتبات وخيل بالأضافة إلي الفي دينار[٤]. كذلك رتب لعيسي بن قرمان وجماعته ما يكفيهم وأنعم عليه بقماش وذهب عام ٨٣٠ هـ[٥]. وأيضا

---

(٣) السيوطي : المصدر السابق ، ص ٥٦٣.

(٤) المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص ١١٧.

(٥) النويري : المصدر السابق ، جـ ٣٠ ، ص ٢٠٨ .

(٦) المقريزي: المصدر السابق، ص ٢٢ ، ابن تغري بردي : المصدر السابق، ج ٨ ، ص ٦٠ ، ابن الوردي : المصدر السابق ص ٢٣٤ ، ابو الفدا : المصدر السابق ، ص ٣٧٠ ، الدواداري : المصدر السابق جـ ٨ ، ص ٣٦٢ ، عاشور : المرجع السابق ، ص ١١١ ، حكيم أمين : المرجع السابق ص ١٨ ، ضومط : المرجع السابق ، ص ٢٥٨.

(٧) النويرى : المصدر السابق ، جـ٣١ ، ص ٣٧٥ ؛ المقريزى : السلوك ، جـ١ق٣ ، ص٨٧٧ .

(٨) المقريزي : المصدر السابق ، جـ ٢ق١ ، ص ٥.

(٩) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ٢٢ ، ٤٠ ؛ عمار : المرجع السابق ، ص ٦٢.

(١٠) المقريزي : المصدر السابق ، ج ٣ ق ١ ، ص ١٠٠ ، ابن إياس المصدر السابق ، ج١ ق ٢ ، ص ١٩ .

(١) ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص٤٧ ، المقريزي : المصدر السابق ، جـ ٣ ق ٢ ، ص ٨٠١ ، ابن دقماق : المصدر السابق ص ٢٧٢ ، الشوكاني : المصدر السابق ص ٤٢ ، ابن اياس : المصدر السابق ، ص ٤٦٤ — ٤٦٧ ، الصيرفي : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٧٧ .

(٢) الصيرفي : المصدر السابق ، ص ٤٠٤ .

(٣) الصيرفي : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٣٦ — ٤٣٧ .

(٤) الصيرفي : المصدر السابق جـ ٣ ، ص ٥٤ — ٥٥ .

(٥) العيني : المصدر السابق ، ص ٣٢٠ ؛ الصيرفي : المصدر السابق ، الجزء نفسه ، ص ١٢٢.

فعل مع الأمير ككجاموس التركماني وحاشيته مثل ذلك عام ٨٣٤ هـ[٦]؛ وبيرم صاحب هيت ٨٣٥ هـ[٧]؛ وسليمان بن أرخن بك وأخته وأمهما ، إذ رتب لهم شهريا ٢٢,٠٠٠ درهم[٨]؛ وأجرى علي علي باك بن قرايلك ما يليق به عام ٨٤٢ هـ[٩]؛ أما السلطان الأشرف قايتباى فنجده رتب للسيد علي بن بركات الحسني ما يكفيه ٨٧٢ هـ[١٠]؛ وصرف مالا كثيرا علي الجمجمة بن عثمان وعائلته وهيأهم للحج عام ٨٨٢ هـ[١١]؛ وقرر جوامكا لفرقة العثمانية عام ٨٩٤ هـ[١٢]؛ وأعطي رواتبا لكل من شاه بضاع ، وعلي الماردينى[١٣]. أما قنصوة الغوري فنجده أعطي قرقد بك العثماني عشرين ألف دينار وعدة بقج قماش ، ورسم لكتاب السر أن يرتب له شهريا ألفي دينار برسم نفقته ما دام بمصر[١٤].

ط – ومن الحقائق الشاهدة للعيان أن معظم الوافدية المشارقة – فرادى أو جماعات – والمغاربة انضموا للجيش وامتهنوا الجندية حرفة لهم ، ساعدهم علي ذلك ثلاثة أشياء : (١) أنهم في الأصل أرباب سيوف ببلادهم واضطرتهم الظروف إلي اللجوء لدولة المماليك؛(٢) تشابه النظم العسكرية السائدة بكل من الإمبراطورية المغولية ودولة المماليك ، لذا لم يجد الوافدية صعوبة في التأقلم مع الأوضاع الجديدة ؛ (٣)وجود أقارب لهم – وفدوا من قبل – بالإدارة المملوكية سهلوا لهم عملية الانضمام . وقبل أن نتعرض لمناقشة الحياة العسكرية للوافدين يجدر بنا بيان من انضم منهم إلي الجيش ، وبيان الرتب العسكرية التي حصلوا عليها. وذلك كي تتضح الصورة ونقف علي أوضاعهم داخل دولة المماليك بمصر والشام . بداية يشير المقريزى [١] إلي أن طائفة الأكراد كانوا طبردارية . وعند قدوم الأمير سيف الدين سلار في منتصف رجب ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م أعطاه السلطان بيبرس إمرة خمسين في الشام ، ثم نقلة إلي إمرة

---

(٦) العيني : المصدر السابق ، ص ٤٠٢ .

(٧) المقريزي : المصدر السابق ، جـ ٤ ق ٢ ، ص ٨٦٦ الصيرفي : المصدر السابق ، ص ٢٣٢.

(٨) المقريزي : المصدر نفسه ، ص ٩٩٧ ، الصيرفي ، المصدر نفسه ، ص ٣٧٢.

(٩) المقريزي : المصدر السابق ، جـ ٤ ق ٣ ، ص ١١٠٥ .

(١٠) ابن اياس : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١١.

(١١) ياس : المصدر نفسه ، ص ١٩٠ .

(١٢) ياس : المصدر نفسه ، ص ٢٦١ .

(١٣) ياس : المصدر نفسه ، ص ٢٦٨ ، ٣٠٢ .

(١٤) ياس : المصدر نفسه ، جـ ٤ ص ١٥٥ ، ١٦٧ . كاتب السر . هو صاحب ديوان الإنشاء ، وعليه قراءة الكتب للسلطان ، والرد على الرسائل ، وقراءة القصص بدار العدل . السيوطي . حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (جزآن . المطبعة الشرفية مصر ، د ت) جـ ٢ ، ص ٨٤ ، عبد الله الخالدي : المقصد الرفيع (مخطوط مصور بجامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٤٥) ورقة ١٢٥ ؛ القلقشندي : المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٤٦٤.

(١)الخطط، جـ٢ ص٢٠١. الطبردارية: حملة الفؤوس في المواكب: القلقشندي:المصدر السابق، ج٥ ص ٤٥٨، Dozy : op cit 2, p20

طبلخاناة بمصر[٢]. وفي العام نفسه وفد مائتي فارس تترى ، أعطي بيبرس أكابرهم إمريات " فمنهم من عمله أمير مائة " وضم بقيتهم إلي جملة البحرية [٣] . وفي العام التالي وفد ألف وثلثمائة فارس مغولي ، كان من أعيانهم : كرمون أغا ؛ نوكية أغا ؛ صرغان أغا وآخرون ، فأمر بيبرس هؤلاء الأعيان بالطبلخاناه [٤] . وعندما وفد الأمير جلال الدين يشكر أعطاه أيضا بيبرس إمرة طبلخاناة[٥]. وحصل علي الأمرة نفسها سيف الدين بكلك الأمير العراقي عام ٦٦٢ هـ[٦]. أما الأمير شمس الدين بهادر التترى الوافد عام ٦٧٢ هـ فقد أعطاه السلطان بيبرس إمرة عشرين فارسا [٧] .

وعقب ذلك بتسع سنوات جاء علي الأويراتي مع أخوته وآخرون فضمهم السلطان قلاوون إلي الخاصكية[٨] ثم بعد ذلك نقل أخوة الشيخ علي الأربعة إلي الامريات[٩]. كذلك ضمت طائفة الشهرزورية إلي الجيش، وكان مقدمهم عام ٦٨٠ هـ يدعي بهاء الدين يعقوب[١]. وعندما وفد المغول الأويراتية استقدم العادل كتبغا أعيانهم إلي القاهرة – كانوا زهاء ١١٣ رجل – وأعطي مقدمهم طرغاى إمرة طبلخاناه. هو وأكابرهم ، ومنح الباقين إمرة عشرة ، أو كما وصفهم المقريزى [٢] : " وعلي اللصوص بإمرة عشرة ". وأخذ الأمراء أولادهم الشباب للخدمة ، وإنغمس باقيهم في العساكر ، وتفرقوا في الممالك ، هذا في الوقت الذى وطن فيه بقية الأويراتية بالساحل الشامي[٣]. وفي عهد السلطان لاجين دخل الخدمة السلطانية قطقطو ومخلص الرومي[٣]. أما السلطان الناصر محمد فقد جند في عهده بعض الوافدية

---

(٢) التويري : المصدر السابق ، جـ ٣٠ ، ص ٥٥ ، المقريزي : السلوك ، جـ ١ ق ٢ ، ص ٤٦٨

(٣) المقريزي : المصدر السابق ، ص ٤٧٤ ؛ الخطط ، جـ ٢ ، ص ١١٧ ، النويري : المصدر السابق ، ص ٦٤.

(٤) المنصوري: المصدر السابق، ص ٢٤، التحفة ص ٥٦، المقريزي : السلوك جـ ١ ق ٢، ص ٥٠١، **Poliak : Op.cit, p 233**

(٥) المقريزي : المصدر السابق ، ص ٥٠٤

(٦) المقريزي : المصدر السابق ، ص ٥١٢ ؛ الشيال : المرجع السابق ، ص ١٤٣.

(٧) المنصوري : المصدر السابق ؛ المقريزي : المصدر السابق ، ص ٦١١ .

(٨) الخاصكية: فرقة من الجند مقربة للسلطان وتلازمه، ومنهم يختار كبار الأمراء كالوزير والنائب وكلفوا بقيادة المحمل الشريف وأداء بعض المهمات كتنفيذ الإعدام والقبض على أعداء السلطان وقد وصفهم البعض بالحرس الشخصي وقد شكلت الخاصكية والقرانصة (مماليك السلاطين المتقدمة) والمشتروات والأجلاب (مماليك السلطان الحاكم) والسيفية (مماليك الأمراء) فرقة المماليك السلطانية التي كان يتألف منها الجيش المملوكي إلى جانب أجناد الأمراء وأجناد الحلقة. خليل بن شاهين: زبدة كشف الممالك (تصحيح بولس راويس، باريس ١٨٩٤) ص ١١٥، ضومط: المرجع السابق، ص ٢٢؛ بولياك: المرجع السابق، ص ١٦- ١٧؛ شبارو: المرجع السابق ص ١٣٥، ماجد: المرجع السابق ، ص ١٤٥ ، Encyclopedia of Islam, Quatremere: op cit t.1,pp158-159 Vol.VI,p318,Ayalon:op cit,p.90 ."8

(٩) النويري : المصدر السابق جـ ٣١ ، ص ٨٨ ، لمقريزي المصدر السابق ، ج١ ق ٣ ، ص ٧٠٩ .

(١) ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ١٠١ .

(٢) الخطط ، جـ ٢ ، ص ٢٢ .

(٣) المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ق٣ ، ص٨١٢ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق ، الجزء نفسه ، ص ٢٣٤ ؛ النويرى : المصدر السابق ، جـ٣١ ، ص٢٩٦-٢٩٨ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، الجزء نفسه ، ص ٤٠٨ ؛ المنصورى : التحفة ، ص ١٤٦ ؛ حكيم أمين : المرجع السابق ، ص١٨ ؛ Aylon : Op. cit, pp.98-100 ، Poliak : op. cit, p. 234 .

(٣) النويري : المصدر السابق ، ص ٣٧٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٤١٣ .

مثل جنغلي بن شمس الدين البابا أحد مقدمي التتار ، أنعم عليه بإمرة طبلخاناه ثم نقله إلي إمرة مائة ، وأنعم علي أحد تابعيه ويدعي أمير علي بإمرة عشرة ، وكذا أحد الزامه ويدعي نوروز بتقدمه ألف [٤]. وفي عام ٧٠٥ هـ منح فخر الدين داود، وسيف الدين جبا أخوا سلار إمريات[٥]. وفي عام ٧٢١ هـ أعطي الأمير باورر بن براجوا المغولي إمرة طبلخاناه[٦]. ومثلة الأمير حسام الدين بن خر بندا عام ٧٢٦ هـ[٧]. أما الأمير دمرداش بن جوبان فيذكر أبو الفدا[٨] أن الناصر محمد عرض عليه إمرة كبيرة لكنه رفض قبولها . كذلك منح الناصر محمد خليل الطرقي إمرة عام ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م[٩]. وإذا ما ذهبنا إلي عهد الجراكسة سنجد الظاهر برقوق قد أنعم علي سالم الدكرى بإمرة طبلخاناه بحلب[١٠]؛ وعلي الأمير أميرزه بإمرة عشرة [١١]. ومثلة الأمير سلطان بن علي شاه[١٢]. ومثلهم ابن جهاد كير الوافد في المحرم ٨٥٥هـ / ١٤٥١م ، إذ منحه الظاهر جقمق إمرة عشرة طرابلس

---

(٤) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٩٥٠ .

(٥) المنصورى : المصدر السابق ، ص ١٧٨ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق١ ، ص ٥ - ٦ .

(٦) المقريزى : المصدر السابق ، ص٢١٥ .

(٧) المقريزى : المصدر السابق ، ص٢٨٢ .

(٨) المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٤٤٧ - ٤٤٨ .

(٩) اليوسفى : المصدر السابق ، ص٣٦٠ .

(١٠) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق٢ ، ص ٤٩٠.

(١١) الصيرفى : المصدر السابق ، جـ١ ،ص١٣٢ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، ص ٥٤٥ .

(١٢) الصيرفى : المصدر السابق ، ص ٤٠٤ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، ص ٨٣٢ .

رغم أنه كان دون العشر سنين[١]. ومما لا شك فيه أن جميع الوافدية لمصر والشام ممن التحقوا بسلك الجندية، كان عليهم ترك زى بلادهم وارتداء ما كان يلبسه أمراء مصر . وخير مثال على ذلك سلطان بن أويس الوافد عام ٧٩٧هـ والذى ترك زى البغاددة ولبس القباء والكلفتة مثل أمراء مصر[٢]. ولبس دمرداش بن جوبان القباء العربي[٣]. كذلك البس السلطان شيخ الأمير عليباك شاشا وقباء صفة الترك عام ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م.[٤].

ولقد شارك الوافدية في الجيش شأنهم شأن باقي فرق الجيش واشتركوا في المعارك . فيخبرنا مثلا المقريزى[٥]. أنهم مثلوا أحد فرق الجيش المجرد عام ٧٠٤ هـ لمساعدة أياى النوبي ملك دنقلة . وبعيدا عن الجيش دخلت طوائف منهم في خدمة أبناء السلاطين ، كتلك التي دخلت في خدمة الأمير أبو بكر بن الناصر محمد عام ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م[٦]. وإذا ما عرجنا إلي مناقشة الحياة العسكرية للوافدية فإنه يمكن القول بأن هؤلاء اللائذون كانوا أحرارا ، ودخل كثير منهم في خدمة الأمراء في حين لم يلتحق ، إلا عدد قليل بالمماليك السلطانية والخاصكية[٧]. ولما لم يجر عليهم الرق ، كانوا يستشعرون في أنفسهم بالعلو عن أقرانهم الذين أكملوا تعليمهم العسكرى بالطباق، وكانت حالتهم العسكرية - خاصة التتار - بلا شك أعلي من تلك التي للتركمان أو الكردستان أو العرب المساعدين[٨]. ورغم هذه المكانة إلا أنها كانت أقل مرتبة من مراتب المماليك السلطانية ، الذين أشتروا بالمال وقضوا مدة الرق في التعليم الحربي والديني ثم عتقوا[٩]. وقد أرجع البعض[١٠]السبب في ذلك إلي تعصب المماليك السلطانية ضد جميع العناصر الدخيلة علي تربيتهم ونظام تنشئتهم، لذلك حرصوا علي أن يكون السلطان من بين صفوفهم. ومما يدل علي امتيازهم أنهم استطاعوا منذ أواخر أيام السلطان الصالح أيوب علي إبعاد الخوارزمية من الجيش النظامي في القاهرة وجعلوهم مكلفين بحماية بلاد الساحل بالشام، وهي رتبة أقل مما تقوم به المماليك السلطانية، وهذا ما أبعد الوافدية عن تقلد المناصب العليا باستثناء القليل منهم أمثال كتبغا وسلار. وبالرغم من نجاح العديدين من التتار الوافدية في تخلل الفرق المملوكية

---

(١) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور ، جـ٢ ، ص ٣١٩ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق ، (الكلفتاه أو كلوته أو كلفه : نوع من الألبسة الشرقية التي توضع علي الرأس (كالطاقية) ولها كلاليب تلبس بغير عمامة فوقها. Dictionnaire Detaille des Noms des vetements chez les Arabes (Beirut) P. 387 ، Dozy : op. cit, T.2 ,p. 490

(٣) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق١ ، ص ٢٩٥ .

(٤) الصيرفى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٤٣٦ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٧ - ٨ .

(٦) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق٢ ، ص ٥١٧ .

(٧) النويرى : المصدر السابق ، الجزء نفسه ، ص ٧٩ح (٢) .

(٨) Ayalon : op. cit, p. 90 , pp 102-103

(٩) العرينى : المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(١٠)العرينى : المرجع نفسه ، ص ٥٨ - ٥٩ .

الخالصة ، إلا أن معظمهم ظل تابعا لأجناد الحلقة ، ولم يعتبروا من الطبقة الممتازة بسبب افتقادهم للشروط الواجب توافرها في المملوك[١]. ولعل هذه النظرة تجاههم جعلت البعض منهم يهرب من القاهرة إلي مناطق أخرى . ومثال ذلك هرب جماعة من التتار الوافدية عام ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م إلي صهيون[٢].

وفيما يختص بسياسة السلاطين تجاه الوافدية نجد أنها تباينت، فالظاهر بيبرس ركز الوافدية من المغول بالعاصمة ولم يرسلهم إلي الساحل الفلسطيني السورى، بالرغم من أنه كان مهتما جدا بتوطين هذا الساحل بالقبائل المحاربة، ووطن به من قبل القبائل التركمانية[٣]. أما العادل كتبغا - كما سبق ذكره - فقد وطن معظم الأويراتية بالساحل الشامي، ومنذ ذلك الحين لم ترد أخبارهم إلا في بعض الحوادث الفردية القليلة . منها أن بعضهم التحق بالسلطان الناصر محمد في الكرك-أثناء عزله-إلا أنه بعد عودته أخرجهم من خدمته تحت ضغط المماليك السلطانية، وتحت دعوى عدم الوثوق بهم بسبب خيانتهم لرؤسائهم السابقين، ومنذ ذاك ظل حالهم في تدهور إلي أن وصل بهم الأمر عام ٧٣٣ هـ إلي العمل كخدم ومرافقين للمماليك في ثكناتهم العسكرية بالقلعة[٤]. وقد ذكر البعض[٥] أنه بمجيء عام ٧١١هـ / ١٣١١ م أتت هجرة الوافدية لمصر والشام إلي نهايتها. ولكن بالرجوع إلي المباحث السابقة سيتبين لنا عدم صحة هذه الرواية، وأن دولة المماليك ظلت تستقبل الوافدية حتي نهايتها. كذلك يرى إيالون وآخرين[٦] أن عدم نيل الوافدية مكانا متميزا بالدولة ، كان مقصودا وغير راجع إلي قلة كفاءتهم العسكرية ، ويبرهن علي صحة ما توصل إليه بالأسباب التالية : -

١. أن الخورازميين الذين وفدوا لمصر نهاية عصر الأيوبيين ، وساعدوا الصالح أيوب في معاركه ضد باقي أفراد البيت الأيوبي حتي ظهر عليهم ، شكل مصدر خوف منهم ، لذلك وطنهم بالبلاد الساحلية ولم يسمح لهم بدخول دمشق .

٢. كان هناك بين المماليك طرق عدة للارتقاء في السلم العسكرى بعيدا عن القدرات العسكرية الخالصة . لذلك أثر الحكام عدم ترقية الوافدية - علي أساس الجدارة - لأن ذلك سيفتح عليهم الباب ، وسيطالبهم كثير من المماليك السلطانية بالترقية إلي رتب أعلي .

---

(١) شبارو : المرجع السابق ، ص ١٣٧ ؛ العرينى : المرجع السابق ، ص ١٣٠ ؛ Ayalon : op. cit, p.90 لكى يكون الفرد مملوكا كان يتعين أن تتوافر فيه عدة شروط : أن يكون في الأصل رقيقا ؛ ألا يكون في الأصل مسلما لأن الرق لا يجرى على المسلم ؛ وأن يكون مولده خارج الدولة؛ وأن يجلب في سن مبكرة. ضومط: المرجع السابق ، ص ٨٧ ؛ العرينى : المرجع السابق ، ص ١٢٩ ؛ Weiss: op. cit, p200 , Encyclopidia of Islam , Vol. VI p.319.

(٢) النويرى : المصدر السابق ، ص ٧٩.

(٣) انظر ص ١٨ ، ح (١) من هذا البحث .

(4) Ayalon : op. cit, p. 100

(٥) Ayalon : op. cit, p. 102

(٦) شبارو : المرجع السابق ، ص ١٩ ؛ Op. cit, pp. 91 – 93 , 99 .

٣. كان الجمال الطبيعي أحد الطرق التي فتحت للمماليك باب الترقية، ومع ذلك لم يرق الأويراتية رغم أنهم أتسموا بالجمال والوسامة.

٤. كان كتبغا أويراتيا ونجح في الوصول إلي مكانة عالية بالدولة ، ومثله الأمير سلار . ورغم ذلك عند مجيء أكثر من عشرة ألاف أويراتي أحراراً لم يرق أحدهم إلي رتبة أعلي من الطبلخاناه أو أمير أربعين . كذلك لم يرق في عهد بيبرس أى من الوافدية إلي أمير مائة .

٥. نقم أهل الدولة علي كتبغا تقديم مماليكه عليهم ، ومساواته الأويراتية بهم ، فتفاوضوا فيما بينهم علي عزله .

٦. في نقاش بين مملوكين قال أحدهم للأخر : "أنت واحد منفي وافدى تجعل نفسك مثل مملوك السلطان". وهذا يبين ما انتاب المماليك السلطانية من شعور بالعلو تجاه الوافدين .

وتعليقا على ذلك يمكن القول بأن ما ذهب إليه أيالون على جانب كبير من الصواب ، باستثناء ما ذكره عنه السلطان بيبرس من أنه لم يمنح أحداً من الوافدية رتبة أمير مائه. فإذا رجعنا إلى بداية هذه النقطة سنجد أنه من بين الوافدية عام ٦٦٠هـ من منحه بيبرس رتبة أمير المائه وحصل عليها بعضهم أيضا في عهد السلطان الناصر محمد. وفي النهاية يمكن القول بأن سياسة التفرقة العنصرية التى مارستها السلطة المملوكية مع أصحاب البلاد الأصليين ، لم تكن قاصرة عليهم فقط ، بل مارسوها أيضا مع الغرباء الوافدين ، رغم أنهم من بني أجناسهم ، وشاركوهم في الحكم بعد ذلك.

ى- وفيما يختص بمسألة حصول الوافدون على الإقطاعات؛ فإنه يمكن القول بأن ذلك لم يكن هبة أو شيئا خارجا عن العادة خاصة مع الوافدية الذين انضموا للجيش. وذلك لأنهم اصبحوا جزءا من المؤسسة العسكرية المملوكية التى اعتمدت الإقطاع العسكرى نظاما لها بديلا عن نظام الأعطية القديم؛ وذلك مقابل الخدمة . فكونهم أصبحوا جنوداً وأمراء؛ سرى عليهم ما كان متبعا مع زملائهم المماليك . أما حصول الوافدين غير العسكريين على اقطاعات فهذا ما يمكن أن نسميه هبة. مع مراعاة أن هذه الهبات كانت توفرها الدولة لمثل تلك الظروف؛ كما أنها كانت مؤقتة؛ أى تعود للدولة بمجرد عودة الوافد لبلده ؛ أيضاً كانت هذه الإقطاعيات لا تمنح إلا لكبار الوافدية ممن لهم قدرا سواء فى بلادهم أو بالنسبة لمصر؛ وإلى جانب ما سبق كانت هذه الإقطاعيات تمنح للوافدية إذا ارتأت الدولة أن مدة إقامتهم ستطول ريثما تنتهى الأسباب التى كانت وراء وفودهم ؛ فى هذه الحالة كانت الدولة تقطع الراتب المقرر لهم وتستبدله بإقطاع يتعيشون منه طوال مدة إقامتهم بالبلاد. فالهبات هذه كانت عبارة عن حالات

فردية ولم تكن قاعدة عامة[١] وللبرهنة على ذلك نسوق بعض الأمثلة :-

عند قدوم أولاد الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل منحهم الظاهر بيبرس اقطاعات جليلة بالديار المصرية[٢]. وفعل مثل ذلك مع مماليك الخليفة المستعصم؛ وكذلك مقدمهم سلار إذ أقطعه بالشام نصف مدينة نابلس ثم نقله لمصر وأقطعه منية بنى خصيب [٣].ويذكر السيوطى [٤]. أن الظاهر بيبرس أعطى أخبازا وأرزاقا للتتار المستأمنين عام ٦٦١ هـ، معقبا على ذلك بقوله : · فكان ذلك مبدأ كفاية شرهم. والأخباز هنا كناية عن الإقطاعات . ويبدوا أن السلطان منحهم إياها للحد من شراسة خلقهم أو تعديهم على أملاك الناس . كذلك أعطى بيبرس الإقطاعات للملك شمس الدين بهادر عندما فر لمصر هو وحاشيته[٥]. وبالمثل عامل العادل كتبغا كبار قادة الأويراتية بعدما استقدمهم للقاهرة ، إذ أعطى أكابرهم الإقطاعات الجليلة، ونصب الباقين كمقدمين حلقه وأعطاهم إقطاع حلقه عادى[٦] أما السلطان لاجين فقد ضم قطقطو أخو سلامش إلى الخدمة السلطانية بديار مصر، وأنعم عليه بإقطاع[٧] وعندما عرض السلطان الناصر محمد على دمرداش بن جوبان إقطاعاً جليلاً ورفض قبوله، شك الناصر فى نواياه[٨] وإلى جانب ذلك منح السلطان كلا من أبو دبوس المغربى وخليل الطرقى إقطاعا فى الحلقة[٩] ومما يؤكد لنا اهتمام المماليك بأمر الوافدية وتوفير بعض الإقطاعات لتوزيعها على القادمين منهم، ذكر المقريزى[١٠] أنه فى عام ٧٤١هـ عرض السلطان الناصر محمد الأجناد وقطع منهم الزمنى والعميان والضعفاء ، ووزع إقطاعاتهم على المماليك السلطانية وأبقى بعضها للوافدية الذين يفدون من البلاد. ويمكن الخروج من هذه العبارة بمدى حرص الدولة على إبعاد العناصر غير الجيدة من الجيش وإحلال الوافدية محلهم ، سواء فى الإمرة أو الإقطاع .

كذلك حرص بعض الجراكسة على إكرام الوافدين وإقطاعهم ، والمثال على ذلك إكرام السلطان برسباى لبيرم التركمانى عام ٨٣٥هـ وأجرى له راتبا يليق به ، ولما طالت إقامته منحه إقطاعا بناحية الفيوم [١١].

---

(١) البيومي إسماعيل الشربيني : النظم المالية ، ص ٢٣٠

(٢) أبو الفدا: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٢٤ ، الداوداري : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص٩٠؛ ابن الوردي: المصدر السابق ،ص ٢٠٧؛ العيني : عقد، جـ ١ ، ص٣٣٣؛ سحر السيد: مرجع سابق، ص ١٥؛ البيومي إسماعيل الشربيني: المرجع السابق، ص ٣٠٤ .

(٣)) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ق٢ ، ص ٤٦٨ ؛ النويرى : المصدر السابق ، جـ٣٠ ، ص ٥٥ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق، ص ٣٢٥ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق ، ص ٢٠٧ . منية أبى الخصيب : مدينة كبيرة على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى . ياقوت الحموى : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ١٨٨.

(٤) تاريخ الخلفاء ، ص ٥٦٥ .

(٥) النويرى : المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .

(٦) أبو الفدا: المصدر السابق، ص ٣٧٠؛ ابن الوردى: المصدر السابق، ص ٢٣٤ ؛ النويرى: المصدر السابق، جـ٣١ ، ٨٨ ح(١) ؛ عاشور: العصر المماليكى، ص ١١١؛ على حسن: مصر، ص ١٤٦؛ Ayalon : op. cit, p. 91،Poliak : Op. cit, p234

(٧) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٤١٣ ؛ النويرى : المصدر السابق ، ص ٣٧٥ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ق٣ ، ص ٨٧٧

(٨) أبو الفدا : المصدر ، ص ٤٤٧ – ٤٤٨ .

(٩) اليوسفى : المصدر السابق ، ص ٣٦٠ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق ، ص ٢٨٦.

(١٠) المصدر السابق ، جـ٢ ق٢ ، ص ٥١٨ .

(١١) الصيرفي : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٣٢ ؛ المقريزي : المصدر السابق ، جـ ٤ ق ٢ ، ص ٨٦٦.

ك-ورغم أن سلاطين المماليك رحبوا بالوافدية واستقبلوهم ووطنوهم وضموهم إلى جيشهم ومنحوهم الرواتب والإقطاعات، إلا أنه تسبب بعضهم فى إثارة القلاقل ضد بعض السلاطين وتآمروا عليهم. فالأكراد الشهرزورية رغم ما أحدثوه من قلاقل فى عهد الأيوبيين، استأمنهم الظاهر بيبرس وجلب بعضهم إلى القاهرة، ومع ذلك دبروا مؤامرة فاشلة لاغتياله وتولية الملك العزيز بن المغيث الأيوبى بدلاً منه، لذلك شردهم بيبرس، وسجن بعضهم ولم يُبق منهم فى القاهرة إلا فئة قليلة ظهرت أيام العادل كتبغا وانضمت للأويراتية[1].كذلك أثناء سفر السلطان قلاوون إلى الشام عام ٦٨٠هـ /١٢٨١م أخُبر بأن هناك مجموعة من الأمراء تريد الفتك به فاحترز على نفسه، وبعد كشف المتآمرين وجد من بينهم مجموعة كبيرة من التتار الوافدية، فقبض على بعضهم بينما فر الباقون إلى صهيون[2].وجرياً على مبدأ الحكم لمن غلب - الذى تقرر منذ بداية عهد المماليك[3]، استقدم العادل كتبغا بنو جلدته من الأويراتية لتقوية جانبه ضد خصومه، إلا أنهم كانوا سببا فى إثارة الجيش والعامة عليه بسبب طبائعهم الوثنية -وقد أصاب كتبغا نفسه نصيب من المعرة بانتسابه لهذا الجنس - وأنف الأمراء من الجلوس معهم بباب القلة، وعظم على الناس إكرامهم، وبدءوا فى ذم السلطان، وقد أسهم مجيئهم بنصيب أكبر فى عزل كتبغا على يد لاجين عام ٦٩٦هـ /١٢٩٦م[4]. وما أن اعتلى لاجين العرش قام بقتل بعض أكابرهم وسجن البعض الأخر فى الإسكندرية، ووزع الباقين على الأمراء، ولم يفلت منهم سوى طائفة كانت خرجت لخدمة الناصر محمد فى الكرك. إلا أن الأخير بعد عودته للحكم اضطر لطردهم تحت ضغط المماليك السلطانية[5]. وإلى جانب ذلك ذكر ابن دقماق[6] أنه كان من بين الأفراد المتآمرين مع بيدرا ولاجين لقتل السلطان الأشرف خليل ٦٩٣هـ/١٢٩٣م حمدان الوافدى.ومن مجريات الأحداث بعد ذلك يتضح لنا أن الأويراتية لم ينسوا ما لحق بهم على يد الناصر محمد. إذ استغلوا خروج السلطان مع جيشه لحرب التتار فى ذى الحجة ٦٩٩هـ، وأثاروا فتنه فى غزة بالاتفاق مع أحد الأمراء ويدعى سيف الدين برلطاى والذى شهر سيفه وقتل أحد نقباء المماليك وتوجه إلى دمشق السلطان، فقبض عليه وأرسل إلى الأمير سلار والأمير بيبرس الجاشنكير [illegible] وأثار بعض مماليكه – ويدعى قطز – على شركائه فقبض عليهم واعتقلوا بالكرك، أما العويراتية فشنق خمسون من زعمائهم بظاهر غزة[1]. وليس هذا التآمر بجديد على العويراتية، فبالرجوع إلى ما ورد من أسماء أكابرهم

---

(١) العريني : المرجع السابق ، ص ٧٢ – ٧٣ ، Ayalon op . cit p , 97

(٢) المقريزي : المصدر السابق ، جـ ١ ق ٣ ، ص ٦٨٦.

(٣) قاسم عبده قاسم : دراسات ، ص ١٥.

(٤) المنصوري: التحفة، ص ١٤٦؛ المقريزي: المصدر السابق، ص ٨١٢؛ على حسن: دراسات، ص ٣٥٣؛ موير: المرجع السابق، ص ٧٢، مختار: المرجع السابق، ص ٣٤٨؛ الشيال: المرجع السابق، ص ١٧٨؛ عاشور: المرجع السابق، ص ١١٢؛ poole:op. cit, p. 290 . Wiet : op . cit . T. IV, p . 464 ، باب القلة : عرف بهذا الاسم لأنها كانت هناك جرة – قلة – بناها السلطان بيبرس ، ورغم ان السلطان قلاوون هدمها عام ٦٨٥ هـ وبنى مكانها قبة ، إلا أن ابنه السلطان الناصر محمد جدد القلة مرة ثانية بعد أن هدم قبة والده ؛ المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ص ٢١٢.

(٥) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٢٣؛ السلوك، جـ٢ ق١، ص ٨٣ ؛ العريني: المرجع السابق، ص ٦٢؛ Ayalon: op. cit, P 91

(٦) المصدر السابق ، ص ٩١.

(١) المنصورى: مختار ، ص ١١٠ ؛ التحفة ، ص ١٥٦ ؛ النويرى : المصدر السابق ، ص ٣٨٣ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٤١٣ ؛ الدوادارى : المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ١٥ ؛ على حسن: مصر ، ص ١٤٨ ؛ حكيم أمين : مرجع سابق ، ص ٢٠ .

وجدنا أسماء: طغجى ؛ نغية الكرمونى أو نوغان الكرمان. وهذان كانا ممن اتفقا مع البرجية على قتل السلطان لاجين ونجح مخططهم[٢]. وقد هدف الأويراتية من وراء محاولتهم قتل كلا من لاجين والناصر محمد، التعبير عن سخطهم بسبب : كثرة من قتل من أمرائهم أيام لاجين، وخلع كتبغا وإخراجه إلي صرخد؛ استبداد البرجية بالأمور[٣]. ولكن من واقع الأحداث تبين فشلهم فيما صبوا إليه من إعادة حكم كتبغا مرة أخرى .

ومن الحوادث الأخرى التي تبرز اشتراك الوافدية في الصراعات الداخلية ، أنهم أبان حكم السعيد بركه خان بن بيبرس، انضموا إلي نائب السلطنة سيف الدين كوندك في صراعه ضد بعض الأمراء أثناء تواجدهم بدمشق، حتي أصبح هناك فريقان : مستعربة وتتار، علي حد وصف شافع بن علي[٤] ووقعت الفتن بين الفريقين، فرجحت كفة المستعربة وكادوا يبطشون بكوندك لولا فراره منهم .

ومن الحقائق التي يصعب إغفالها في إطار الحديث عن التتار الوافدية ، أنهم اتصفوا بالتعصب الشديد لبني جنسهم، وأخبروا المستهدف منهم بما يحاك ضده. وقد ساعدهم علي ذلك اطلاعهم علي أسرار الدولة من خلال الوظائف التى شغلوها أو البيوت التي خدموا بها. ومن أبرز الحوادث التي تجسدت فيها هذه الحقيقة نكبة الوزير الشجاعي وقتله عام ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م. وملخص ذلك حسب رواية الكتبي[٥] والمقريزى[٦] وابن تغرى بردى[٧] أنه في عهد الظاهر بيبرس وفد الأمير سيف الدين قنقع التترى وكان له اثني عشر ولدا شبابا ملاحا جميلي الصورة، دخل منهم ستة أولاد في خدمة السلطان الأشرف خليل، في حين دخل خمسة آخرين في خدمة الأمير علم الدين الشجاعي مدبر الدولة للناصر محمد خلال فترة حكمه الأولي، وبسبب موقع هؤلاء الخمسة اطلعوا علي كل أسرار الوزير ومنها رغبته في قتل الأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة ومجموعة من الأمراء، وبدافع الجنسية أخبر قنقع الأمير كتبغا فاحترز علي نفسه وأبلغ الأمراء وانضم التتر والأكراد لكتبغا. وكان هذا بداية الصراع بين الأميرين ، والذي انتهي بمقتل الشجاعي.

ل – بالرغم من أن سلاطين المماليك انتهجوا سياسة عنصرية في معاملتهم لكل من أهل البلاد والوافدية، إلا أنهم خالطوا الآخيرين وقامت بينهما علاقات مصاهرة وتبادل ودِّين..... الخ . ويشهد علي ذلك ما ذكرناه سابقا عن الكتبي [٨] من لجوء السلطان قلاوون إلي الاستدانة من التجار التكريتين، فأقرضوه ستون ألف درهم بلا فائدة. أما عن علاقات المصاهرة فيبدو أن ما دفع المماليك إليها ثلاثة أشياء :

١- حرصا منهم على نقاء السلالة المملوكية ، تقنينا لمبدأ العنصرية في عدم الاقتران إلا ببني جنسهم.

٢- اتصاف بنات الوافدية بالجمال مما أغرى المماليك على الاقتران بهن .

---

(٢) ابن تغرى: النجوم، جـ٨ ، ص ١٠١ – ١٠٢ ؛ ابن دقماق : المصدر السابق ، ص ١٠٣ ؛ المنصورى : المصدر السابق ، ص ١٥٤ ، ابن إياس : المصدر السابق ، جـ١ ق١ ، ص ٤٠٠.

(٣) المقريزى: المصدر السابق، جـ١ ق٣، ص ٨٨٣ – ٨٨٥ ؛ المنصورى: المصدر السابق، ص ١٥٦ ؛ موير: المرجع السابق ، ص ٧٦.

(٤) المصدر السابق ، ص ٤١ – ٤٣ ، ٨٥ – ٨٨ .

(٥) المصدر السابق ، ص١٥٢ – ١٥٤ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٧٩٨ – ٧٩٩ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٤٢ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٢٧٨ .

٣- رغبة السلطة المملوكية في توثيق عري الصداقة مع تلك الفصائل ضمانا لكسب ودها والتقوى بها في مواجهة الأخطار. وبالبحث تبين أن أول حالة مصاهرة قامت بين الطبقة الحاكمة في القاهرة وبين الوافدية كان بطلها الظاهر بيبرس إذ تزوج في عام ٦٥٨ هـ بامرأة شهرزورية من غزة، ثم تزوج ابنة الأمير سيف الدين نوكية التترى وابنة الأمير سيف الدين كراى التترى ، وابنة الأمير سيف الدين تماجى التترى[١]. وفى تطور أبعد من ذلك عمل الظاهر بيبرس على تقوية العلاقات بين المماليك والوافدية العراقيين، فقام في عام ٦٦٠ هـ بتزوج ابنة الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل للأمير بدر الدين بيليك الخازندار، وأجريت مراسم العرس في الميدان الأسود تحت القلعة[٢]. وفي المحرم ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥م تزوج الأمير سيف الدين قلاوون ابنة الأمير سيف الدين كرمون التتري الوافد عام ٦٦١ هـ والذي لعب دوراً خطيراً في الإيقاع بصفد وحاميتها، وحضر الظاهر بيبرس العقد، ورزق قلاوون من زوجته هذه بابنه الملك الصالح علاء الدين الذي توفي في حياة والده[٣]. علما بأن علاء الدين هذا كان متزوجا أيضا من ابنة الأمير سيف الدين نوكية التترى[٤]. وعندما توفى الظاهر بيبرس تولى تدبير الدولة لأبنه الملك السعيد بركة خان، سيف الدين كوندك صهر الأمير قلاوون المقترن بأخت زوجته بنت كرمون[٥]. وبعد عامين من سلطنة قلاوون- ٦٨٠ هـ - تزوج من خوند أشلون ابنة الأمير سكتاي بن قراجين بن جنعان نوين الوافد عام ٦٧٥ هـ، ورزق قلاوون من هذه الزوجة بابنه السلطان الناصر محمد[٦]. والذي تزوج هو الأخر فيما بعد بامرأة تنتمي إلى العائلة المالكة للقبيلة الذهبية[٧].

وقد أحدث وفود الأويراتية شبه ثورة بين المماليك بسبب جمال بناتهم وأبنائهم النادر ، ووقع التحاسد بين أهل الدولة بسببهم، وافتتن الناس بهم إناثا وذكورا ، حتى قال فيهم المقريزى[١]: - كان للناس في نكاح نسائهم

---

(١) ابن تغرى بردى: المصدر السابق ، جـ٧ ، ص ١٠١ ؛ النويرى: المصدر السابق، جـ٣٠، ص ٣٦٨ ؛ Ayalon: op . cit , P 97

(٢) سحر السيد : المرجع السابق ، ص ١٤- ١٥ .

(٣) شافع بن علي : المصدر السابق ، ص ٢٧ ؛ المنصورى : مختار ، ص ٣٠ ؛ التحفة ، ص ٥٦ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ق٢ ، ص ٥٤٢ .

(٤) المنصورى : المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٥) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٣٩٣ .

(٦) أبو الفدا: المصدر السابق، ص ٣٥٦ ؛ المقريزى: المصدر السابق ،جـ١ ق٣ ، ص ٧٠٩ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ ؛ المنصورى : المصدر السابق ؛ علي حسن : دراسات ، ص ٣٥٣ .

(٧) لينبول : سيرة القاهرة ، ص ١٩١ .

(١) الخطط ، جـ٢ ، ص ٢٢ — ٢٣ .

رغبة ، ولآخرين شغف بأولادهم. لذلك أخذ الأمراء أولادهم الشباب للخدمة وتزوج الناس بناتهم[٢]. وفي رواية أخرى: - وتزوج الجند وغيرهم من بناتهم. [٣] فربما تشير هاتان الروايتان إلى أن علاقة المصاهرة مع العويراتية لم تكن قاصرة على المماليك فقط بل دخل فيها عامة مصر. وربما يظن البعض أن الافتتان بأولاد العويراتية نوع من المبالغة ولكن الحوادث تثبت ذلك. فنجد الأمير سيف الدين الماس الحاجب كان يذهب إليهم في الحسينية بسبب شغفه بشاب يدعى عمير، مما حرك المؤامرات ضده عام ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م[٤]. وأمام هذه الرذائل والموبقات الاجتماعية ، أمر السلطان الناصر محمد الأمير أقبغا عبد الواحد مقدم المماليك عام ٧٣٥هـ بعرض الطباق وإخراج من فيها في خدمة المماليك من العويراتية لأنه - قد فسد حالهم بهم -، وعندما امتنع جماعة من السلحدارية والجمدارية من إخراج أتباعهم ضربوا، ونفوا إلى صفد[٥]. ومن ناحية أخرى حرص بعض السلاطين واتباعهم من المماليك على تزويج بناتهم أو نسائهم لبعض الوافدين، ربما كنوع من التكريم لهم. وهذا ما فعله السلطان الأشرف شعبان عام ٧٦٦ هـ ، وباتفاق الصالحية، زوجوا امرأة الصاحب موفق الدين هبة الله للسلطان حلي عبد الحكيم المغربي الوافد[٦]. وإذا كان الظاهر بيبرس عمل على تقوية علاقته بالعراقيين عن طريق المصاهرة، نجد أيضا الظاهر برقوق سار على النهج نفسه، واستغل لجوء القان أحمد بن أويس إلى مصر وعقد على الخاتون تندي ابنة أخيه حسين التي حضرت مع عمها، وذلك على صداق قدره ثلاثة آلاف دينار[٧]. ويبدو أن هذا الزواج لم يكتب له النجاح. بدليل أن السلطان طلقها بعد عامين فتزوجها ابن عمها سلطان الوافد إلى مصر[٨]. وآخر مثال عن هذه المصاهرات هو ما وقع في عهد السلطان برسباي عندما أقدم على الزواج من خوند شاه زاده ابنه الأمير أرخن بك العثماني الوافدة مع أخيها سليمان، وظلت في عصمته حتى توفي فتزوجها من بعده الظاهر جقمق ثم طلقها، فتزوجها الأمير برسباى البجاسي وظلت معه حتى توفيت ٨٥٩ هـ / ١٤٥٥م[١].

وبعد أن تصاهر الوافدية مع المماليك ودخلوا سلك الجندية، غدوا جزءا من النظام العسكري الحاكم وتولوا كثيرا من المناصب في الجهاز الإداري والعسكري. فإذا القينا نظرة على العراقيين فقط بمصر في ق٧ هـ ، نجد انه اشتهر منهم

---

(٢) المقريزى: السلوك جـ١ ق٣، ص ٨١٣؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٤٠٨ ؛ علي حسن: المرجع السابق؛ Ayalon: op. cit , pp . 99 -100.

(٣) النويرى : المصدر السابق ، جـ٣١ ، ص ٢٩٩ .

(٤) اليوسفي : المصدر السابق ، ص ١٦٧ – ١٦٩ .

(٥) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق٢ ، ص ٣٧٧ ؛ اليوسفي : المصدر السابق ، ص ٢٣٠ . الجمدار : كلمة فارسية مكونة من لفظين : جاما بمعني الثوب ، ودار بمعني الممسك . وهو المكلف بالباس السلطان أو الأميرثيابة . القلقشندى : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٤٥٩, Poole:op. cit ,P. 247,

(٦) ابن إياس : المصدر السابق جـ١ ق٢ ، ص ١٩ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق١ ، ص ١٠٠ .

(٧) الصيرفي : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٣٨٣ ؛ الشوكاني : المصدر السابق ، ص ٤٣ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق٢ ، ص ٨٠٧ ؛ ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ١٢ ، ص ٥٢ ؛ ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٤٦٩ .

(٨) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٨٣٢ .

(١) ابن تغرى بردى : حوادث ، جـ٢ ، ص ٥٦٠ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤ ق٣ ، ص ١٠٦٤ .

الكثيرين أمثال: الأمير آق سنقر الفارقاني عام ٦٧٦هـ في نيابة السلطنة ؛ كمال الدين أبو عبد الله السنجاري في الوزارة، أما في القضاء فقد برز القاضي شمس الدين احمد ابن خلكان البرمكي الاربلي٦٥٩هـ، وأسرة فخر الدين عثمان بن إبراهيم الماريني الشهير بابن التركماني، والقاضي حسام الدين الغوري ٧٤٢ هـ[٢]. هذا إلى جانب غيرهم من الوافدية أمثال: بندر الخوارزمي الذي ولى نيابة دمشق في عهد برقوق[٣]. وبناء على ما سبق يمكن القول بأن الوافدية لم يعيشوا كجيوب اجتماعية منعزلة داخل دولة المماليك، وساعدهم على ذلك أن المماليك أنفسهم غرباء عن البلاد.

م – من كل ما سبق يتبن لنا أن الوافدية اندمجوا داخل دولة المماليك، ولم يشكلوا قوة كانت فوق موضع المساءلة أو دونها، وإنما طبق عليهم ما كان يطبق علي أقرانهم المماليك من ثواب أو عقاب. وكما رأينا من خلال الأمثلة السابقة تعرض الوافدية للعديد من العقوبات تراوحت ما بين :

- القتل (بعض الأويراتية قتلوا شنقا ٦٩٩ هـ[٤]؛ سلار قتل جوعا ٧١٠ هـ [٥]؛ دمرداش بن جوبان قتل ذبحا ٧٢٨ هـ[٦] .....)
- السجن (الشيخ علي الأويراتي ٦٨١ هـ[٧] ؛ أحمد بن أويس وقرا يوسف ٨٠٦ هـ[٨].....)
- النفي (القاضي حسام الدين الغورى ٧٣٨ هـ[٩] .....)
- المصادرة (بعض الشهرزورية غلمان الملك الناصر ٦٥٨ هـ[١٠] ؛ الأمير سلار ٧١٠ هـ[١١].....)

ن – وفي ختام هذا المبحث نتعرض لذكر مراسم تشييع جنازة الوافدية. ويبدو أنها لم تختلف عما كان سائدا في البلاد باستثناء حالات معدودات جرت مراسمها في القاهرة وفق طريقة بلاد الوافدين الأصلية كنوع من التكريم لهم أو إجلالا لقدرهم ، ومن بين هذه الحالات ما تم اعتماده مع سليمان بك بن أحمد العثماني عند وفاته في يوم الأحد ١٨ صفر ٩١٩ هـ / ١٥١٣م . فعقب وفاته بالطاعون تأسف عليه السلطان قنصوة الغورى وصلي عليه، ثم أخرجت جنازته، وصنع له السلطان كفارة أمام جنازته التي خرجت من مقر إقامته ببولاق، وأخرج أمام الجنازة خيوله مقصوصة الأذناب، وقلبوا سروجها، ووضعوا عمامته علي نعشه، وكسروا أقواسه ووضعوها أيضا علي النعش – علي طريقة

---

(٢) أبو الفدا : المصدر السابق ، ص ٤٨٠ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق ، ص ٣٠٧ ؛ سحر السيد : المرجع السابق ، ص ٧١ – ٨١ .

(٣) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٤٧٧.

(٤) المقريزى: المصدر السابق، جـ١ ق٣، ص ٨٨٥؛ المنصورى : مختار ، ص١١٠ ؛ التحفة ، ص ١٥٦ ؛ النويرى : المصدر السابق ، ص ٣٨٣ ؛ الدوادارى : المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ١٥؛ Ayalon : op .cit , P. 100

(٥) ابن الوردى : المصدر السابق ، الجزء نفسه ، ص ٢٥٠ .

(٦) ابن حبيب: المصدر السابق، جـ٢، ص ١٨٠؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٤٣٦؛ اليوسفي: المصدر السابق، ص ١٤٠ ح(٥).

(٧) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٧٠٩ ؛ النويرى : المصدر السابق ، ص ٨٨ .

(٨) الشوكاني : المصدر السابق ،ص ٤٣ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق٣ ، ص١١١٨ ، ١١٢٠ .

(٩) أبو الفدا : المصدر السابق ، ص٤٤٩ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق ، ص ٣٢٣.

(١٠) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ق٢ ، ص ٤٢٦؛ البيومي إسماعيل : مصادرة جـ٢ ، ص ١٩٧ .

(١١) البيومي : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ ؛ – Rabie H.M The Financial system of Egypt 564 741(London 1972) . P. 125.

بلادهم – وتوجهوا به إلي الصحراء حيث واروه التراب في تربة البجاسي[١]. وبعد شهر من ذلك توفي أخوه علاء الدين مطعونا، فصلي عليه السلطان، ومشت الأمراء أمام نعشه. وأخرجوا أمامه كفارة، ودفن علي أخيه بالصحراء[٢] من هذا يتبين أن كبار الوافدية صلى عليهم السلطان . وأخرجت لهم كفارة . وحضرت الأمراء جنازتهم حتى قبورهم فيما يشبه بالجنازات الرسمية حاليا وإذا كانت الدولة قد حرصت على أن يكون لسكنى الوافدين أحياء خاصة – كالحسينية وباب اللوق – فيبدو أنها أيضا حرصت على أن تكون لبعضهم مدافن خاصة بهم . فيحدثنا السخاوى[٣] عن أنه كان بمصر قبور جماعة من العراقيين . ويؤكد ذلك السيوطى [٤] في حديثه عن وفاة الخليفة المستنجد بالله أبو المحاسن يوسف بن المتوكل ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م : "أنزل إلى مدفن الخلفاء بجوار المشهد النفيسى".

---

(١) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص٣٠٣ .

(٢) ابن إياس : المصدر السابق ، ص ٣٠٦ .

(٣) تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات (ط٢ . القاهرة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ص ٤١٩.

(٤) تاريخ الخلفاء ، ص ٦٠٨.

المبحث السادس

الآثار التى نجمت عن قبول المماليك للوافدين ، والنتائج التى عادت على الدولة من وراء ذلك

ترتب على قبول دولة المماليك للوافدية مجموعة من الآثار والنتائج : بعضها إيجابى والآخر سلبى . فإذا كان قدومهم قد ساعد على بعض الازدهار العلمى ؛ وخطب باسم سلاطينها في بلاد بعيدة ؛ وأدخلت للبلاد رسوماً وتأثيرات جديدة في الزى والصناعات وغيرهما ؛ واستحداث موارد مالية جديدة ؛ وتزويد الجيش بفرق عسكرية جاهزة .... إلخ، إلا أنه في الوقت ذاته جر الدولة لحروب عديدة ؛ وتعرضت وحدتها الداخلية إلى بعض التفتيت ؛ وارتفعت الأسعار بالبلاد ؛وتعرض بعضها للنهب وتشريد السكان ... إلى غير ذلك من الآثار . ومن أجل إلقاء الضوء على كل ذلك ، استوجب تقسيم هذه النتائج إلى : سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية .

أولا النتائج السياسية والعسكرية :

١- تعرض العلاقات القائمة بين دولة المماليك بمصر والشام والدولة الطاردة إلى الفتور والعداء . كان من الطبيعى أن تقوم علاقات عداء ما بين الدولة المرسلة والدولة المستقبلة ، بسبب إيواء الأخيرة للعناصر المناوئة لهم ، والذى شكل بقاؤهم عنصر قلق وتهديد لدولهم إذا ما تعرضت أنظمة الحكم بها إلى هزات سياسية أو اقتصادية . وهناك العديد من الحالات التى تؤيد هذه الفرضية منها : أنه كان من بين الآثار التى ترتبت على مساعدة السلطان لاجين للقائد سلامش بن آقال عام ٦٩٧هـ إساءة العلاقة بين غازان التترى وسلطنة المماليك ، لذلك ما لبث أن أعيد السلطان الناصر محمد إلى عرشه حتى فوجئ باكتساح التتار لبلاد الشام [١] وتكررت الرواية نفسها ولكن بأبطال مختلفين في عهد الجراكسة ، إذ استولى تيمورلنك على بغداد وأرسل بتهديد للظاهر برقوق في مصر ، فقام الأخير بقتل رسوله وأستقبل في الوقت ذاته ألقان ابن أويس عدو تيمور لنك استقبالا ملكيا وصاهره ثم خرج في العام التالى بالجيش إلى سورية لمساعدته في استرداد بغداد[٢] فكان من بين نتائج هذه أن أغار تيمور لنك على بلاد الشام وأهلك الحرث والنسل والضرع . وكذلك كان من بين أسباب تأثر العلاقات المملوكية العثمانية ، وما أسعر نار الخلاف

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٤١٣ .

(٢) ابن زمبل : المصدر السابق ، ص٦ ؛ موير : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

بينهما مسألة قبول مصر للوافدين العثمانيين وإكرامهم ورفضها إعادتهم . فها هو ابن طولون[١] في إطار حديثه عن الأمير محمد جم بن مراد الشهير بالجمجمة ، يذكر أن السلطان قايتباى جهزه وأيده بأموال على أخيه لكي يأخذ الملك منه ولكنه هزم. وكان هذا سببا – إلى جانب أسباب أخرى كثيرة ذكرها – في اشتداد العداوة بينهما . أيضا يذكر ابن زمبل الرمال[٢] انه عندما وفد قورقود بن بايزيد لمصر ٩١٨هـ أجاره الغورى ، ورفض تسليمه حينما طالبه السلطان سليم بذلك مما أدى إلى اشتداد العداوة بينهما .

وفيما يختص بهذه النقطة ربما يتبادر إلى ذهن البعض تساؤل : لماذا قبلت مصر الوافدية مع انه كان في مقدورها الرفض منعا لجلب المتاعب والعداوات والحروب؟ وللإجابة عن ذلك يمكن القول بأنه ثمة أهداف حفزت المماليك على قبول الوافدية مثل :

١- الرغبة في استقطابهم ومنعهم من الذهاب إلى أعداء المماليك . والمثال على ذلك أحمد ابن أويس والذي وفد لدولة المماليك عام ٨٠٦هـ " وسأل إنهم إن لم يقبلوه يذهب إلى بلاد الروم "[٣]

٢- الرغبة في توسيع رقعة الدولة وتأمين حدودها ، وضمان إقامة أنظمة حكم في البلاد المجاورة تابعة لها . ومن أجل هذا وجدنا دولة المماليك استعدت بعض الدول ، وخاضت حروب ضد البعض الآخر .

٣- رغبة المماليك في زيادة تأكيد مبدأ شرعية حكمهم . فرغم بطولات المماليك في المنصورة وعين جالوت ، إلا أن معاصريهم لم يعترفوا بهم كحكام شرعيين للبلاد باعتبارهم عبيدا وأن من شروط الحكم الحرية ، وهذا ما دفع المماليك للبحث عن سند شرعى يدعم حكمهم ، ومن هنا جاء إحياؤهم للخلافة العباسية بمصر على يد الظاهر بيبرس[٤]. وبالطبع اتفق إحياء الخلافة مع قبول مصر للوافدية العراقيين عامة والعباسيين خاصة .

٤- رغبة المماليك في إزالة العداء ما بين دولتهم وبعض دول الوافدية ، عسى أن ينصلحوا ، أو يكونوا عونا للمماليك ضد أعدائهم ، أو على الأقل في مأمن من شرهم وتعدياتهم . ومثال ذلك استقبالهم لكبير التركمان عليباك الوافد عام ٨٢٧هـ ، رغم أنه وأهله كانوا من العاصين على سلطنة المماليك. وكذلك استقبال المماليك للوافدين العثمانيين : ولكن سير الأحداث بعد ذلك أثبتت فشل هذه الرغبة . إذ تقاتل نائب

---

(١) مصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٧ ، ٥٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠ –٢٢ .

(٣) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق٣ ، ص ١١١٦ ، الصيرفي : المصدر السابق جـ٢ ، ص ١٨١ ، ابن إياس : المصدر السابق ، جـ١ ق٢ ، ص ٦٨٣.

(٤) قاسم عبده قاسم : دراسات ، ص١٣ — ١٤ .

حلب مع عليبـاك في يـوم الأحـد ١٤ جمـادى الأولى ٨٢٩هـ وانتـهى الأمـر بقتلـه[١]. وجـاء اسـتقبال المـاليك للعثمانيين بأثر عكسى ، إذ زاد من العـداء بينـهما ووضعـت الحـرب أوزارهـا ، وانتـهى الأمـر بسـقوط الدولـة المملوكية على أيديهم عام ٩٢٣هـ / ١٥١٧م .

٢- إقامة الخطبة وضرب السكة باسم سلطان مصر في بعض بلدان المشرق والمغرب . ترتب على مسـاندة القـاهرة لبعض الوافدين إليها ومناصرتهم ضد خصومهم . أن أعتبر هؤلاء أنفسـهم نواباً عن سلاطين مصر . ومن ثم دعوا لهم في الخطبة وضربوا السكة باسمهم كرمز لتبعيتهم الإسمية لهم . نذكر من هؤلاء صـاحب إفريقيـا أبـو يحيـى اللحيانى الذي وفد لمصر عام ٧٠٩هـ طلبا للعون من السلطان الناصر محمد ، فأمده بتجريـدة عسـكرية اسـتطاع بها دخول تونس تحت الصناجق المصرية ، وطرد مغتصب عرشه أبا البقا خالد ، وأعلن اللحيـانى نفسـه نائبـا على تونس من قبل سلطان مصر وقام بقطع ذكر المهدى من الخطبة وخطب للناصر محمد على منابرهـا[٢] كذلـك عندما أراد على باشا نائب بغداد الانفراد بحكمها والموصـل وديـار بكـر عـام ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م طلـب مسـاندة صديقه السلطان الناصر محمد مقابل أن يكون نائبا عنه بها ، ففرح الناصر بذلك[٣]. وفى ظـل الصراعـات الـتي حدثت ببلاد المشرق عقب وفاة القان أبو سعيد، ورغبة كـل وال في الاسـتقلال بولايتـه والتوسـع علـي حسـاب جيرانه . نجد أنه في عام ٧٣٨هـ استقل أرتنا بمدينه سيواس وما حولها من بلاد الروم بآسيا الصغرى عن دولـه إيلخانات فارس، وطلب مساندة السلطان الناصر له ضد أعدائه مقابل أن يكون نائبا عنه ببلاد الروم ويدعو لـه في خطبته ، ويضرب السكة باسمه[٤]. ويتبين من مجريات الأحداث بعد ذلك أن أرتنا لم يـف بمـا تعـهد بـه، لذلك أوعز السلطان الناصر إلي القبائل التركمانية بالإغارة علي أطراف بلاده. كذلك طلـب الشـيخ حسـن الكبـير متولي تبريز وبغداد – عاصمتا دولة إيلخانات فارس – عام ٧٤٠هـ مـن السـلطان النـاصر محمـد أن يصلـح بينـه وبين طغاى بن سونتاى صاحب ديار بكر وأعمالها، مقـابل أن يعـترف لـه بالسـيادة في بغـداد ونقـش اسـمه في السكة والدعاء له في الخطبة[٥]. ويتبين أيضا من مجريات الأحداث بعـد ذلـك أن السـلطان النـاصر اسـتفاد مـن درسه مع أرتنا، لذلك طلب من كل من الشيخ حسن وطغاى رهائن حتى يفيا بما تعهدا به . وفى إطـار الفتنـة التي وقعت بين السلطان أويس – حاكم بغداد وتبريز – ونائبه مرجان ٧٦٧هـ ، قام النـائب بالخطبـة والسـكة للسلطان الأشرف في بغداد وأعلن خلع أويس[٦] ومن أجل هذا ساند السلطان الأشرف النائب مرجان وأرسـل إليه تشريفا وتقليدا بنيابة بغداد ، ولكن تمرده فشل وسجن. وبعد الاستقبال الملكي الذي أجراه السلطان برقوق للقان

---

(١) الصيرفي : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص٥٤ ، ١٠٢ – ١٠٣ .

(٢) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ١ ق١ ، ص ٤٤٠ ؛ عمار : المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٣) اليوسفي : المصدر السابق ، ص ٣٠١ – ٣٠٤ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق٢ ، ص ٣٩٧ .

(٤) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٤٤٥- ٤٤٦ ، ٤٩٠.

(٥) المقريزى : المصدر نفسه ، ص ٤٨٩ ، ٥١٧ ؛ موير : المرجع السابق ، ص ٩٠

(٦) لمقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق١ ، ص ١١٢ .

أحمد بن أويس عام ٧٩٥هـ ومساندته له في العودة للكه، أعطاه برقوق تقليدا بنيابة السلطنة في بغداد ، وهنـاك ضرب القان أحمد السكة باسم الظاهر برقوق[١]. كذلك عندما أعد السلطان المؤيد شيخ حملة عسكرية أعادت عليباك بن قرمان إلي عرشه في قلعة آركلي ـ هرقله ـ ولارنده وقونية ، خطب الخطباء هنـاك باسم المؤيد شيخ وضربت السكة باسمه. وأصبح نائبا عن السلطان في هذه البلاد [٢]. وإلي جانب الخطبة والسكة باسم سلاطين المماليك فقد أشار بولياك [٣] إلي أن الوفود المنتظم لأفراد القبيلة الذهبية إلي مصر أدى إلي وجود تبعية سياسية رسمية .

٣- تزويد الجيش بفرق عسكرية جديدة وجاهزة دون التعب في إعدادها أو تدريبها : لما كان معظم الوافدية يندرجون تحت طائفة (رجال السيف) لم يجدوا صعوبة في الانضمام للجيش المملوكي ، وتكونت منهم فرق تحت رئاسة مقدمين منهم .وهذه الأعداد بلا شك كانت مكسبا للجيش المملوكي عملت علي تزويد عدده وتقويته وإمداده بدماء جديدة ، أعطته سمعة قوية معظم فترات تاريخ دولة المماليك. فالظاهر بيبرس نجده قد استفاد من معظم الوافدية في عهده وضمهم إلي مماليكه ، وأنزل بقيتهم في جملة البحرية[٤]. وقد علق البعض[٥] علي توطينه للقبائل التركمانية بالساحل الفلسطيني السورى بأن الظاهر ارتقى بجيشه بدون نفقه "أو تجدد له عسكرا بغير كلفة " . كما أنه يتضح لنا من وصف ابن العبرى[٦] للأويراتية بأنهم "كانوا رجال حرب وقتال ". مدى استفادة الجيش منهم : عددا وخبرة، ناهيك عما وفره هؤلاء وغيرهم من مصاريف إعداد وتدريب ... الخ . وإن كانت هذه تحسب ميزة ، إلا أنه في الوقت ذاته تعتبر سيئة. لأن معظم هؤلاء الوافدية جاءوا كبار السن – مثل أقرانهم الذين اشتروا في عهد الجراكسة وعرفوا باسم الجلبان – بعد أن تأصلت فيهم عادات بلادهم ، ومن ثم كان صعب اقتيادهم كمن نشأ وتربى في الطباق العسكرى المملوكي. ومن ناحية أخرى فقد وصف بعض المحدثين[٧] هذا السلوك المملوكي المتمثل في جلب رجاله من الخارج ، بأنه من الأسباب التي وقفت دون تطور النظام المملوكي تطورا طبيعيا ، وحفظت عليه الطابع البدائي الذي انفرد به.

٤- جر الدولة إلي عداءات وحروب بسبب مناصراتها للوافدية، مما كبدها بعض المغارم : سبق وأن بينا أن مساندة مصر للوافدية جر عليها عداء دولهم عامة ، كما أقحمها في حروب معهم خاصة. ومن دراسة حالات الوافدين تبين لنا أنه في الوقت الذي ادعى فيه حكام المماليك أن هدفهم من تجريد الجيوش هو نصرة اللاجئ وإعادة حقوقه إليه ،

---

(١) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق٢ ، ص ٨١٤ ؛ مختار : المرجع السابق ،ص ٣٩٨ .

(٢) الصيرفي : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٤٣٦ – ٤٤١ .

(٣) Op . cit , P . 233

(٤) النويرى : المصدرالسابق ، جـ٣٠ ، ص ٦٣ – ٦٤ ؛ المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ١١٧ – ١١٨ ؛ ضومط : المرجع السابق ، ص ٢٨، The Cambridge history of Islam , vol 1A , P 214

(٥) Ayalon : op . cit , PP 98 – 99 .

(٦) المصدر السابق ، ص ٣٧٩ .

(٧) وليم سليمان : المرجع السابق ، ص ٥١ .

نجد أنه في الوقت ذاته هدف المماليك من وراء ذلك تحقيق بعض الأهداف والغايات السياسية والاقتصادية مثل :الأمل في توسيع رقعة الدولة؛ رد العدوان عن البلاد الطاردة لما يمثله في الوقت ذاته من دفاع عن الحدود المملوكية ، ضمان ولاء الدول المجاورة وحكوماتها للحكومة المصرية ، تحقيق أهداف اقتصادية ، وتأمين للتجارة ، طمعا في إيواء الثائرين لاستغلالهم وقت الحاجة ضد دولهم ... إلي غير ذلك من المطامع .ومن تصفح تاريخ مصر والشام تحت حكم المماليك نجد أن السلطة المملوكية خاضت كثيرا من الحروب تحت زعم مناصرة الوافدية ، نعرض لبعض هذه الحروب فيما يلي:

في عام ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م أمد السلطان بيبرس الخليفة المستنصر بالله بقوة عسكرية ومادية لاسترجاع بغداد من التتار، وقد بلغ ما أنفقه الظاهر علي الخليفة وأصحابه مليون وستون ألف دينار[١]. وفي العام التالي أرسل نجدة للملك الصالح صاحب الموصل – لفك حصار التتار عنه – تحت قيادة الأمير شمس الدين سنقر والذى اصطحب معه أيضا عسكر دمشق تحت قيادة الأمير علاء الدين طيبرس[٢]. ولكن هاتين المحاولتين باءتا بالفشل إذ أجهز بهادر علي الخليفة العباسي؛واستولي مقدم التتار صندغون علي الموصل ومثل بالملك الصالح[٣]. وفي عام ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م أنجد أيضا السلطان بيبرس شكنده النوبي الوافد إلي مصر بعد خلعه من العرش ، وأرسل معه فرقة من الجيش والعربان تحت قيادة الأميران أقسنقر الفارقاني. وعز الدين الأفرم ، أعادوه إلي العرش وقرروا عليه قطيعة سنوية[٤]. وفي العام التالي وفد لمصر بعض الروم الهاربين وعلي رأسهم بينجار الرومي –بيشار– وحث هؤلاء السلطان بيبرس علي تجهيز حملة للاستيلاء علي بلاد الروم، وبالفعل سافرت الحملة وتقابلت مع كل من جيشي: التتار ومقدمهم تتاوون، والروم ومقدمهم معين الدين بصحراء هوتي بالأبلستين، وانتصر المماليك ودخلوا قيسارية، وعقب الحرب ظهر علي بيبرس الخوف والندم بسبب توريط نفسه وجنده ببلاد الروم[٥]، خاصة وأن حروبه الكثيرة كلفته أموالا جمة[٦]. وفي عهد السلطان قلاوون عادت النوبة تشكل إزعاجاً للقاهرة، ورفض سامون المستولي عليها تبعيته لمصر وأوقف إرسال البقط ،فاستغلت مصر استنجاد آدر ملك مملكة الأبواب بها وأرسلت حملة في عام ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م تحت قيادة الأمير علم الدين سنجر المسروى والي القاهرة والأمير عز الدين أيدمر والي قوص هزمت سامون، وأتبعتها بحملة آخرى عام

---

(١) المقريزى: السلوك جـ١ ق٢، ص ٤٦٧ ؛ شبارو: المرجع السابق ، ص٧٧ ؛ العبادى: قيام ص ١٨٥؛ Laoust: op. cit, P. 4

(٢) النويرى : المصدر السابق ، ص ٢٨ ؛ المقريزى : المصدر السابق ،ص ٤٦٧– ٤٦٨.

(٣) ابن العبرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٢ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، ص ٤٧٥ .

(٤) العيني: السيف المهند ، ص٦٢ ؛ المنصورى : مختار ، ص ٥٥ – ٥٦ ؛ الدوادارى : كنز ، جـ٨ ، ص ١٨٣ – ١٨٦ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٤٠٠ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، ص ٦٢١ – ٦٢٣ ؛ عمار : المرجع السابق ، ص ١١٠ – ١١٣ ، عاشور: العصر المماليكى : ص ٨١ .

(٥) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٦٢٥ – ٦٣٦ ؛ ابن العبرى : المصدر السابق ، ص ٣٣٣ – ٣٣٥ .

(٦) Poole : op . cit , P . 273 .

٦٨٨هـ استطاعت من تولية أحد الموالين لها وهو ابن أخت الملك داود والذى كان مقيما في القاهرة[١]. كذلك كان من بين الأسباب التي أججت نار العداوة ما بين دول أ واسط آسيا ومصر، إكرام الأخيرة لمن فر إليها من عصاه المغول مثل الأويراتية في عهد كتبغا ٦٩٥هـ ، وسلامش في عهد لاجين ٦٩٧هـ. ومن أجل هذا أعد غازان جيشا كبيرا للإغارة علي دولة المماليك - خاصة بعد قتله سلامش ومرافقة سيف الدين بكتمر الجلمي قائد عسكر حلب ، وهزيمة قائده مولاى للعسكر الإسلامي الذي إستعان به سلامش - في عام ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م ،وانتهي الأمر بهزيمة المماليك في وادي الخازندار قرب سلمية والتي تعرف بموقعة حمص[٢].

ولم ينأ السلطان الناصر محمد بنفسه عن الأحداث الجارية بالنوبة ، إذ وجد نفسه مضطرا إلي إرسال حملة بقيادة سيف الدين طقصبا والي قوص لنجدة إياى الأسود صاحب دنقلة الذى وفد لمصر عام ٧٠٤هـ" ولم يرده خائبا "، وقد استغرقت عمليات الحملة تسعة أشهر ببلاد النوبة قاست خلالها الأهوال بسبب محاربة السودان وقلة الزاد[٣]. وعلي صعيد أخر ولأسباب سبق ذكرها أمد السلطان الناصر محمد السلطان أبى يحي زكريا اللحياني صاحب تونس بقوة عسكرية مرتين :الأولي أعادته لحكم تونس عام ٧٠٩هـ، والثانية أحضرته وأهله إلي الإسكندرية بعد محاصرته عام ٧١٩هـ[٤]. وفي العام نفسه أيضا مد السلطان الناصر نائب الروم جوبان بجيش كبير وخرج معه لحرب أبو سعيد وانتصرا[٥]. ويبدو أن الأمور ببلاد النوبة عادت من جديد إلي سابق عهدها من الإضطرابات والقلاقل ، بدليل وفود كرنبس النوبي مستنجدا بمصر من مغتصب عرشه كنز الدولة عام ٧٢٣هـ ، فأرسل معه السلطان الناصر خمسمائة من أجناد الحلقة تحت إمرة علاء الدين وسيف الدين وطقصباى ، وإستغرقت تنفيذ مهمتهم ثمانية أشهر ثم عادوا[٦]. وبعد رفض السلطان الناصر إغاثة الملك المجاهد صاحب اليمن عام ٧٢٤هـ ، نجد أنه في العام التالي وأمام الإلحاح وبعض المغريات ، وافق علي نجدته وجهز له حملة كبيرة تقدر بألفي فارس تحت إمرة ركن الدين بيبرس الحاجب وسيف الدين طينال الحاجب ، وبعد أن أنفق الناصر عليهم كانت لهم وقائع كثيرة باليمن ،ودخلوا بعدها زبيد واجتمعوا بالملك المجاهد ، وألبسوه خلع السلطنة ثم عادوا[٧].

---

(١) لمعرفة المزيد وما تم بعد ذلك انظر : المقريزى : المصدر السابق، جـ١ ق٣ ، ص٧٣٦ — ٧٥٣ ؛ عاشور : المرجع السابق ، ص ٨٥ ؛ عمار : المرجع السابق ، ص١١٥ -١٢٣ ؛ King : op . cit , P 45 .

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم ، جـ٨ ، ص ١١٧ — ١٢٥ ؛المقريزى : المصدر السابق ، ص ٨٧٦ — ٨٧٨ ؛ النويرى : المصدر السابق ، جـ٣١ ، ص ٣٧٣ — ٣٧٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٤١٢ -٤١٣ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق، ص ٢٣٦ ؛ المنصورى : التحفة ، ص١٥١ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ص٣٧٥ ؛ علي حسن : مصر ، ١٤٦ — ١٤٨ ؛ موير : المرجع السابق ، ص ٧٦

(٣) ابن حبيب: المصدر السابق، جـ١، ص ٢٦٣— ٢٦٤؛ المقريزى: المصدر السابق، جـ٢ ق١، ص ٧- ٨، ٢٩؛ ابن الوردى: المصدر السابق، ص٢٤٥؛ أبو الفدا: المصدر السابق، الجزء نفسه، ص ٣٩١؛ مختار: المرجع السابق، ص٣٥٣؛. King :op. cit, P. 47

(٤) أبو الفدا : المصدر السابق ، ص ٢٩٧ ؛ ابن إياس : المصدر السابق ، حـ١ ق١ ، ص٤٤٠ ؛ عمار : المرجع السابق، ص ٦٢ .

(٥) ابن كثير : المصدر السابق ، جـ١٤ ، ص ٩٤ .

(٦) لمقريزى : المصدر السابق ، ص٢٥٠ .

(٧) لمزيد من التفاصيل : أنظر الدوادارى : المصدر السابق ، جـ٩، ص ٣١٨؛ المقريزى : السلوك، صـ ٢٦٠ —٢٦٨ ؛ ابن حبيب: المصدر السابق : جـ٢ ، ص١٤٩ .

ومما يؤيد أن مساندة مصر للوافدية أكسبها عداءات ، نورد نص من رسالة بعث بها الشيخ حسن الكبير - حسن بن حسين بن أقبغا الجلائرى ابن عمة ألقان أبو سعيد ونائبه ومؤسس الدولة الجلائرية بفارس عام ٧٣٦هـ - إلي السلطان الناصر محمد حينما وافق علي مساعدة ومناصرة نائب بغداد علي باشا في تحقيق رغبته بالاستيلاء علي بغداد والموصل وديار بكر عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م جاء فيها : " إن كان تنصر علي باشا لأجل أنه قرابة لك فنحن أقرب إليك منه ، ونكون في طوعك أكثر منه ، ونحن وإياك صلح ، فلا تنشئ بيننا عداوة ، وخلينا مع بعضنا بعض"[١].

وبعد وفاة السلطان الناصر محمد قضت مصر زهاء ثلاثة عقود بمنأى عن الصراعات المرتبطة بالوافدين حتى تجددت ثانية على يد حفيده السلطان الأشرف شعبان بن حسين ، والذى أقحم نفسه في الصراع الدائر ما بين أويس حاكم بغداد ونائبه مرجان عام ٧٦٧هـ وناصر مرجان ووعده " إن أراد نجدة سيرنا إليه العساكر لنصرته "[٢] وفي العام نفسه ونتيجة تجدد الاضطرابات بالنوبة واستنجاد ابن ملك دنقلة المقتول بمصر لاسترداد ملكه من ابن أخته جهز السلطان الأشرف حملة قوامها ثلاثة آلاف جندى وعشرون أميرا وأرسلها إلى النوبة فنفذت ما كلفت به[٣].

وفي عهد المماليك الجراكسة لم تغير مصر موقفها من مناصرة الوافدية وانتهجت السياسة نفسها مما زج بها في بعض الحروب. بداية ناصر الظاهر برقوق ألقان أحمد بن أويس الوافد للقاهرة هربا من تيمورلنك، ووعده بأن يرسل معه جندا لأخذ ثأره ، وفي عام ٧٩٦هـ خرج الظاهر إلى سوريا لمساعدة القان على استرداد بغداد وزوده بكل ما يحتاجه من سلاح ومال وجند ، وأعلمه بأنه سيظل بدمشق حتى يعرف أخباره وعودته لملكه ، فتمكن ابن أويس بجيشه المملوكى وبمعاونة قرا يوسف التركمانى من هزيمة ميران شاه بن تيمور واستعاد بغداد[٤]. ولم ينج الظاهر برقوق من المستنقع النوبى. إذ أمر الصارم إبراهيم والى أسوان بمعاونة ناصر الدين صاحب بلاد النوبة على استعادة عرشه من ابن عمه عام ٨٠٠هـ[٥]. كذالك كان من بين الأسباب التى حفزت تيمور لنك على اكتساح دمشق وحرقها عام ٨٠٣هـ ، رفض السلطان الناصر فرج الصلح معه ، وإعادة السلطان حسين بهادر الهارب منه[٦]. كما تعرضت

---

(١) اليوسفي : المصدر السابق ، ص ٣٦٥ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ق١ ، ص١١٤ .

(٣) المقريزى : المصدر السابق ، ص ١٠٩ — ١١٢ .

(٤) ابن صصرى : المصدر السابق ، ص١٤٦ ، ١٥٩ ؛ المقريزى : المصدر السابق ،جـ٣ ق٢ ، ص٨١٤ ؛ ابن دقماق : المصدر السابق ، ص ٢٧٣ ؛ ابن تغرى بردى : جـ١٢ ، ص ٥٢ ؛ ابن زمبل : المصدر السابق ، ص٦ ؛ مختار : المرجع السابق ،ص ٣٩٨، حكيم أمين : المرجع السابق ، ص ١٢٨ ؛ موير : المرجع السابق ، ص١٢٧ .

(٥) ابن دقماق : المصدر السابق ، ص ٢٩١ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، ص ٨٨٧.

(٦) ابن دقماق : المصدر السابق ، ص ٣١٨ .

حلب وعينتاب والبيره لدمار وحرائق عام ٨٢١هـ / ١٤١٨م على يد قرا يوسف صاحب بغداد وتبريز ، واشتبكت معه تجريدة مملوكية ، وذلك في إطار مطاردته قرايلك صاحب آمد الذى وفد إلى بلاد الشام هربا منه[١] . وفى عهد السلطان برسباى ترامى عليه صارم الدين إبراهيم بن قرمان ٨٣٨هـ / ١٤٠٤م وطلب إعانته بعسكر حلب لأخذ قيصرية من ناصر الدين محمد بن دلغادر نائب أبلستين – مقابل بعض الإغراءات – فوافق برسباى وكتب إلى الأمير قرقماس نائب حلب بجمع التركمان والذهاب معه[٢]. كذلك لجأ إلى السلطان إينال العلائى عام ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م ابن ملك قبرص المدعو جاكم ، فأرسل معه تجريدة أعادته للحكم رغم ما قابله من صعوبات[٣]. ورغم النجاحات التى أحرزتها الفرق المملوكية في مناصرة الوافدية ، إلا أنها منيت أحيانا بالإخفاق والهزيمة وهذا ما حدث في ربيع الآخر عام ٨٨٠هـ خلال حكم قايتباى ، حينما ذهب نائب حلب بجنده لمناصرة محمد أغرلو بن حسن الطويل على أبيه ، فكانت النتيجة انهزام عسكر حلب وجرح محمد أغرلو وعودته ثانية إلى حلب[٤].

وإلى جانب ما سبق ذكره فقد وجدنا أنه أحيانا لم تفلح محاولات الوافدية في جر مصر إلى خوض حروب لصالحهم ربما لظروفها الداخلية ، أو لبعد هذه الدول، أو لظروف المنطقة ككل ، أو لرؤية حكام مصر أن دخولهم الحرب لن يعود عليهم بفائدة. وهذا ما حدث عام ٨٩٢هـ عندما طلب الأمير محمد بن سعد الزغل الأندلسى إرسال تجريده لمساعدته في قتال الفرنج لأنهم أشرفوا على أخذ مالقة[٥]. فوجدنا السلطان قايتباى يعدهم بالمساعدة السياسية فقط ، ولم يف بما تعهد به لتسقط الأندلس في براثن عبدة الصليب ، وتظل وصمة عار في جبين الأمة ، وشاهد إثبات يفضح التخاذل العربى في نصرة المستجير ولتدخل معاصرى الحدث في مزابل التاريخ ..... وإن قبل !!

٥– استغلال بعض الوافدين كبدل في الحصول على بعض المناوئين الهاربين من حكم سلاطين المماليك. والمثال على ذلك المقايضة التي حدثت عام ٧٢٨ هـ ما بين السلطان الناصر محمد والقان أبو سعيد بن خربندا ، والتي قتل فيها دمرداش بن جوبان مقابل شمس الدين سنقر المنصوري[٦]. وقد سبق الحديث عنها .

---

(١) الصير في : المصدر السابق ، ص ٤٢٣ – ٤٢٤ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤ ق١ ، ص ٤٥٨ – ٤٦١ ؛ ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٣٩ – ٤٠.

(٢) المقريزى : المصدر السابق جـ٤ ق٢ ، ص ٩٤٥ .

(٣) لمعرفة تفاصيل الحملة انظر : ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٥٤ – ٣٧٢ ؛ العبادى : البحرية ، ص ٥٤٥ ،ح (٥) .

(٤) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٠٨ – ١٠٩ .

(٥) عنان : المرجع السابق ، الجزء نفسه ، ص ٢١٦ – ٢٢٢ .

(٦) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق١ ، ص ٢٩٢ – ٢٩٩.

٦- استغلال بعض الوافدين في الإطاحة ببعض أعداء المماليك وإشاعة الفرقة بين صفوفهم اقتنص بعض سلاطين المماليك فرصة قدوم بعض الوافدين واستثمروا ذلك لصالحهم، ولم يتركوا الفرصة تضيع هباء. وهذا ما فعله الظاهر بيبرس حينما استغل وفود شكنده النوبي عام ٦٧٤ هـ للإطاحة بداود ، بسبب قطعة للبقط ، وتعديه على التجار ، و مهاجمته لثغرى أسوان وعيذاب بهدف قطع طريق الحج[١] . كذلك استغل المنصور قلاوون وفود آدر النوبي عام ٦٨٥ هـ في الإطاحة بسمامون ، بسبب إخلاله بشروط العقد بين النوبة ومصر[٢] وقد حاول السلطان الناصر فرج استغلال وفود حسين بهادر كونه ابن بنت تيمور وراس ميسرة جيشه ، في ثني عزم تيمورلنك عن مهاجمة بلاد الشام ، ولكنه لم يفلح[٣]. أما الأشرف قايتباي فقد شمل برعايته حسين بك مرزاه بن محمد اغرلو حين قدمت به أمه عام ٨٨٢ هـ، وظل حسين بالقاهرة حتى واتت قايتباي الفرصة للاستفادة منه عام ٨٩٧ هـ / ١٤٩١ م عندما رأى طمع العثمانيين في مملكة حسين بك الطويل ، وقام بتجهيز حملة للوقوف ضد أطماعهم وأسند قيادتها لحسين ابن اغرلو .... ثم أهمل ذلك[٤]. وآخر المحاولات من هذا النوع قام بها السلطان الغوري في جمادى الأولى ٩٢٢هـ / ١٥١٦ م إذا استغل وجود قاسم بن احمد بك بن أبي يزيد العثماني بمصر ، واصطحبه معه أثناء خروجه إلى سوريا لحرب العثمانيين بهدف أن -يشاع ذكره في بلاد بن عثمان بأن في مصر من أولاد بن عثمان ولد ذكر- ظنا من الغوري بأن عسكر العثمانيين إذا سمعوا ذلك يثورون على سليم شاه ويأتون إلى هذا الصبي ... إلا أن كل ذلك لم يفد[٥].

٧- تفكك عرى الوحدة الوطنية. أدت كثرة وجود الغرباء والوافدية بالعاصمة المملوكية إلى تفكك أواصر الوحدة الداخلية ، وفتور عزيمة المصريين في القيام بحركات تمرد ضد الدولة بسبب عدم تجانس السكان بالمقارنة بالمدن الشامية. وقد أشار إلى هذه الحقيقة أحد المستشرقين[٦] مبينا أن المدن السورية كانت أكثر قدرة من القاهرة على تنظيم عمليات المقاومة الشعبية التي وصلت إلى حد العصيان ضد الدولة ، وأرجع ذلك إلى تلاحم الجماعات الداخلية في المدن السورية الصغيرة والتي اكتسبت قدرة تنظيمية كانت القاهرة تفتقر إليها كونها مدينة كبيرة يقطنها الجند والموظفون الرسميون والمهاجرون الذين ليس لهم فيها أية جذور.

---

(١) عاشور : مصر ، ص ٧٨ - ٧٩ ؛ عمار : المرجع السابق ، ص ١١٠ - ١١٣ .

(٢) عمار : المرجع السابق ، ص ١١٥ -١٢٣ .

(٣) ابن دقماق : المصدر السابق ، ص ٣١٨ .

(٤) ابن إياس ، المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٣٩ ، ٢٨٦ .

(٥) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٤٩ ؛ موير : المرجع السابق : ص١٨٨ .

(٦) إيرا لابيدوس : المرجع السابق ، ص ٢٥٠- ٢٥١ .

٨- اكتساب سلطنه المماليك صفة الشرعية بعد احتضانها لأفراد البيت العباسي الهـاربين مـن العـراق عقب اجتياحه علي يد هولاكو وجيشه . فإعلان القاهرة للمستنصر أحمد خليفة للمسلمين زاد من ثقل الدولـة – إلى جانب عوامل أخرى – في عيون المسلمين عامة والمصريين خاصة وغدت الدولة المملوكية زعيمة للعالم الإسلامي

ثانيا : النتائج الاقتصادية :

٩- أدى أحيانا نزوح الوافدين عن بلادهم وقدومهم إلى دولة المماليك ، وإلى إحداث أزمات اقتصادية ببلادهـم نتيجـة قلة الزرع وما ترتب عليه من شدة الغلاء. وبالمقابل أدى قدومهم للدولة المملوكية إلى ارتفاع في الأسعار المحلية بالدولـة نتيجة كثرة الطلب على المنتجات وقلة المعروض. وكدليل على ذلك انه حينما خاف محمد بـن قـرا يوسـف صـاحب بغداد من هجوم شاه رخ بن تيمورلنك عليه عام ٨٢٥ هـ ، منع الناس مـن الـزرع وأجـبر ضعفاءهم علـى الـنزوح مـن العراق ، فجاء أكثرهم إلى بلاد الشام و أصيب العراق بالقحط والغلاء[١]. كما أن كـثرة أعـداد الوافديـة وبحثـهم عـن وسائل نقل أدت إلى غلاء حيوانات الركوب ببلاد الشام خاصة ، وهذا ما حدث بحلـب عـام ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م[٢]. وبالنظر إلى قوائم الأسعار التي أوردها آشتور[٣] نلحظ أن سعر أردب القمح عام ٦٩٣ هـ كان ٠,٦٥ ديناراً ، وبعد ذلـك بثلاث سنوات تراوح سعره ما بين ٠,٨ – ٠,٩ دينار وذلك في أيام قدوم العويراتية وما رافقهم من غـلاء وانخفـاض في مستوي النيل مع ملاحظة أن سعر الأردب في عهد الظاهر بيبرس – والذي استقبل كثير مـن الوافديـة – يبلـغ ٢,٢٥ دينار .

١٠- كذلك تعرضت بعض المدن المملوكية بالشام إلي أضرار اقتصادية نتيجة ما لحق بها من سلب ونهب علـى أيـدي بعض الوافدين أثناء انتظارهم إذن الدخول ، أو إذا ما رفض قبولهم . فيصف ابن صصري[٤] أصحاب القان أحمـد بـن أويس عام ٧٩٥هـ / ١٣٩٢ م بقوله : " تسيبوا في دمشق ، وهم قوم مفسدين " فكرهم أهل دمشق . وقد ترتب علـى عدم السماح لأحمد بن أويس ورفيقه قرا يوسف التركماني بدخول البلاد عام ٨٠٢ هـ ، أن نهبت بلاد حلب وتل بـا شر وعينتاب[٥].

١١ – وإلي جانب ما تعرضت له البلاد سابقا ، تعرضت أيضا بلاد المقطعين إلي العديـد مـن المغـارم مـن جـراء توفـير الإقامات للقادمين ومد الأسمطة لهم طوال الطريق وتوفير حاجاتهم من أغنام و أوز و عليق وخلافه . فمثل هـذا عـبء

---

(١) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٤ ق٢ ، ص٦١١ .

(٢) ابن تغرى بردى : حوادث الدهور ، جـ١ ، ص ٢٧٧.

(٣) لمرجع السابق ، ص ٣٨٢ – ٣٨٣ .

(٤) لمصدر السابق ، ص ١٤٠ .

(٥) الصير في : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٦٠ – ٦١ .

علي الكشاف ومشايخ العربان . وإذ يذكر المنصوري[١] أنه عند قدوم الملك الصالح والملك المجاهد عام ٦٥٩ هـ أمر السلطان بترتيب الإقامات لهم منذ وصلا إلي دمشق وإلي أن دخلا القاهرة كذلك عند قدوم الأمير بدر الدين جنغلي عام ٧٠٣ هـ -وما زالت الإقامات تتلقاه حتى قدم إلي القاهرة[٢]. ومثله القان أحمد عام ٧٩٥ هـ[٣] ، وأيضا قرقد بك العثماني في صفر ٩١٥ هـ ، والذي من اجله أمر قنصوة الغوري الكشاف ومشايخ العربان بملاقاته طوال الطريق ومد الأسمطة له ، وتحميل كل ذلك علي بلاد المقطعين[٤]. وهذا ما حدا بالبعض[٥] إلي اعتبار أن السكان المدنيين ليسوا إلا مواطنين من الدرجة الثانية ، وعليهم إمداد العسكريين وأتباعهم بكل ما يلزمهم.

١٢ — مكاسب اقتصادية وسياسية. إلي جانب ما سبق ذكره عن بعض المكاسب السياسية التي جنتها مصر من قبولها للوافدين ومساعدتهم. تبين أيضا أنه هناك بعض المكاسب الاقتصادية والسياسية الأخرى التي عادت علي دولة المماليك من جراء مساندتها لبعض الوافدين في تحقيق أهدافهم مثل حصولها علي أموال وبلاد ومنتجات وغنائم وأسري. إلى غير ذلك من العوائد التي يمكن تبينها من خلال هذه الأمثلة : حمل كثير من العراقيين الذين وفدوا لدولة المماليك ، أملاكهم المنقولة وثرواتهم واستثمروها بالبلاد مما أحدث نوعا من الرواج الاقتصادي[٦]. وكان من بين نتائج مساعدة دولة المماليك للملك مشكد النوبي عام ٦٧٤ هـ أن قررت عليه قطيعة سنوية مضمونها ثلاثة فيلة وثلاث زرافات وخمسة فهود ومائة جواد ومائة من الأبقار ، وأن تكون البلاد مناصفة بينه وبين سلطان مصر ؛ وأن تضم دو وإبريم لأملاك مصر بسبب قربها من أسوان ، وأن يحمل لمصر القطن والتمر ، وأن يجبي من السودان الجزية .... إلي غير ذلك من الشروط التي أجمعت عليها المصادر[٧] والتي أورد نصها النويرى[٨] في يمين القسم الذي أقسمه ملك النوبة لسلطان مصر الظاهر بيبرس. وقد أوردناه كملحق[٩] في آخر البحث للوقوف علي ما جاء به من شروط.

---

(١) مختار الأخبار ، ص ١٧ — ١٨ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ق٣ ، ص٩٥٠ .

(٣) الصير في : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٣٦٤ ؛ المقريزى : المصدر السابق جـ٣ ق٢ ، ص ٧٨٩ .

(٤) ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ١٥٣ . الكاشف : كان يعبر عنه بوالي الولاة وهو مسئول عن إقليم بعينه ، خاصة الجسور وسائر متعلقاتها . وكانت رتبته طبلخاناه ، ويلي نائب الوجه في الدرجة . القلقشندى : المصدر السابق جـ٤ ، ص ٦٥ ؛ Dozy : Supp , T . 2 P . 479 .

(٥) Poliak : Les Revoltes Populaires en Egypt a l' Epoque des Mamlouks . (Revue des Etudes Islamques VIII , Paris 1934) . P 266.

(٦) آشتور : المرجع السابق ، ص٣٧٧ .

(٧) المقريزى : المصدر السابق جـ١ ق٢ ، ص ٦٢١ -٦٢٣ ؛ الدوادارى : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ١٨٣ - ١٨٦ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص٤٠٠ ؛ المنصورى : المصدر السابق ، ص ٥٥ - ٥٦ ؛ عمار : المرجع السابق ، ص ١١٠ - ١١٣ .

(٨) المصدر السابق ، جـ٣٠ ،ص ٣٤٦ — ٣٤٧ .

(٩) انظر ص ٨١ من البحث . وعيذاب : بلدة علي ضفة بحر القلزم ، وهي مرسي المراكب القادمة من عدن إلي الصعيد . ياقوت الحموى : المصدر السابق جـ٦ ، ص٢٤٦ .

ومن خلال هذا الملحق يمكن القول بأن الحملة المصرية نجحت في :- تأمين حدود مصر الجنوبية ووقفت التعديات عليها ، إضافة بلاد جديد لسلطنة المماليك ، وإضافة موارد مالية جديدة للخزانة المملوكية ، تأمين التجارة عبر الجنوب في ميناء عيذاب ، ناهيك عما حمله الغازون في عودتهم من غنائم ومواشى ورقيق .... الخ . كذلك قررت القاهرة علي النوبة قطيعة سنوية بموجب الحملات التي أرسلتها لمناصرة حكام النوبة أعوام : ٦٨٦ هـ ، ٧٠٤ هـ ، ٧٦٧هـ ، هذا إلى جانب ما حمله الجيش في عودته من غنائم وأسري وهدايا وخيول وأبقار وأكسية[٥]. وعندما استنجد الملك المجاهد صاحب اليمن بالسلطان الناصر محمد ٧٢٥ هـ قرن طلبه بالترغيب في المال الموجود باليمن ، ووعد بإعطاء الجندي جزءا من الأسلاب ، وإعطاء الناصر جزءا من الأرض ، فرد الناصر بالموافقة علي مساعدته وأنه لا رغبة له في السلب ولا في الأرض[٦] . كذلك يذكر المقريزي[٧] أن السلطان برسباي كلف قرقماس نائب حلب بمساعدة الأمير صارم الدين إبراهيم بن قرمان في استرداد قيصرية عام ٨٣٨ هـ / ١٤٣٤ م مقابل عشرة ألاف دينار سنويا ، وثلاثين بختيا وثلاثين فرسا ، و(خدمة أركان الدولة) . وعقب ذلك بأقل من ثلاثة عقود - ٨٦٥هـ - أرسل السلطان إينال العلائي تجريدة لتولية جاكم حكم قبرص مقابل مال ، وعند عودة تاني بك الترجمان بالمال أسرته مجموعة من القراصنة التابعين لأخت جاكم ومنافسته ، وسلبوه المال ، فعين السلطان تجريدة ثانية إلي قبرص[١].

١٣- ويمكن القول بأن مجيء الوافدية إلي دولة المماليك - خاصة في نصفها الأول - أحدث انتعاشا في النشاطات الاقتصادية من تجارة وصناعة وزراعة . وقد تبين من قبل شهرة آل الكويك التكريتيون في مجال التجارة الكارمية وإقراضهم للسلاطين[٢] . كذلك برزت أسرة عبد المنعم بن الصيقل الحراني المصري[٣] . أما الصناعة فقد ازدهرت هي الأخرى بفضل هجرة كثير من الصناع العراقيين والإيرانيين لمصر عقب هجمات المغول علي بلادهم ، وقد استثمر هؤلاء ما كانت تنعم به مصر من أمان وطوروا أعمالهم[٤]. وكان من نتائج هجرة الخزافين إلي دولة المماليك إنتاج أنواع من الخزف الإيراني من نوع سلطان أباد ، أو قاشان ، والتى تميزت برسوم الحيوانات كبيرة الحجم ذات اللونين

---

(٥) المقريزى : المصدر السابق ، جـ١ ق٣ ، ص ٧٣٧ ؛ جـ٢ ق١ ، ص ٢٩ ، جـ٣ ق١ ، ص ١٠٩ — ١١٢ ؛ النويرى : المصدر السابق جـ٣١ ، ص ٣٩ - ٤٦ ؛ ابن إياس : المصدر السابق جـ١ ق٢ ، ص ٢٩ - ٣١ .

(٦) القلقشندى : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٥٣ - ٥٤ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق١ ، ص٢٦٠ ، ٢٦٥ — ٢٦٨ .

(٧) المصدر السابق، جـ٤ ق٢، ص ٩٤٥. وبخاتي: من معانيها خادم ، وجمل ذو سنامين ..Dozy : op . cit , T. 1 , P . 54

(١) لمزيد من التفاصيل انظر : ابن إياس : المصدر السابق ، جـ٢ ،ص ٣٦٦ .

(٢) ضومط : المرجع السابق ، ص٢١٧ ؛ آشتور : المرجع السابق ، ص ٣٧٧.

(٣) سحر السيد : العراقيون ، ص ٤٣ .

(٣) حسين عبد الرحيم عليوه : دراسة لبعض الصناع والفنانين بمصر في عصر المماليك . (مجلة كلية الآداب جامعة المنصورة . العدد الأول . مايو ١٩٧٩) ص ٩٠.

الأسود أو الأزرق علي أرضية نباتية بيضاء ، وممن اشتهر في ذلك غيبي بن التوريزي ، والهرمزي[١]. كما وجد من الوافدية خبراء في بعض المجالات ، نذكر منهم : أحمد بن عمر البغدادي الجوهري ، وكان خبيرا بأصناف الجواهر[٢]. وإلي جانب ذلك كان للعراقيين إسهامات عدة في المجال الصناعي كما يلي :-

- في الصناعة المعدنية : نقل الوافدون المواصلة إلي مصر أساليبهم في التكفيت وطرائقهم في الترصيع. وممن أشتهر منهم: ابن المعلم ، محمد بن سنقر البغدادي الذي صنع كرسي العشاء المعدني للسلطان الناصر محمد .
- في الخط : استفادت مدارس الخط في مصر والشام من العراقيين الوافدين ، فيما نقلوه إليها من الخط النسخى وما عرف من فروعه باسم الخط الثلث . ومن أشهر الخطاطين العراقيين بمصر : ابن العفيف ، ابن الأكفانى .
- صناعة النسيج : اشتهرت مصر بالصناعات النسيجية شأنها شأن العراق ورغم ذلك فإن الشاش الموصلي لقى رواجا بمصر لجماله وروعته[٣].

وقد اعتبر البعض[٤] أن هجرة ووفود هذه الشعوب المنتجة اقتصاديا إلى مصر ، عاملا من عوامل إثراء الاقتصاد المملوكي بما كانوا يمتلكونه من خبرات وتجارب اكتسبوها في بلادهم .

ثالثا : النتائج الاجتماعية :

١٤- زيادة عدد السكان : لما كان الوفود إلى دولة المماليك في غالبيته جماعيا فقد مثل هؤلاء نوعا من التضخم في عدد السكان خاصة وأنه قد تبين مما سبق مجيء جماعات كبيرة تجاوزت الألوف العشر فما دون ذلك . ورغم وصف بعضهم[٥] لهذه الزيادة بأنها كانت طارئة. إلا انه من الصعب إغفالها لأنها لم تنقطع عبر تاريخ الدولة لما لمسوه من أمن وأمان بها . كما أنهم تقريبا - باستثناء القليل - استوطنوا البلاد ولم يرجعوا إلى أوطانهم . هذا رغم وصف البعض الآخر[٦] لهم بأن معظمهم لم يكن له بيتا، وعاشوا وناموا مع عائلاتهم في الشوارع. وإن كان في هذا شك كبير لأنه كما تبين سابقا أن معظمهم دخل الجندية ، وبالتالي انضم إلى الطبقة الحاكمة التي نعمت بخيرات البلاد.

---

(١) حسين عليوه : المرجع السابق ، ص ٩٤ ،٩٩، ١٠٠ .

(٢) الحنبلي : المصدر السابق ، الجزء نفسه ، ص ٨١ — ٨٢ .

(٣) سحر السيد : المرجع السابق ، ص٢٥ — ٤٠ ؛ آشتور : المرجع السابق : ص ٣٧٨ ؛ لينبول : المرجع السابق ، ص ٢٢٣.

(٤) البيومي إسماعيل : مصادرة ، جـ١ ، ص٨٨ ؛ Weiss &, Green : op . cit , pp 350 - 351.

(٥) قاسم عبده قاسم : المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٦) أيرا لا بيدوس : المرجع السابق .

ناهيك عما ذكر سابقا من إنشاء السلاطين لبعضهم أحياء خاصة بهم كاللوق والحسينية وغيرهما. وقد اعتبر آشتور[١] أن هجرة العراقيين وغيرهم من مملكة الإيلخانات إلى دولة المماليك إحدى ظاهرتين أديتا إلى الميل المتصاعد في التطور السكان بكل من سوريا ومصر .

١٥- إدخال بعض التأثيرات الأجنبية في الطعام والشراب والزي والوظائف وغيرها إلى البلاد المملوكية. كان من بين المؤثرات المغولية التي حملها التتار معهم إلى مصر في عهد الظاهر بيبرس .. ضرب البوقات ، ووظائف جديدة مثل أمير سلاح وأمير مجلس ، وشرب القمز (لبن الخيل)، وارتداء الملابس التترية[٢] كما أحدث الصناع والفنانون المشارقة بعض التأثيرات في صناعة الأقمشة والأزياء المملوكية ، وأدخلوا بعض التصميمات عليها مثل الأقبية التترية التي استعملتها الأرستقراطية العسكرية المملوكية ، كما وجد أيضا بمصر أقمشة أخرى عليها حروف بخط كوفي أشبه بالأختام الصينية[٣]. وإلى جانب هذا يبدو أن غالبية الوافدية حافظوا على بعض عادات بلادهم مثل تناول لحم الخيول في الولائم الكبرى والمواسم والأعياد وهذا ما كان متبعا في بلاد القفجاق بحوض نهر الفولجا[٤]. ويؤيد ذلك ما فعله الأمير قوصون في حفل زواجه من ابنة السلطان الناصر محمد عام ٧٢٦ هـ ، إذا قام بذبح خمسون فرسا[٥]. هذا فضلا عما سبق ذكره من أن الأويراتية كانوا يربطون الخيل ويضربونه على رأسه حتى الموت ثم يأكلونه . وربما هذا وغيره ما دعا بيبرس المنصوري[٦] إلى وصفهم - بكثافة التدمار وجلافة الكفار. لم يراعوا أوضاع الآداب - وقد رصد أيضا ابن صصري[٧] بعض العادات التي حملها أصحاب القان ابن أويس معهم إلى البلاد قائلا " آكل الحشيش عندهم ليس بعيب ، يتظاهرون بالفواحش " وهذا قليل من كثير . وعلى صعيد آخر فقد كان من بين التأثيرات المغولية في تكوين الدولة المملوكية : عدم الاعتراف بحقوق سياسية لغير حملة السلاح ، وأيضا إدارة أمور الدولة كما تدار الضياع، وأن الفصل في المنازعات فيما بينهم لم يتولاه القضاة طبقا للشريعة الإسلامية ، ولكن تولاه قضاة العسكر أو الحجاب طبقا للقوانين المبنية على قواعد ياسة جنكيز خان[٨].

---

(١) المرجع السابق .

(٢) حسنين محمد ربيع : منهج السيوطي في كتابة التاريخ (ندوة جلال الدين السيوطي ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٨) ص ٥٠ -

(٣) ماير : الملابس المملوكية (ترجمة صالح الشيتي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢) ص ٨ .

(٤) المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ق١ ، ص ٢٨٨ ح (٥) .

(٥) المقريزى : المصدر نفسه .

(٦) التحفة ، ص ١٤٦ .

(٧ المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

(٨) وليم سليمان : المرجع السابق ، ص ٥١ ؛ البيومي إسماعيل : المرجع السابق ، ص٢٢٤ ؛ وللمزيد عن معرفة قوانين الياسة ، انظر : ماجد : المرجع السابق ، ص ٩٢ ؛ شبارو: المرجع السابق ،ص ٣٧ - ٣٨ .

١٦- وقد أحدث مجيء الوافدية أحيانا نوعا من عدم الاستقرار السكاني بالبلاد الحدودية المملوكية، نتيجة هرب سكانها إلى داخل البلاد خوفا من هجوم البلاد الطاردة للفارين منها. وقد حدث هذا عام ٨٥٤ هـ عندما علم أهل حلب بنية هروب جهان كير صاحب آمد إلى بلادهم هربا من جهان شاه بن قرا يوسف صاحب تبريز وقتئذ خاف الحلبيون ، ونزح كثير من جنودها وعائلاتها عن بلادهم ، مما أدى إلى غلاء حيوانات الركوب بها[١]

رابعا : النتائج الثقافية :

ترتب على قدوم الوافدية نتائج ثقافية وعلمية تمثلت في دخول العديدين منهم بل جميعهم في الدين الإسلامي. هذا فضلا عما أحدثوه من رواج ونهضة ثقافية بالبلاد. وقد تناولنا في المبحث السابق خروج معظم الوافدين من ظلمات المجوسية والوثنية إلى الإسلام. أما بالنسبة للنشاط العلمي فقد أدت الأخطار التي أحدقت بالعراق والأندلس إلى دفع كثير من العلماء إلى الوفود لمصر والشام، حيث وجدوا بهما مناخا جيدا لممارسة نشاطهم. وهذا بدوره جعل من القاهرة مركز نشاط علمي وديني بالعالم الإسلامي الوسيط خاصة بعد إحياء الخلافة العباسية[٢] فمن الأندلس لمع : محمد بن قاضي الجماعة الأندلسي القرطبي الأشبلي (ت ٧١٨ هـ) والذي اشتغل بالإمامة[٣] وأيضا أحمد بن المغربي الأشبيلي (٧١٨ هـ) والذي برع في عدة علوم منها الحساب والتنجيم[٤] وأيضا محمد بن يوسف بن على أبو حيان الغرناطي (ت ٧٤٥ هـ) وكان متضلعا في الحديث والتفسير واللغة والأدب ونظم الموشحات[٥] ومن الجزائر لمع الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد التلمساني (ت ٧٨١ هـ) وكان بارعا في الحديث والخطابة وولي عدة مناصب علمية[٦] ومن اليمن اشتهر الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليماني الأديب (٧٤٣ هـ) وكانت له تصانيف كثيرة[٧] أما العراق فقد وفد منها كثير من الفقهاء والعلماء عملوا على ازدهار التعليم الإسلامي خاصة في دمشق وفق رؤية بعضهم[٨] فيتحدث المقريزي[٩] عن غياث الدين بن العاقولي البغدادي (ت ٧٩٧ هـ) وشهرته كأحد فقهاء

---

(١) ابن تغرى بردى: حوادث الدهور ،جـ١ ، ص ٢٧٧ ؛ المقريزى المصدر السابق ، جـ٤ ق١ ، ص٤٥٨-٤٦١ ، الصيرفى : المصدر السابق ، جـ٢ ،ص٤٢٣- ٤٢٤ .

(٢) عاشور : المرجع السابق ص٣٤١، مصر ، ص ١٨٩ ؛ شيبارو: المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(٣) المقريزى : السلوك ، جـ٢،ق١ ، صـ١٨٩ .

(٤) قاسم عبده قاسم : اليهود ،صـ٢٤.

(٥) عنان : المرجع السابق ، الجزء نفسه ، ص٤٦٤.

(٦) ابن قنفذ : المصدر السابق ،ص٣٧٠ ،ح٣ .

(٧) أبو الفدا : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٥٠٠ ؛ ابن الوردى : المصدر السابق،جـ٢ ، ص ٣٢٤ .

(٨) إيرا لابيدوس : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

(٩) السلوك : جـ٣ ق٢ ، ص ٨٤٦ ، جـ٤ ق١، ص٦٥ .

الشافعية ، والشيخ سيف الدين يوسف السيرامي الحنفي (ت ٨١٠ هـ) والذي قرره السلطان برقوق في مشيخة مدرسته عام ٧٩٠ هـ ثم أضاف إليه مشيخة خانقاة شيخو .

كذلك يتحدث الحنبلي[١] عن شهاب الدين أحمد بن عمر البغدادي (ت ٨٠٩ هـ) والذي سمع من المزي والذهبي وقرأ عليه ابن حجر. وقد تناول بعض المحدثين[٢] بإسهاب إسهامات العراقيين في الحياة العلمية نذكر بعضها هنا على سبيل المثال :-

- في الفقه : برع الشيخ علم الدين بن بنت اسحق العراقي وتصدر للتدريس في مدرسة الإمام الحسين ، والشيخ عز الدين المارديني (ت ٦٨٣ هـ) وتولى التدريس بالمدرسة الصالحية ، الفقيه محمد بن محمود الموصلي ، الشيخة الفقيهة فاطمة بنت عباس البغدادية (٧١٤ هـ)
- في التصوف برع الشيخ أبو عبد الله محمد البغدادي المعروف بابن البناء ، على بن عثمان الأربلي ، الشيخ منصور الواسطي الذي بشر في الإسكندرية على الطريقة الرفاعية باعتبار أن صاحبها أحمد الرفاعي من واسط بالعراق
- في الأدب والعلوم اللغوية : الشاعر بيبرس الفارقاني ، شمس الدين محمد بن دانيال الموصلي ، الأديب محمد بن الحسن بن نباته الفارقي .
- في الطب : محمد بن إبراهيم بن ساعد السنجاري المعروف بابن الأكفاني وعمل ببيمارستان قلاوون. هذا إلى جانب آخرين برعوا في مجالات المنطق والمعقولات والرياضيات والموسيقى . وعلى صعيد آخر فقد أشار بولياك[٣] إلى أن من أهم التأثيرات الثقافية التي صاحبت الوافدية هو تشرب الآداب والفنون المملوكية بكثير من المصطلحات الفنية الفارسية والتركية، ويتجلى ذلك في أسماء الوظائف والأزياء والألعاب وغيرها . وهنا تجدر الإشارة إلى أن المماليك قاوموا هذا الغزو رغبة منهم في الحفاظ على الحضارة الإسلامية في مواجهة التهديد المغولي، وساعدهم في ذلك العزلة النسبية التي فرضت على الأقاليم المملوكية، وبعدها من المراكز الحضارية الأخرى[٤].

---

(١) المصدر السابق ، الجزء نفسه ، ص ٨١ .

(٢) سحر السيد : المرجع السابق ، ص ٤٧ – ٦٩ .

(٣) Le Caracter , P 236 .

(٤) Weiss & Green : op . cit , P 204

خاتـــمة

بعد مناقشة أحوال طائفة الوافدية منذ خروجهم من دولهم وحتى استقرارهم بمصر والشام يمكننا إقـرار بعـض النتـائج التي توصل إليها البحث والتي تتلخص في : -

١- الوفود السياسي هو ما يعـرف حديثـا بـاللجوء السياسـي وهـو نـزوح قسـري مسـبب اتخـذ صـورا فرديـة وجماعية ، وله مردود تاريخي قديـم تمثـل في اعتصـام البشـر بالجبـال والأشـجار خوفـا مـن الطبيعـة أو هجمات الضواري

٢- كانت هناك عناصر وعوامـل جـذب خاصـة بـالبلد المسـتقبل للوافديـن - دولـة المماليك بمصـر والشـام - جعلتهم يؤثرونها عما سواها. وتتلخص تلك العوامل في أن دولة المماليك كانت تتمتـع بـالقوة الـتي ارتـأى فيها الوافدون ما يحقق رغبتهم في الحماية و الأمان والمعيشـة الهانئـة والمعاملـة الحسـنة ، وضمـان عـدم تسليمهم لخصومهم . ناهيك عما كانت تتمتع به مصر مـن مكانـة وزعامـة في العـالم الإسـلامي اكتسـبتها بدحر المغول والصليبين وإحياء الخلافة العباسية .

٣- إن نزوح الوافدين عن بلادهم كان محصلة عوامل عدة تتباين فيما بينهما وهي : إمـا هروبـا مـن هجمـات المغول ، وإما بسبب نزاعات الحدود ؛ وإما طلبا للمدد والعون العسـكري مـن القـاهرة ، وإمـا هروبـا مـن الأخطار الداخلية بدولهم ، وأحيانا طلبا لوساطة مصر، و أحيانا أخرى بهدف التجسـس واغتيـال بعـض رجال الدولة المملوكية . وإن كان كل ما سبق لا ينفي أن بعضهم جاء راغبا في الإسلام والإقامة بمصر .

٤- فيما يختص بقبول الوافدين كان قرار الموافقة على دخولهم البلاد مركزيا ، ولم يكن من حق النواب منحة دون الرجوع إلى السلطان شخصيا ، وإصداره مرسوما بذلك

٥- تحملت النيابات الحدودية عامة ، والشامية خاصة ومتولوها عبء قدوم الوافدية ، و أعالتهم ريثما تصـل الموافقة بدخولهم إلى البلاد، أو توجههم إلى القاهرة .

٦- أن حكام مصر أحسنوا استقبال الوافدية و أكرموهم غاية الكرم ، وكان هذا الاسـتقبال يـترواح في مراسـيمه حسب شخص الوافد ومكانة بلده . وأجريت المراسم وفق أسس تقـترب كثـيرا ممـا نسـميه اليـوم بمراسـم الاستقبال الرسمي . وفي خضم ذلك حرص سلاطين مصر والشام على إبراز ثراء الدولة وقوتها . وقـد وجـد ما يسمى بالشعب أو طبقة المحكومين في تلك الاحتفالات متنفسا لهم وتزاحموا للفرجة ، وكـأن الوافديـن من كواكب أخرى. وهذا يفصـح بـين طياتـه عمـا كـان يسـود البـلاد مـن عزلـه وانغـلاق في تلـك الحقبـة التاريخية ، شأنهم شان باقي الأمم المعاصرة .

٧- إن تحديد مكان إقامة الوافدين كان منوطا بالسلطة الحاكمة ، وهي المسئولة عن اختياره

٨- لم تقتصر جنسيات الوافدية على جنـس بعينـه ، بـل شملـت أجنـاس عـدة : عربيـة ومغوليـة وأوروبيـة وتركمانية

٩- غلبت على الوافدية للدولة صفة البقاء الدائم والانصهار بالمجتمع ، بعد تحول الغالبية العظمى منهم إلى الإسلام ، وتبوء بعضهم مكانة سامية بالدولة ، ومنحوا بعض الحرية في تحركاتهم ، والتزمت الدولة أدبيا تجاههم بالحماية وعدم تسليمهم لغرمائهم طالما لم تقتض مصلحة الحاكم تسليمه .

١٠- في بداية قدوم الوافدين منحتهم الدولة رواتب ، ثم استبدلتها بإقطاعيات في حالة دخولهم الجندية أو استمرار بقاءهم في البلاد

١١- رغم الكفاءة العسكرية للوافدين ، إلا أن المماليك نظروا إليهم باستعلاء ولم يفسحوا الطريق أمام غالبيتهم للوصول إلى الرتب العسكرية العليا .

١٢- رغم ضلوع الوافدين في كثير من المشكلات التي وقعت بالدولة إلا أن ذلك لم يمنع المماليك من مصاهرتهم والاختلاط بهم .

١٣- إذا كان قبول دولة المماليك للوافدين جر عليها عداءات ، وأقحمها في حروب، وأضعف من وحدتها الداخلية ، وعرض بلاد المقطعين إلى المغارم ، ونهبت بعض المدن المملوكية ، ولم يستقر السكان في بعضها الآخر ، رغم ما طرأ عليهم من زيادات عددية وتأثرهم بمؤثرات أجنبية إلا أن كل ذلك لم ينف أن الدولة حققت من وراء قدومهم مكاسب : فامتد نفوذها لبلاد بعيدة، وزود جيشها بفرق جديدة دون تكلفة ، وحققت مكاسب مالية وانتعاشا في النشاطات الاقتصادية والثقافية

١٤- لم تهتم الدول التي هرب منها الوافدون بملاحقتهم أو استردادهم ما داموا لا يشكلون خطراً عليها وهم في المنفى .

ملحـــق

نص اليمين الذي حلفه مرمشكد ملك النوبة لسلطان مصر الظاهر بيبرس عام ٦٧٤ هـ ١٢٧٥م -والله ، والله والله ، وحق الثالوث المقدس ، والإنجيل الطاهر ، والسيدة الطاهرة العذراء أم النور والمعمورية ، والأنبياء المرسلين والحواريين والقديسين ، والشهداء الأبرار . وألا : أجحد المسيح كما أجحده بودس وأقول فيه ما يقول اليهود وأعتقد ما يعتقدونه. وألا : أكون بودس الذي طعن المسيح بالحربة ، أنني أخلصت نيتي وطويتي من وقتي هذا وساعتي هذه للسلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس ، وأني ابذل جهدي وطاقتي في تحصيل مرضاته ، واني ما دمت نائبه لا أقطع ما قرر على في كل سنة تمضي ، وهو ما يفضل من مشاطرة البلاد على ما كان يتحصل لمن تقدم من ملوك النوبة ، وان يكون النصف من المتحصل للسلطان مخلصا من كل حق، والنصف الآخر أرصده لعمارة البلاد وحفظها من عدو يطرقها، وأن يكون على كل سنة من الأفيلة ثلاثة ، ومن الزرافات ثلاث ، ومن إناث الفهود خمس ، ومن الصهب الجياد مائة، ومن الأبقار الجياد المنتخبة أربعمائة. وإنني أقرر على كل نفر من الرعية الذين تحت يدي في البلاد من العقلاء البالغين دينارا عينا، وأن تفرد بلاد العلى والحيل خاصا للسلطان. وانه مهما كان لداود ملك النوبة ولأخيه سنكوا ولأمه وأقاربه، ومن قتل من عسكره بسيوف العساكر المنصورة ، أحمله إلى الباب العالي مع من يرصد لذلك. وأنني لا اترك شيئا منه قل ولا جل، ولا أخفيه ولا أمكن أحدا من إخفائه ومتى خرجت عن جميع ما قررته أو شئ من هذا المذكور أعلاه كله كنت بريئاً من الله تعالى ، ومن المسيح ومن السيدة الطاهرة ، واخسر دين النصرانية ، وأصلي إلى غير الشرق وأكفر بالصليب وأعتقد ما تعقد اليهود ، وإني لا اترك أحدا من العربان ببلاد النوبة ومن وجدته منهم أرسلته إلى الباب السلطاني ، ومهما سمعت من الأخبار السارة والنافعة طالعت به السلطان في وقته وساعته ولا انفرد بشيء من الأشياء إذا لم تكن مصلحة ، وإنني ولى من والى السلطان وعدو من عاداه ، والله على ما نقول وكيل- .

﴿ فهرس المصادر والمراجع ﴾

أولا : مخطوطات : -

الخالدى : عبد الله بن لطف الله محمد بن بهاء الدين (ت ٩٣٧ هـ / ١٥٣٠)

- المقصد الرفيع المنشأ الهادى لديوان الانشاء (مخطوط مصور بجامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٤٥) .

ثانيا : مصادر مطبوعة

القرآن الكريم

الاسحاقي : محمد بن المعطى بن أبى الفتح (ت ق ١١ هـ)

- لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول (مصر ١٣٠٠هـ)

ابن إياس : محمد بن أحمد (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م)

- بدائع الزهور في وقائع الدهور(خمسة أجزاء ، تحقيق محمد مصطفي ، طبعة ثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٨٢ – ١٩٨٤)

ابن بطوطة : محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧)

- تحفة النظار في غرائب الأمطار (تحيق طلال حرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت . دت)

ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠م)

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (أجزاء من ٧ – ١٢) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .

- جـ١٦ تحقيق جمال الدين الشيال . القاهرة (١٩٧٢)

- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور (تحقيق محمد كمال الدين عز الدين جزآن ، الطبعة الأولي ، دار عالم الكتب ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م)

ابن حبيب : الحسن بن عمر (ت ٧٧٩ هـ /١٣٧٧ م)

- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه (ثلاثة أجزاء ، تحقيق محمد محمد أمين – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦)

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥)

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (جـه ، بيروت ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩)

ابن دقماق : صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م)

–النفحة المسكية في الدولة التركية (تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، ط١ ، بيروت ١٩٩٩ م)

الدوادارى : أبو بكر عبد الله بن أيبك (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢ م)

- كنز الدرروجا مع الغرر :

جـ٨ الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية (تحقيق أولرخ هارمان ، القاهرة ١٩٧١)

جـ٩ الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر (تحقيق هانس روبرت رويمر ، القاهرة ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م)

ابن زميل الرمال : أحمد (ت ٩٦٠ هـ /١٥٥٤م)

- واقعة السلطان الغورى مع سليم العثماني (تحقيق عبد المنعم عامر – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٩٧ م)

السبكي : تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين علي (ت٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م)

- معيد النعم ومبيد النقم (ط١ ، بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م)

السخاوى : علي بن أحمد بن عمر بن خلف بن محمود (ق ٩هـ)

- تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات (ط٢ ، القاهرة ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م)

السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت٩١١ هـ)

- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (جزآن في مجلد ، المطبعة الشرفية ، مصر دت)

- تاريخ الخلفا (تحقيق ابراهيم صالح ، ط١ ، بيروت ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م)

.ابن شاهين الظاهرى : غرس الدين خليل) (ت٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م)

- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك (صححه بولس راويس ، باريس ١٨٩٤م)

الشوكانى : محمد بن علي (ت ١٢٥٠ هـ)

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (جزآن ، ط١ ، القاهرة ١٣٤٨ هـ، ط٢ ، دار المعرفة بيروت ، دت) .

ابن صصرى : محمد بن محمد (ق١٤ م)

-الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية (تحقيق وليم برينز ، لوس أنجلوس ١٩٦٣ م)

الصير في : علي بن داود المعروف بالخطيب الجوهرى (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٥ م)

- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان (أربعة أجزاء ، تحقيق حسن حبشى ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧١ ، ١٩٧٣ ، ١٩٩٤ م)

ابن طولون : شمس الدين عمر بن محمد بن علي (ت ٩٥٣ هـ/ ١٥٤٦ م)

- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (قسمان ، تحقيق محمد مصطفي ، القاهرة ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م)

ابن العبرى : أبو الفرج جمال الدين الملطي (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م)

- تاريخ الزمان (تعريب الأب إسحق أرملة ، دار المشرق ، بيروت ١٩٩١) .

العسقلانى المصرى : شافع بن علي الكاتب (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م)

- كتاب الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور (تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، ط١ ، بيروت ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م)

ابن العماد الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩ هـ)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب (جـ٧ ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت . دت)

العمرى : شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩م)

- مسالك الأبصار في ممالك الأمطار (ط١ ، تحقيق دوروتياكرافولسكي ، المركز الأسلامي للبحوث ، بيروت ١٩٨٦ م)

العيني : بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م)

- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى (تحقيق فهيم محمد شلتوت، مراجعة محمد مصطفي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م)

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (أربعة أجزاء تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧ - ١٩٩٢ م)

- حوادث أعوام ٨٢٤ - ٨٥١ تحقيق عبد الرازق الطنطاوى القرموط ، ط١ ، القاهرة ١٩٨٩ م)

أبو الفدا : عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م)

- المختصر في أخبار البشر (أربعة أجزاء ، بيروت ، دت)

ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م)

- تاريخ ابن الفرات المسمي تاريخ الدول والملوك . جـ٨ (تحقيق قسطنطين زريق ، نجلا عز الدين ، بيروت ١٩٣٩)

القلقشندى : أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١ هـ / ١٤٨١ م)

صبح الأعشي في صناعة الانشاء (١٤ جزءا ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ، القاهرة ، دت)

ابن قنفذ القسنطينى : أبو العباس أحمد بن علي بن الخطيب (٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م)

- كتاب الوفيات (تحقيق عادل نويهض ، ط٣ ، بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)

الكتبي : محمد بن شاكر (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م)

- عيون التواريخ السنوات ٦٨٨ - ٦٩٩ هـ (تحقيق نبيلة عبد المنعم داود بغداد ١٩٩١ م)

ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م)

- البداية والنهاية (جـ١٤ ، ط٤ ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٨٢ م)

المقدسي : عز الدين (ت ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م)

- المفاخرات الباهرة (تحقيق محمد الششتاوى ، ط١ ، القاهرة ١٩٩٩ م)

المقريزى : تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م)

-السلوك لمعرفة دول الملوك (٤ أجزاء × ١٢ قسما ، تحقيق محمد مصطفي زيادة ، سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٧٣)

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (جزآن ، دار صادر ، بيروت ، دت)

- إغاثة الأمة بكشف الغمة (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٩ م)

المنصورى : ركن الدين بيبرس (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م)

- التحفة الملوكية في الدولة التركية (تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٧)
- مختار الأخبار (تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣ م)

النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م)

- نهاية الأرب في فنون الأدب (جـ٣٠ ، تحقيق ومراجعة محمد عبد الهادى شعيرة ومحمد مصطفي زيادة ، القاهرة ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م)
- جـ٣١ تحقيق الباز العريني وعبد العزيز الأهواني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢ .

ابن الوردى : سراج الدين أبو حفص بن عمر (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)

- تاريخه (تتمة المختصر في أخبار البشر (جـ٢ ، القاهرة ١٢٨٥ هـ)

ياقوت الحموى : شهاب الدين أبي عبد الله (ت ٦٢٦ هـ)

-كتاب معجم البلدان (رتبة محمد أمين الخانجي ، ط١ ، عشرة أجزاء مطبعة السعادة ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٦ م)

اليوسفي : موسي بن محمد بن يحي (ت ٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م)

- نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر (تحقيق أحمد حطيط ، الطبعة الأولي ، بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م)

ثالثا المراجع العربية

أحمد مختار العبادى (دكتور) :

- البحرية المصرية زمن الأيوبيين والمماليك (ضمن بحوث تاريخ البحرية المصرية ، جامعة الأسكندرية ١٩٧٣)
- قيام دولة المماليك الأولي في مصر والشام (بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م)

آشتور :

- التاريخ الأقتصادى والأجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطي (ترجمة عبد الهادى عبلة مراجعة أحمد غسان سبانو ، دمشق ١٩٨٥)

أنطون بشارة قيقانو :

- جـدول السنين الهجرية وما يوافقها من السنين الميلادية . (ط٣ ، دار المشرق ، بيروت ١٩٩٧ م)

انطون خليل ضومط (دكتور) :

- الدولة المملوكية ، التاريخ السياسي والأقتصادى والعسكرى (ط٢ ، بيروت ١٩٨٢ م)

إيرا لابدوس :

مدن اسلامية في عصر المماليك (تعريب علي ماضي ، بيروت ١٩٨٧ م)

بولياك :

- الأقطاعية في مصـر وسوريـا وفلسطين ولبنان (ط١، ترجمة عاطف كرم ، بيروت ١٩٤٨ م)

البيومي إسماعيل الشربيني (دكتور) :

- مصادرة الأملاك في الدولة الاسلامية – عصر سلاطين المماليك (جزآن – سلسة تاريخ المصريين ، رقمي ١١٠ ، ١١١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٧ م)
- النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك (تاريخ المصرين رقم ١١٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٨ م)
- مجلس المشورة في عصر سلاطين المماليك (إصدار خاص ، مجلة كلية الأداب جامعة المنصورة ، أغسطس ٢٠٠٠ م) .

توفيق برو : (دكتور)

- تاريخ العرب القديم (ط١ ، دار الفكر – دمشق ١٩٨٨ م)

تيسير بن موسي :

- الغزو المغولي للعالم الإسلامي والوطن العربي في القرون الوسطي (مجلة الناشر العربي، عدد ١٣ ، ليبيا ١٩٨٩ م)

جمال الدين الشيال (دكتور) :

تاريخ مصر الأسلامية (جزآن ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٧)

حامد عمار (دكتور) :

- علاقات مصر بالدول الأفريقية في العصور الوسطي (الطبعة الأولي ، الدار العربية للكتاب ، القاهرة ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م)

حسنين محمد ربيع (دكتور)

- منهج السيوطي في كتابة التاريخ (ندوة جلال الدين السيوطي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٨ م)

حسين عبد الرحيم عليوه (دكتور) :

- دراسة لبعض الصناع والفنانين بمصر في عصر المماليك

(مجلة كلية الآداب - جامعة المنصورة ، العدد الأول ، مايو ١٩٧٩ م)

حكيم أمين عبد السيد (دكتور) :

- قيام دولة المماليك الثانية (القاهرة ١٩٦٧)

درويش النخيلي :

- السفن الإسلامية علي حروف المعجم (جامعة الإسكندرية ١٩٧٤)

ربيع محمد القمر :

- قراءة جديدة في نصوص معاهدة البقط (الدارة ، عدد ٢ ، السنة ٢١ ، الرياض ١٤١٦ هـ)

زيترستين :

- تاريخ سلاطين المماليك (ليدن ١٩١٩ م) .

ستانلي لينبول :

سيرة القاهرة (ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧ م)

سحر السيد عبد العزيز : (دكتورة)

العراقيون في مصر في القرن السابع الهجرى . (الأسكندرية ١٩٩١م)

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)

- العصر المماليكي في مصر والشام (ط٢ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٦ م)

- مصر في عصر دولة المماليك البحرية (سلسة الألف كتاب ، كتاب رقم ٢٢٧ ، القاهرة ، دت)

السيد الباز العريني : (دكتور)

- المماليك (دار النهضة العربية . بيروت . دت)

السيد عبد العزيز سالم : (دكتور)

- تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام (الاسكندرية ١٩٩٩ م)

عبد المنعم ماجد (دكتور) :

- نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر . (الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٩ م)

عصام محمد شبارو : (دكتور)

السلاطين في المشرق العربي – المماليك (بيروت ١٩٩٤ م)

علي إبراهيم حسن (دكتور)

- دراسات في تاريخ المَماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص (ط٢ ، القاهرة ١٩٤٨ م)

- مصر في العصور الوسطي من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى (ط٢ ، القاهرة ١٩٤٩ م)

الفريد بتلر :

- فتح العرب لمصر (جزآن ، تعريب محمد فريد أبو حديد ، سلسة تاريخ المصريين رقمي ٢٧ ، ٢٨ ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٩ م)

فؤاد عبد المعطي الصياد (دكتور) :

- المغول في التاريخ (القاهرة)

قاسم عبده قاسم (دكتور)

- دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك (ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٣)

- اليهود في مصر من الفتح العربي حتي الغزو العثماني (ط١ ، القاهرة ١٩٨٧ م)

كليفورد . أ . بوزورث :

الأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي (ترجمة ومراجعة حسين علي اللبودى، سليمان إبراهيم العسكرى، ط٢، القاهرة ١٩٩٥ م)

ماير . ل . أ :

- الملابس المملوكية (ترجمة صالح الشيتي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢ م)

مجمع اللغة العربية :

المعجم الوجيز (ط١ ، القاهرة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)

محمد حسن الحمصي : (دكتور)

القرآن الكريم تفسير وبيان (دمشق . دت)

محمد سهيل طقوش (دكتور)

- تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام (ط١ ، دار النفائس بيروت ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م)

محمد عبد الله عنان :

- دولة الإسلام في الأندلس (جـ٧ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ٢٠٠١ م)

محمد قنديل البقلي :

التعريف بمصطلحات صبح الأعشي . (القاهرة ١٩٨٤)

محمد مختار باشا :

-كتاب التوفيقات الالهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية (ط١ ، مصر ١٣١١ هـ)

محمود رزق سليم (دكتور) :

- عصر سلاطين المماليك (جزآن ، ط٢ ، القاهرة ١٣٨١ - ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٢ - ١٩٦٥ م)

وليم سليمان : (دكتور)

- القاهرة في مصر المملوكية (مجلة الطليعة - عدد ٢ - سنة ٥ - القاهرة ١٩٦٩ م)

وليم موير :

- تاريخ دولة المماليك في مصر (ترجمة محمود عابدين وسليم حسن ط١ ، القاهرة ١٩٩٥)

رابعا المراجع الأجنبية

Allouche , Adel : Mamluk Economics (university of Utah Press – Salt Lake City)

Ashtor E. : L'evolution des Prix dans Le Proche Orient A la Basse – Epoque (Journal of the Economic and Social History of the Orient. Vol. IV, Part 1, Leiden 1961) .

Ayalon : The Wafidiya in The Mamluk Kingdom . (Studies on the Mamluks of Egypt London 1977) .

The Cambridge History of Islam (Vol. 1A, The Central Islamic Lands from Pre–Islamic Times to the First World War. Cambridge University Press) .

Dozy R. : Supplements aux Dictionary Arabes (2 Toms, Beyrouth 1981)
- Dictionnaire Detaille des Toms des Vetements chez Les Arabes (Beirut)

The Encyclopedia of Islam (Vol. VI London 1936).

King J. W. : Historical Dictionary of Egypt (The American University in Cairo Press 1989)

Lane E. W: An Arabic – English Lexicon (Part 8, Beirut 1980)

Laoust . H. : Le Hanbalisme sous Les Mamlouks Bahrides (Revue des Etades Islamiques . tom xxvlll – cahiere 1 , paris 1960)

Poliak : Les Revoltes Populaires en Egypte A l'epoque des Mamelouks et leurs Causes Economiques .
(Extrait de la Revue des Etudes Islamiques. 8, 1934)
Le Caractere Colonial de l'etat Mamlouk dans Ses Rapports avec la Horde D'or. (Revue des etudes Islamiques, IX Paris 1935)

Poole S. L : A History of Egypt in the Middle Ages, (Fourth Edition, London 1925)

Quatremere . M. : Histoire des Sultans Mamlouks, de l' Egypte (2 Tomes, Paris 1837)

Rabie H. M: The Financial System of Egypt 564 – 741. (London 1972)

Weiss B. G. & Green A. H : A Survey of Arab History (The American University in Cairo press)

Weit. G: L' Egypte Arabe de la Conquete Arabe a la Conquete Musulman (642 – 1517) (Tome IV, Paris, 1937).